المـــرأة في الكتاب المقدس

د. سامي بولس
العميد السابق لكلية
التربية بجامعة ولاية
نيويورك

شارك في مراجعة اللغة
المهندس فكري غبريال

صاحب القداسة البابا شنوده الثالث
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

بطاقة شكر

+ أولا أشكر الله الذي بدون محبته وبركته ما خرج هذا الكتاب للنور.
+ ثانيا أشكر الأستاذ عريان جرجس لمجهوده في إخراج الكتاب في صورته الرائعة.
+ ثالثا أشكر المهندس فكرى غبريال لأنه شارك في مراجعة اللغة وبذل جهداً كبيراً فيه.

إهـــداء

إلى : كل امرأة تحس آنها مهضومة الحق
وكل امرأة تحس أن الله لم ينصفها
وكل رجل يظن أن الله حبى الرجال بكل المواهب

أهدى هذا الكتاب لعله يكون بداية جديدة في تفكير كل من يقرأه.

المحتويات

القسم الأول: النساء اللاتي اخترن الطريق الصالح

الباب الأول : نساء العهد القديم

الصفحة

١- حواء ٩
٢- سارة ١٧
٣- هاجر ٢٢
٤- رفقة ٢٦
٥- راحيل ٣١
٦- ثامار ٣٥
٧- يوكابد ٤٠
٨- مريم النبية ٤٥
٩- دبورة ٤٩
١٠- أم شمشون ٥٣
١١- راحاب ٥٧
١٢- راعوث ٦٢
١٣- نعمى ٦٦
١٤- حنة أم صمويل ٧١
١٥- ابيجايل ٧٦
١٦- بتشبع ٨٠
١٧- ملكة سبأ ٨٩
١٨- أستير ٩١
١٩- ابنة يفتاح الجلعادي ٩٥

الصفحة

٢٠- المرأة التي عالت إيليا ١٠٠
٢١- المرأة الشونمية ١٠٥
٢٢- يهوديت ١١٠
٢٣- المرأة التي من تقوع ١١٥

الباب الثاني : نساء العهد الجديد

٢٤- العذراء مريم ١٢١
٢٥- أليصابات ١٢٨
٢٦- حنة النبية ١٣٢
٢٧- مريم المجدلية ١٣٦
٢٨- مارتا ١٤٠
٢٩- سالومة أم يوحنا ١٤٥
٣٠- المرأة السامرية ١٥٠
٣١- مريم أم مرقس ١٥٥
٣٢- مريم أخت لعازر ١٥٩
٣٣- المرأة الكنعانية ١٦٤
٣٤- المرأة التي بكت على قدمي يسوع ١٦٨
٣٥- يونا ١٧٤
٣٦- دوركاس (طابيثا) ١٧٨
٣٧- ليديا بائعة الأرجوان ١٨٢
٣٨- بريسكلا ١٨٦

الصفحة

القسم الثاني : النساء اللاتي اخترن الطريق الخاطىء

الباب الثالث : نساء العهد القديم

٣٩- امرأة لوط ١٩١
٤٠- امرأة فوطيفار ١٩٦
٤١- دليلة ٢٠٠
٤٢- ساحرة عين دور ٢٠٥
٤٣- صفورة امرأة موسى ٢٠٩
٤٤- ميكال بنت شاول ٢١٣
٤٥- إيزابيل ٢١٧
٤٦- عثليا ٢٢٢

الباب الرابع : نساء العهد الجديد

٤٧- هيروديا ٢٢٧
٤٨- سالومة ٢٣٢
٤٩- سفيرة ٢٣٤
٥٠- إيزابيل الثانية ٢٣٩
مراجع الكتاب ٢٤٣

المقدمة

منذ قديم الزمن والاعتقاد السائد أننا نعيش في عالم يسوده الرجل ، فالتاريخ يسجل لنا قصة تفوق الرجل على المرأة في كل الميادين وكأننا نعيش في عالم خلق للرجل فهو الذي قاد وحكم وصنع القرار فصاغ التاريخ وكتبه . أمام هذه السيادة أختلف سلوك المرأة . فكثيرات خضعن وعشن في ظل الرجل بينما ثارت أخريات وطالبن بحقوقهن التي حرمهن الرجل منها . ولا زالت المشكلة بدون حل فالصراع بين الرجل والمرأة مستمر ولن ينتهي ما دام هناك رجال ونساء يعيشون على هذه الأرض .

وقد اشتركت في مناقشات حول هذا الصراع وكنت في كل مرة أري كلا من الطرفين يحاول أن يثبت صحة قضيته بما جاء في الكتاب المقدس .

ففي إحدى هذه المناقشات قال أحد الرجال أن الله نفسه قد عاقب المرأة لأنها كانت أول من أدخل الخطية إلى العالم عندما استمعت لصوت الشيطان وأكلت من شجرة معرفة الخير والشر ثم كرر ما قاله الرب لحواء قبل أن يخرجها هي وآدم من جنة عدن «تكثيرا أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولادا . إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ٣:١٦) . ثم استنتج من هذا أن الرجل مفروض أن يسود على المرأة فالرب نفسه قرر هذا . وكان هذا عقابه لحواء وبناتها من بعدها . وهنا ردت عليه زوجته قائلة «إن آدم ليس أقل ذنبا من حواء في الأكل من الشجرة . فقد كان من واجبه أن يرفض ولكنه لم يرفض بل أكل بإرادته عندما عرضت حواء الأمر عليه ألم تكن خبرته ومعرفته للرب أطول وأعمق من معرفة حواء؟ وكان من واجبه إلا يطاوع زوجته . ولذلك عندما أكل

أصبح شريكا في الجريمة وهنا بدأ آخر يقول أن بولس الرسول نفسه قد علق على الموضوع ووضح موقف الكنيسة فقد قال في رسالته إلى أهل أفسس «أيها النساء أخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح رأس الكنيسة» (أف ٥:٢٢ ، ٢٣). وهنا احتدت المناقشة وثارت النفوس وارتفعت الأصوات وطلب مني أن أحسم الموضوع . وكان الرجال متأكدين أن تفسيري سوف ينصرهم . فبدأت بأن أكدت أن بولس الرسول كتب هذا ولكن إذا فحصنا الأمر بدقة وفهم يمكن أن ننتهي بنتيجة غير التي وصل لها الرجال في حماسهم لاثبات تفوقهم على النساء . وبدأت بالجزء الأخير مما قاله بولس الرسول فقلت أن الرسول يشبه العلاقة بين الرجل والمرأة بالعلاقة بين المسيح والكنيسة ، ثم سألت المسيح هو رأس الكنيسة أليس كذلك ؟ فوافقوا جميعا ، فقلت تعالوا نرى ما صنعه المسيح من أجل الكنيسة . وهنا صمت الجميع فقلت حتى قبل أن يكون هناك كنيسة مات المسيح من أجلها ، ضحى من أجلها ، أخلى ذاته من أجلها وأخذ شكل العبد من أجلها . فمن المفروض أن يتصرف الرجل الذي هو رأس المرأة مع المرأة كما تصرف رأس الكنيسة مع الكنيسة . لقد أحب المسيح الكنيسة ومات من أجلها . أليس من واجب الرجل أن يحب زوجته وأن يضحي من أجلها . في هذه الحالة سوف ترفعه المرأة وتضعه فوق رأسها ليس لأن الله أمرها بهذا بل لأن محبة الرجل لها هي التي أقنعتها أنه زوج محب يستحق أن يكرم ويطاع وأن ترفعه فوق رأسها فالمحبة كما يقول الكتاب لا تسقط أبدا .

نعود إلى ما قاله الرب لحواء «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ٣:١٦). لقد انقسم المفسرون في تفسير هذه الآية فبعضهم يقول أن الله عاقب المرأة وحكم عليها بالعبودية

للرجل . ولكن آخرون يقولون أن من حكم عليه ولعن هي الحية التي كان لها أرجل وحكم عليها الله أن تزحف على بطنها فاختفت الأرجل ثم أقام بينها وبين بقية الحيوانات عداوة دائمة . كذلك الأرض قد لعنها الله لكي لا تعطي الإنسان قوتها فتنتج له شوكا وحسكا وكان هذا عقاب الرجل ولكن ما قاله لحواء لم يكن حكما ولا لعنة ولكنه كان نبوة من الله لآدم وحواء عبر فيها عما سوف تكون عليه العلاقة بينهما بعد أن دخلت الخطية حياتهما . لقد علم أن الرجل بإغراء الشيطان سوف يسيء معاملة المرأة ويستبد بها فتصبح شخصية من الدرجة الثانية بجانب الرجل . وقد يسأل البعض ما الذي دفع الشيطان إلى هذا العمل ؟ والجواب أن الشيطان كان موجودا عندما خلق الله آدم ثم حواء ورأي محبة الله ورعايته لهما فدخله الحسد عندما رأي الخليقة الجديدة تتمتع بحب الخالق بينما هو قد حرم منه . وكان موجودا عندما أسس الله سر الزيجة بخلقه لحواء لتكون زوجة لآدم . وصمم أن يفسد خطة الله فأغراهما بأن يأكلا من الثمرة المحرمة فأكلا وخالفا وصية الله . وعندما نزلا إلى العالم ليعيشا بعيدا عن الله كان الشيطان في انتظارهما . وكان من الممكن أن يندم آدم وحواء على غلطتهما وأن يعودا للرب هما وذريتهما فيعفو عنهما الله . ورأي الشيطان بذكائه أنه لو تمكن من إفساد العلاقة بين الرجل والمرأة وأن يقضي على سر الزيجة لاستطاع أن يسيطر على الجنس البشري وأن يبعده عن حياة التوبة والرجوع إلى الله وهذا ما فعله .

ورأى الله ما فعله الشيطان وكيف وصلت المرأة إلى الحضيض فأراد أن يعلن لبني البشر أن هذا لم يكن في ذهنه عندما خلق حواء لأدم فقد خلقها لتكون معينا «نظيره» أو مساوية له كما سجل الكتاب .

ولذلك أختار عددا من النساء وأعطاهن مواهب استطعن بها أن يصلن إلى مركز الرجال بل تفوق بعضهن عليهم . وقد توج هذه الجهود كلها عندما تجسد وولد من امرأة وهي العذراء مريم . لقد أكرمها الله إكراما لم يغدقه على إنسان آخر فقد منحها مركزا أعلى من الشاروبيم والسيرافيم . ومنذ صعود جسدها إلى السماء واعترافا بمكانتها أصبحت هي السفيرة الوحيدة له دون كل الرجال القديسين الذين سبقوها وتلوها يرسلها من وقت لآخر إلى البشرية المكافحة تحذرهم وتشجعهم وتنقل لهم رسالة من الله الذي يحبهم.

في هذا الكتاب اخترنا عددا من الشخصيات النسائية التي حباها الله بمواهب رفعتها فوق الرجال وكان لها تأثيرا قويا في تاريخ البشرية . ولكي نقدم صورة فيها توازن بين الخير والشر تحدثنا أيضا عن بعض النسوة اللاتي حباهن الله بمواهب ولكن بدلا من أن يستمعن إلى صوته استمعن إلى صوت رئيس هذا العالم فضلوا الطريق وكانت عاقبتهن وخيمة .

سامي بولس
يوليه ٢٠٠٥

الباب الأول:
النساء اللاتي اخترن الطريق الصالح

الفصل الأول : نساء العهد القديم

١- حـواء

المرأة التي خلقها الله من ضلع زوجها

لا يستطيع أي كاتب أن يكتب عن المرأة دون أن يعود بفكره إلى أول امرأة خلقها الرب بطريقة لم تتكرر في خلقه بقية النساء فقد خلقها من ضلع من ضلوع آدم ثم أعطاها له لتكون زوجة له. وقد فتنت شخصية حواء عدداً كبيراً من المؤرخين والفلاسفة فكتبوا عنها موسوعات ونسبت لها أساطير لم تحدث إلا في مخيلتهم وسموها بأسماء مختلفة فقد سماها السماريون «إنيانا» والبابليون «نتيامات» والمصريون «إيزيس» .

وقصة حواء كما جاءت في العهد القديم تحكي لنا ببساطة كيف خلقها الله وماذا صنعت ولكن كثيرون يرفضون أن يصدقوا ما قاله الله على لسان موسى ويزعمون أن حواء شخصية خرافية وأن الجنس البشري جاء إلى الوجود نتيجة لتطور وارتقاء كائنات بدائية تكونت في المياه عندما تعرضت لنور الشمس . هؤلاء بالتالي ينكرون وجود الله ويقولون أن الله لم يخلق هذا الكون بل أنه خلق ذاته دون خطة سابقة . ورغم أن هؤلاء يعلمون أن ما يزعمون خالي من المنطق فإنهم مصرون على رأيهم ولعلهم يفعلون هذا ليستريحوا من التفكير في أبديتهم وما سوف يحاسبون عليه من

خطايا فقد حسموا الموضوع كله بإنكار الله وما يتبعه من آراء ونتائج .

ورغم أن هذا الإلحاد أستند إلى أن العلم الحديث لا يمكنه أن يعترف بوجود الله لعدم تمشيه مع المنطق العلمي إلا أن كثيرين من العلماء بدأوا أخيرا يعترفون بوجود الله بناء على أدلة علمية جمعوها من دراساتهم المتقدمة . وأطرف هذه الدراسات هي دراسة قام بها بعض علماء الوراثة على عدد كبير من الأشخاص الذين ينتمون إلى الأجناس المعروفة لجنس البشر . وبعد اختبارات ومناقشات ومقارنات بين الـ DNA في هؤلاء وصلوا إلى نتيجة أدهشت العالم كله وهي أن جميع نساء العالم قد انحدروا من امرأة واحدة وأن جميع رجال العالم قد انحدروا من رجل واحد. طبعا لم يعط هؤلاء العلماء أسما لكل منهما ولكن الإنجيل قد سماهما آدم وحواء .

نعود إلى قصة حواء . يقول سفر التكوين أن الأرض كانت «خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة» (تك ١:٢) . معنى هذا أن قصة التكوين لم تبدأ بخلقة الكون ويبدو أن الله كان قد خلق الكون قبل ذلك ربما بملايين السنين فبدأت قصة التكوين عندما أراد الله أن يخلق الجنس البشري بعد سقوط الملائكة . ورأى أن الأرض غير صالحة في حالتها الأولى لسكنى بني البشر فأصلحها ليعدها لهم . وشرح الله ما صنعه في الأرض في الخمس وعشرين آية الأولى في الإصحاح الأول . ثم ذكر بعد ذلك أن الله قال «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الأرض . فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وأنثى خلقهم (تك ١:٢٦ ، ٢٧) بعد ذلك فسر الله كيف خلق آدم وحواء . وبدا الله بخلقة آدم . يخبرنا الكتاب أن الله خلقه بطريقة تختلف تماما

عن بقية المخلوقات التي خلقها قبله . فكل هذه خلقها الله بكلمته بأن قال الله مثلا «لتفض المياه بزحافات» فخلقت الزحافات أو «لتخرج الأرض دبابات» فخلقت الدواب . أما آدم فقد صنعه الرب بنفسه من تراب الأرض ثم نفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حيا . ومن أهم ما نلاحظه أن الله حكم على كل ما صنعه بأنه جيد ما عدا شيئا واحد فقد قال «ليس جيدا أن يكون آدم وحده فأصنع له معينا نظيره» (تك ٢:١٨) من هذا نستنتج أن الله لم يرد أن يخلق المرأة لتكون أقل من آدم فكلمة «نظيره» تشير إلى المساواة بينهما . نلاحظ أن حواء مثل آدم قد خلقت على صورة الله .

لقد كانت فكرة خلق حواء فكرة الله ، ولم تأت من آدم . وبهذا يكون الله قد أسس أول أسرار الكنيسة ، سر الزيجة عندما خلق حواء لتكون زوجة لآدم . وقد كان الشيطان يراقب العملية كلها وربما سأل نفسه لماذا كل هذا الاهتمام وكل هذا العمل الذي عمله الرب ليجهز الأرض لخليقته الجديدة ؟ وعندما رأى آدم ثم حواء حسدهما على المحبة التي أبداها الخالق نحوهما بينما كان هو مغضوباً عليه . فعول أن يفسد خطة الله بأن يغريهما ليخالفا وصيته الوحيدة لهما . وبعد ذلك بإفساد العلاقة بين الرجل والمرأة بحيث يقضي على سر الزيجة وهو السر الذي لو حافظ الإنسان عليه لما عاش في عالم مملوء من الخلافات والمشكلات التي تبعد الإنسان عن خالقه . وعندما قال الرب الإله أنه ليس جيدا أن يكون آدم وحده كان يعني أن وجودهما معا سيكون جيدا . فكانت خطة الشيطان أن يغير الموقف بحيث يحكم البشر بعد نزول آدم وحواء إلى أرض الشقاء بسبب ما صنعته حواء أن وجودهما معا لم يكن جيدا وأن آدم كان سيعيش مع الله في سلام لو لم يخلق الله حواء.

عندما نتأمل فيما صنعت حواء وكيف أغواها الشيطان نجد عددا من النقاط التي تستحق التعليق :

نلاحظ أن الشيطان أخفى نفسه في الحية فلم يرد أن يظهر لحواء على أي شكل آخر وهو القادر أن يظهر في أي شكل يريده حتى في شكل ملاك . ولكنه فضل أن يبقى مختفيا وان يكلمها على لسان الحية . وهنا نتساءل هل كانت حواء على علم بوجود الشيطان وبقصة سقوطه ؟ وإذا كانت لماذا تعاملت معه ؟ كان المفروض أن ترفض التحدث إليه . لا يخبرنا الإنجيل شيئا عن هذا . وأغلب الظن أنها لم تعلم شيئا عن الشيطان أو عن تاريخه وعلاقته بالله . وكان هذا حسنا من وجهة نظر الشيطان فكلما اختفى كلما كان أكثر نجاحا في إغراء الإنسان . إذا لم يكن فيما حدث شيء غير عادي . وهنا نسأل هل معني هذا أن الحية كانت تتكلم ؟ وهل كانت حواء تتحدث معها أو مع بقية الحيوانات ؟ لا نعلم ولكننا نعلم أن الله لم يُعط موهبة النطق إلا لآدم وحواء . وقد يكون الله أعطى آدم القدرة على التفاهم معها ولكنها لم تتكلم . بناء على هذا كان متوقعا أن تشك حواء عندما تكلمت معها الحية ولكنها لم تشك بل تحدثت معها دون تحفظ . ويقول بعض المفسرين أن حواء ردت على الحية لأنها كلمتها بلغة تفهمها وكان سؤالها لها ينطوي على ذكاء فضلا أنه تناول موضوعا مهما في حياتها هي وآدم . نلاحظ أن الحية لم تقترح على حواء مخالفة أمر الله ولكنها سألتها سؤالا بريئا «هل حقا قال الله لا تأكلا من شجر الجنة ؟» (تك ٣:١) ولو أن السؤال قد يبدو بريئا إلا أنه يدل على ذكاء الشيطان فقد أراد بهذا السؤال أن يثير موضوع شجرة معرفة الخير والشر بدون أن يذكره مباشرة . وعندما ردت حواء «من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله لا تأكلا منها ولا تمساه لئلا تموتا» (تك ٣:٢) وكان

جواب حواء صحيحا ما عدا مسألة لمس الشجرة لأننا لا نعلم إذا كان الله قد حذرهما من لمس الشجرة أم لا . هنا رأي الشطان الفرصة سانحة ليلقي الشك في قلب حواء فقال لها «لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر» (تك ٣:٥) .

إن الشيطان بهذا كان يقول لحواء أن الله كذب عليكما وأنه منعكما من الأكل من الشجرة لكي يحرمكما من المعرفة التي يعرفها هو وهي معرفة الخير والشر . فإذا أكلتما منها سوف تصبحان كالله عارفين كل شيء . إن ما قاله الشيطان كان معظمه صحيح فيما عدا ما قصده وهو أن الله كذب عليهما . ولكن ما قاله جعل حواء تفكر . فنظرت للشجرة نظرة ثانية وفي ظل ما سمعته رأتها جيدة للأكل ، بهجة للعيون وشهية للنظر . فأخذت منها وأكلت . وعندما نقارن هذا مع ما قاله القديس يوحنا في رسالته الأولي عندما قال «أن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العين وتعظم المعيشة» (ايو ٢:١٦) نجد أن حواء وقعت فيها جميعا فقد اشتهت عيناها الثمرة فقد وجدتها بهجة للعيون وشهية للنظر . واشتهي جسدها أن يأكل منها عندما وجدتها جيدة للأكل . أما تعظم المعيشة فقد داعب خيالها عندما صدقت أنها سوف تصبح كالله في المعرفة . ليس هناك تعظما في المعيشة أعظم من أن يكون المخلوق مثل الخالق وهذا ما أراده الشيطان عندما حاول أن يرفع كرسيه فوق عرش الله .

ويتساءل الكثيرون لماذا طلب الله من آدم وحواء عدم الأكل من الشجرة وهو يعلم أنهما سوف يخالفان وصيته ؟ ألم يكن من الأفضل لو لم يضع هذه الشجرة في جنة عدن ؟ الجواب على هذا أن الله عندما خلق أدم وحواء على صورته أعطاهما نسمة الحياة التي حولتهما إلى أنفس حية تشبه الله في القداسة والنطق والذكاء

وكذلك حرية الاختيار . وكان لابد من أن يهيئ لهما الموقف الذي يستعملان فيه عطيته «حرية الاختيار» وكان هذا الموقف هو اختيارهما أن يطيعاه فلا يأكلا من الشجرة أو يخالفاه فيأكلا منها . وبدون وجود هذا الموقف لكانت العطية عاطلة كأن لا وجود لها . أن الله بهذا قصد أن يعلن لآدم وحواء ولبقية البشرية أنه لن يكرههم على طاعته فالإنسان حر يمكنه أن يختار أن يعبد الله أو يتجاهله فالله يريد إنسانا يعبده لأنه يريد أن يعبده وليس لأنه مجبر على عبادته .

تنتهي قصة سقوط حواء بأكلها من الثمرة المحرمة وإعطائها لآدم مما أكلت وسقوطه كما سقطت زوجته . وعندما نتأمل في هذا نتعجب من خضوع آدم لحواء في هذا الموقف وموافقته على ما فعلت . لقد كان متوقعا أن يناقش آدم زوجته عندما أعطته الثمرة فيسألها عن أصلها ولماذا خالفت أمر الله الذي أحبهما ووفر لهما كل ما يتمتعان به . ولكن آدم لم يقل شيئا ولم يرفض ولم يؤنب حواء على ما فعلته بل يبدو أنه بارك كل ما فعلت . أن هذا يوضح أيضا سطوة حواء عليه وتأثيرها على سلوكه . وهذا أمر يتكرر في العالم كل يوم فكم من إنسان يعرف الله قد حولته امرأة إلى إنسان لا يعرف خالقه . وفي الكتاب المقدس أمثلة كثيرة يكفي أن نذكر منها شمشون الجبار ، وسليمان الحكيم .

وعندما رأى الرب الإله ما حدث نزل إلى جنة عدن في محاولة أخيرة لينقذ أدم وحواء من خطيتهما . يخبرنا الكتاب أن آدم وحواء عندما سمعا صوت الله ماشيا في البستان اختبئا لأنهما علما أنهما عريانان . لقد كان البر يكسوهما فعندما خالفا الرب تجردا منه فشعرا بعريهما ونادي الرب على آدم ورد عليه آدم «سمعت صوتك فخفت لأني عريان ..» (تك ٣:١٠) فقال له الرب «من قال لك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أمرتك ألا

تأكل منها ؟» (تك ٣:١١) . هنا نجد أن الله منح آدم فرصة لكي يعترف بخطئه ويطلب الصفح من الله ولكنه لم يفعل بل ألقي اللوم على الله لأن «المرأة التي أعطيتني هي التي أعطتني فأكلت» (تك ٣:١٢) . وقد كرر الله الكلام مع حواء فلم تعترف هي الأخرى بخطئها بل ألقت اللوم على الحية .

وأضطر الله أمام هذا الإنكار أن يخرجهما من جنة عدن وأن ينبئهما بما سوف يحدث لهما في عالم الخطية الذي سيعيشان فيه بعد أن صنع لهما أقمصة من جلد ليسترا بهما عورتيهما .

بماذا تمتاز حواء على بقية النساء ؟

عندما ندرس شخصية حواء نجد أنها امتازت عن نساء العالم بعدة مميزات أهمها ما يلي :

١- كانت حواء أول امرأة على الأرض ولذلك لم يعلمها أحد شيئا فلم يكن لها أم تعلمها أسرار الحياة ولا صديقات تحدثهن في أمور حياتها فقد تعلمت مما مر عليها من تجارب .

٢- كانت حواء أجمل نساء العالم فقد أبدعتها يد الخالق عندما أخذ ضلعا من ضلوع آدم وخلق منه امرأة . وكان جمال حواء في الجسد والروح فقد خلقت في جو خال من الخطية . ومما يشير إلى جمالها محبة آدم لها فعندما رأها لأول مرة بهره جمالها فقال «هذه الآن عظم من عظمي ولحم من لحمي . هذه تدعي امرأة لأنها من أمريء أخذت» (تك ٢:٢٣) .

٣- كانت حواء المرأة الوحيدة التي ولدت بدون أثم فكل بنيها وبناتها الذين ولدوا منها ولدوا في الخطية التي ورثوها عن أمهم.

٤- لم تتمتع حواء بطفولة ومراهقة بل خلقها الله امرأة كاملة منذ البدء ولذلك استطاع أن يقدمها لآدم لتكون شريكا ومعينا له. وقد كانت في هذا مثل زوجها الذي خلقه الله رجلا فلم يمر بمراحل الطفولة والمراهقة .

٥- كانت حواء أول من سمع وعد الله بإرسال المخلص الذي سوف يخلصها هي وذريتها من الخطية التي وقعت فيها عندما قال للحية «وأضع عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه» (تك ٣:١٥) . لقد كان هذا الوعد بداية الطريق في خطة الخلاص التي أعدها الله لينقذ آدم وذريته من الموت الذي استحقوه عندما خالفوا وصيته . فقد جاء المسيح من نسل المرأة مولودا من حواء الثانية التي عاشت في الفضيلة وحسبت أهلا أن يتجسد منها ابن الله الذي ذُبح على الصليب وقدم نفسه كفارة عن خطايا العالم كله لينقذ الإنسان الذي أحبه من الموت الذي أستحقه . هل فهمت حواء هذا الوعد فأثلج صدرها وطمأنها على مستقبلها ومستقبل البشرية ؟ لا نعلم فلم يذكر الكتاب المقدس شيئا عن هذا .

عاشت حواء مئات السنين . وقد أخبرنا الكتاب أن آدم عاش ٩٣٠ سنة ولكنه لم يخبرنا كم كانت سنى حياة حواء وهل عاشت معه كل هذه السنين وأغلب الظن أن الرب الإله أبقاها معه كل الأيام التي عاشها لأنه قال ليس جيدا أن يكون آدم بمفرده . لقد أنجبت حواء أولادا وبناتا كثيرين ولكن لم يذكر الكتاب إلا أسماء ثلاثة من أولادها وهم قايين وهابيل وشيث ولكنه لم يذكر أسم البنات .

وقد عاشت حواء لترى نتيجة الشر الذي جلبته على نفسها وعلى ذريتها عندما استمعت إلى صوت الشيطان فقد رأت قايين يقتل أخاه الأصغر هابيل . وعندما دفن آدم هابيل كانت حواء تفكر في أن الابن الأكبر الذي ظنت أنه من عند الرب لم يطع الرب بل أطاع الشيطان كما أطاعته هي . لقد حصدت حواء ما زرعته ففي يوم واحد وجدت نفسها قد فقدت ولديها احدهما مقتول والآخر هائم على وجه لا يعرف أحد أين هو . والسؤال الأخير

الذي يسأله كثيرون هو هل شعرت حواء بالندم على الشر الذي أدخلته للعالم؟ هل ربطت بين ما حدث وبين الخطية التي أرتكبتها ؟ هل ندمت على ما فعلته وطلبت الصفح من الله ؟ هل كانت ضمن من أنقذهم السيد المسيح عندما نزل إلى الجحيم وأنقذ الذين سباهم إبليس وأخذهم إلى الفردوس مع اللص الذي تاب على الصليب ؟ لا نعلم فالكتاب لم يذكر شيئا عن هذا . ولكن كثير من المفسرين يقولون أن هذا ما حدث .

٢- سارة
أم المؤمنـين

كانت تعتبر «أم المؤمنين» إلى أن ظهرت على المسرح العذراء مريم فأخذت منها اللقب . هذه هي سارة زوجة إبراهيم أب المؤمنين فهو الذي دعاه الله ليترك أهله وعشيرته ويتبعه إلى الأرض الذي يعينها له . وكان إبراهيم في ذلك الوقت يسكن في مدينة أور الكلدانيين . وكان كلدانيا هو وامرأته . وكان اسم إبراهيم إبرام وامرأته ساراي عندما رحلا ليتبعا الله . واستمرت اسماؤهما هكذا حتى غيرها الرب عندما ظهر لإبراهيم بعد ولادة إسماعيل بثلاث عشرة سنة وأخبره أن إسماعيل ليس هو الولد الذي وعده به بل هو الولد الذي ستلده امرأته . ثم أمره الرب أن يغير أسمها واسمه عندما قال «لا تدعو اسمها ساراى بل سارة وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا. أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون» (تك ١٧:١٥ ، ١٦) . وقد غير الرب أسمه إلى إبراهيم . وعندما نبحث عن معني الاسم «ساراي» و «سارة» نجدهما متقاربين فساراي وسارة معناهما «أميرة» ولكن «ساراي» معناها أميرة نافرة متكبرة أما سارة فمطيعة وستكون ملكة وأما لشعوب

كثيرة .. وهذا ما قاله الرب عندما أمر إبراهيم أن يغير اسمها.

صفاتها :

عندما تتأمل في حياة سارة تجد أنها تتميز بعدة صفات جميلة أولها إيمانها فرغم أنها نشأت في بيت لا يعرف الله وفي دولة تعبد الأوثان ، إلا أنها ذهبت مع رجلها وتركت أهلها وعشيرتها لأنه أخبرها أن الله دعاه ليتبعه . وقد يفسر البعض أن سلوك سارة يرجع إلى قوة الرجل وطغيانه في العالم القديم وعدم اهتمامه برأي امرأته ولكننا نعلم أن إبراهيم كان يستمع إلى رأي سارة فلم يكن رأيه هو الرأي الأخير في بعض الأحيان فقد تزوج بهاجر بناء على رأيها . واغلب الظن أنهما تحدثا في الأمر وعندما علمت بإيمان إبراهيم آمنت هي الأخرى ووافقت على الرحيل وحسب لها هذا الإيمان برا كما شهد بهذا معلمنا بولس الرسول عندما كتب «بالإيمان سارة نفسها أيضا أخذت قدرة على إنشاء نسل وبعد وقت السن ولدت إذ حسبت الذي وعد صادقا» (عب ١١:١١) وتنفرد سارة بهذا العمل لأنها كانت أول امرأة تتبع الله . وقد يقول البعض أن إيمان سارة لم يكن قويا في البداية فقد ارتكبت عدة أخطاء منها أقتراحها لإبراهيم أن يتزوج بهاجر وموافقتها مرتين أن تزعم أنها أخته بدلا من امرأته مرة لفرعون مصر ومرة لأبيمالك ملك جرار . وهذا صحيح .. لا نستطيع أن ننكر أن إيمانها في البداية لم يكن كاملا – و لكن هذه هي طبيعة الإيمان ينمو كلما تعامل الإنسان مع الله واقترب منه ويضمحل ويضعف إذا لم يتعامل الإنسان مع الله وابتعد عنه .. ولم تكن سارة وحدها ضعيفة الإيمان بل كان إبراهيم كذلك .. ولكن قوي إيمانهما عندما حقق الله وعده وحملت سارة وولدت إبنها إسحق .. قوي هذا الإيمان الضعيف وأصبح إيمانا شامخا قويا يحتمل أشد وأقسى التجارب . فعندما أمر الله إبراهيم أن يقدم إبنه اسحق محرقة لم

يتردد إبراهيم ولم تعترض سارة فقد كان إيمانهما في ذلك الوقت قويا فأطاعا الله عالمين أن الله الذي أعطاهما إسحق قادر أن يعطيهما غيره أو يقيمه من الموت إذا ذبحه إبراهيم . ومن صفاتها أيضا حبها وطاعتها لزوجها إبراهيم . ونحن نعلم أن علاقة الزوجة بزوجها في ذلك الوقت كانت علاقة خوف ورهبة لأن المرأة لم يكن لها حقوق فكل الحقوق كانت للرجل . والمرأة كانت مجرد متاع يملكه الرجل ويتخلص منه عندما يشاء . ولكن يبدو أن سارة كانت تطيع زوجها لا عن خوف بل عن محبة . وقد أعتبرها بطرس الرسول الزوجة المثالية عندما كتب في رسالته «فإنه كانت هكذا قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله ، يزين أنفسهن، خاضعات لرجالهن ، كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها» (ابط ٣:٦) .

لم يذكر الكتاب أن سارة خالفت زوجها ولو مرة واحدة ، رغم أنها لم تكن امرأة ضعيفة الشخصية أو خانعة خنوع الضعف وعدم الثقة بالنفس ، بل كانت تنظر لحياتها وحياة زوجها وكأنهما حياة واحدة تتحرك في اتجاه واحد وأن أتحادهما قد باركه الله . كما لو كانت عالمة بطريقة ما ، ما قاله الله عن علاقة الرجل بالمرأة وكيف أن الزواج يجعلهما جسدا واحدا .

أما الصفة الأخيرة فهي جمالها .. ذلك الجمال الذي ذُكر أكثر من مرة في سفر التكوين عندما ذكر حديث إبرهيم مع سارة قبل أن يدخلا أرض مصر فقد قال لها » أني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك» (تك ١٢:١١) ونلاحظ هنا أن عمر سارة في ذلك الوقت كان حوالي ٧٠ عاما وكانت هي وزوجها قد رحلوا من كنعان إلى مصر فقضوا في الصحراء بحرّها وترابها وقسوتها عدة أسابيع وربما شهور . ولكن يبدو أن هذه الرحلة الشاقة لم

تنال من جمال سارة . الجمال الذي رآه إبرهيم واضحا واعتبره خطرا على حياته في بلاد لا تعرف الله . وقد كرر إبراهيم نفس الكلام بعد عشرين عاما عندما كانت سارة في التسعين من عمرها فقد بهر جمالها حتى في هذه السن إبيمالك فأخذها وضمها لحريمه . إن جمال سارة لم يكن جمالا جسديا فقط بل جمالا روحيا ونفسيا أضاف لجمالها الجسدي الذي كان واضحا حتى لمن لا يعرفها .

أخطاؤها :

إن حديثنا عن أخطاء سارة لا يقلل من عظمتها ، فلم يولد في تاريخ البشر إنسان لم يخطئ ما عدا السيد المسيح له المجد فالكتاب يقول «الكل قد زاغوا» فحديثنا عن أخطاء القديسين إنما يشجعنا نحن الخطاة أنه حتى القديسين اخطأوا ولكن بالتوبة ونعمة الله وقوته أصبحوا مستحقين لملكوت السموات ، وكذلك نحن إذا سرنا في نفس الطريق الذي ساروا فيه . لقد ذكرنا من قبل أنه بالرغم أنها قُرظت من أجل إيمانها إلا أن إيمانها لم يكن قويا منذ البداية وقد ظهر هذا الضعف عدة مرات . فعندما وصل إبراهيم وعائلته إلى أرض كنعان وحدثت مجاعة لم يفكر إبراهيم ولا سارة أن الله الذي وعدهما بأنه سيباركهما ويجعلهما أمة عظيمة أنه أيضا قادر أن يعولهما في وسط المجاعة . ولذلك قررا أن يرحلا إلى أرض مصر حيث يوجد الطعام . وعندما دخلا مصر كما قلنا سابقا طلب إبراهيم من زوجته أن تقول أنها أخته وليست زوجته . لم تحتج سارة قائلة لزوجها «كيف تطلب مني أن أكذب فالله الذي وعدنا قادر أن يحمينا مهما كانت الظروف». فقد وافقت سارة على طلب زوجها فعرضت نفسها بذلك لمصير لا يعلم حقيقته إلا الله . وكان من المؤكد أن الرجل الذي سوف

يأخذها من زوجها، وكان في هذه الحالة فرعون ، سوف يضمها لحريمه لتكون زوجة له . لقد عرضت سارة نفسها للزنا مع رجل غير زوجها . وقبض إبراهيم ثمن شرف زوجته ، هدايا قيمة أغدقها عليه فرعون مصر . ولكن الله أنقذها من هذا الموقف بتدخله .. والغريب أن إبرهيم وسارة كررا نفس السيناريو بعد ٢٠ عاما مع ابيمالك ملك جرار .

أما الخطأ الذي يعتبره البعض أكبر أخطاؤها فهو اقتراحها وتشجيعها لإبرهيم أن يتزوج من هاجر الجارية المصرية لعلها «ترزق منها بنين» على حد تعبيرها . وسارة بهذا كانت تحاول أن تساعد الله في تحقيق وعده لإبرهيم . فقد أساءها أن يتأخر الله في تنفيذ ما وعد به ، ولما كانت واثقة أنها لا يمكن أن تكون هي التي سوف تعطي إبرهيم ذرية لكبر سنها ، رأت أن الحل الوحيد هو أن تدفع جاريتها الشابة إلى حضن زوجها.

أما خطأها الأخير فقد جاء بعد أن أعطت هاجر لإبرهيم أبنا في شخص إسماعيل وكبر إسماعيل وناهزت سارة التسعين من عمرها . ففي هذا الوقت زار الرب إبراهيم ومعه الملاكان اللذان أهلكا سدوم وعمورة .. وبعد أن أكلوا ما قدمه لهم إبرهيم قال الرب له أنه في مثل هذا الموعد سوف تلد لك سارة أبنا . وكانت سارة في الخيمة وسمعت ما قاله الرب فضحكت في نفسها قائلة «أبعد فنائي يكون لي تنعم وسيدي قد شاخ» (تك ١٢:١٨) .

موتها :

يحدثنا الكتاب أنه بعد أن حقق الله وعده لسارة وولدت ابنها إسحق ، أنها أصرت أن يطرد إبرهيم هاجر وابنها . ولما قبح الأمر في عين ابرهيم ، كلمه الرب وأمره أن يستمع لقول سارة . وبهذا علم ابرهيم أن هذه هي إرادة الله وفعل ما طلبته امرأته . وعاشت سارة حتى رأت ابنها إسحق في منتصف الثلاثينات

وماتت عن عمر يناهز ١٢٧ عاما . ولم يدفنها إبرهيم في رمال الصحراء كما كانت العادة المتبعة في هذا الجزء من العالم ، بل أراد أن يكون مدفنها مدفنا دائما . فاشترى مغارة المكفيله ودفن فيها سارة . وكان قد أوصى أولاده أن يدفنوه بجانبها عندما يموت . وكان هذا آخر عمل يقوم به أب الآباء إكراما لامرأته التي أحبها والتي عاشرته سنينا طويلة لا تحيد عن حبها وطاعتها له .

٣- هاجر

الجارية التي تكبرت على سيدتها

هاجر المصرية هي جارية سارة زوجة إبراهيم وقد اخترناها لأنها لعبت وذريتها دورا هاما في حياة إبراهيم وذريته من بعده ولأن من نسلها أتت كل الشعوب العربية .

وأول ما يلفت النظر في حياتها أن أسمها ينشق من الهجرة وربما كان هذا الاسم الذي أعطته لها سارة عندما أخذتها من ذويها عند رحيلهم من مصر والكتاب المقدس لم يذكر السبب الذي من أجله تركت هاجر أرضها وأهلها لكي تصبح جارية لسارة . وهناك روايتان يتناقلهما المؤرخون، الأولى أن هاجر كانت ابنة فرعون وقد تعرفت على سارة عندما أخذها فرعون لتكون زوجة له ظنا منه أنها أخت إبراهيم . وقد تعرفت على هاجر وربما تكون قد بشرتها بالإله الواحد الذي تعبده فاقتنعت هاجر وأمنت بالله . وعندما غادرت سارة قصر فرعون فضلت هاجر أن تذهب معها لأنها كانت قد أحبتها ورأت في رحيلها مع سارة وإبراهيم فرصة للتخلص من عبادة الأصنام التي كان يعبدها قدماء المصريين في ذلك الوقت . واضطرت سارة أمام رغبة هاجر

في الرحيل معهم أن تشرح لها أن وضعها سوف يتغير من أميرة إلى جارية ، فقبلت هاجر الوضع الجديد . أما الرواية الأخرى والأكثر تصديقا من الأولي فهي أن هاجر كانت من عائلة متواضعة وأن إبراهيم اشتراها أثناء وجوده في مصر وأهداها لسارة لتكون جارية لها.

وتبدأ قصة هاجر في الكتاب المقدس عندما فكرت سارة أن تحل مشكلة عقمها بنفسها فطلبت من إبراهيم أن يتزوج من هاجر ليرزق منها بالبنين الذين وعده الله بهم ، فقد شعرت أن الله لم يحقق وعده لأنها قد تقدمت في الأيام ولم يخطر ببالها أن الله يستطيع أن يهبها ذرية حتى ولو كانت قد شاخت . وكان تفكير سارة في هذا الموضوع خاطئا ولكن الطريف أن إبراهيم وهاجر لم يحتجا بل وافقا عليه فاشتركا مع سارة في الخطية التي تفتق ذهنها عنها . فقد كان المنتظر أن يوبخ إبراهيم امرأته على عدم إيمانها وأن يرفض ما اقترحته عليه سارة. أما هاجر فرغم أن هناك احتمال أنها آمنت بإله إبراهيم إلا أنها رحبت بالفكرة التي ستجعلها زوجة لسيدها ورأسها برأس سارة سيدتها. وتزوج إبراهيم بها وأنجب منها إسماعيل .

تعالوا نتأمل نتائج هذه الخطية التي اشترك فيها ثلاثتهم . أولا سارة صاحبة الفكرة يقول الكتاب أن هاجر عندما رأت أنها حامل تعالت على سيدتها وذاقت سارة لأول مرة في حياتها الغيرة من امرأة أخري تتعالى عليها وتنافسها في حب رجلها . وكانت الطامة الكبرى أن منافستها لم تكن سوى جاريتها التي تمتلكها والتي تستطيع أن تفعل بها ما تشاء . وكان رد سارة أنها أذلت هاجر وعاملتها معاملة سيئة لدرجة أن هاجر صممت أن تهرب . ورغم أنها كانت تعلم أن في هربها خطر على حياتها لكنها لم تبالِ. فغادرت المخيم وانطلقت هاربة. وعندما فرغ ما أخذته معها

من ماء وجدت بئرا وملأت وعاءها بالماء مصممة أن تتابع هربها . ولكنه الله أرسل لها ملاكا ليقنعها أن تعود لسيدتها . ونلاحظ أنه عندما خاطبها قال لها «يا هاجر جارية ساراي» (تك ١٦:٨) مذكرا لها بالحقيقة التي قد تكون قد ثارت عليها وأنكرتها. وقد أمرها الملاك أن تعود لسيدتها وأن تخضع لها. ووعدها بأنها ستكون أما لكثيرين وأنها ستلد ابنا وتسميه إسماعيل . فعادت هاجر إلى سارة ولم تتعال عليها بل خضعت لها كما أمرها الملاك. ولم تنته معاناة سارة برجوع هاجر بل كانت تتعذب كلما نظرت إلى إسماعيل وتغار منها فقد أستمر عقمها ولم يعطها الله الابن الذي وعد به . وانتظرت سارة ١٤ عاما قبل أن يعطيها الرب إسحق . وكانت هذه السنين طويلة على سارة التي أصبحت في التسعين من عمرها وإبراهيم في المائة ولم يرزقا بابن الوعد بعد لدرجة أنه عندما زارهم الرب مع الملاكين اللذان ذهبا لسدوم وعمورة . وكرر وعده لإبراهيم قائلا له أنه في خلال السنة القادمة سوف يرزق بابن من سارة ضحكت سارة غير مصدقة . وهذا ما عانته سارة من دفعها هاجر إلى حضن إبراهيم . ونسأل هل عاني إبراهيم لموافقته على خطة زوجته والجواب نعم . فعندما هربت هاجر تحمل في بطنها ابنه البكر تألم إبراهيم فبدل أن يحميها هي وابنه من أي شر ، يصبح يوما فيخبرونه أن هاجر هربت . وقد يكون إبراهيم شعر بأنه قصر في حسم النزاع بينها وبين سارة ولام نفسه عند هربها . وبعد رجوعها وولادة إسماعيل كان عليه أن ينتظر ١٤ سنة قبل أن يعطيه الرب ما وعده به . وحتى بعد ولادة إسحق أصرت سارة على طرد هاجر وأبنها إسماعيل . يخبرنا الكتاب أن إبراهيم تألم عندما سمع هذا وفكر في الوقوف ضد سارة مدافعا عنهما . ولكن الله أمره أن يطيع قولها ووعده أنه سوف يحافظ على حياتهما فرضخ إبراهيم وأرسل

هاجر وإسماعيل بعد أن زودهما بالطعام والماء على قدر ما استطاعا أن يحملا . ولم يكن هينا على إبراهيم أن يودع ابنه البكر إلى حيث لا يعلم أين هو . أما هاجر فقد عانت هي الأخرى لاشتراكها في خطية سارة ويكفي ما قلناه لنعرف أنها هي الأخرى قد دفعت ثمنا غاليا . وتستمر قصة هاجر بأن نفذ ما أعطاها إبراهيم من طعام وماء ولم تجد بئر ماء كما حدث في هربها الأول واشرف اسماعيل على الموت عطشا . ولم تطق هاجر أن ترى ابنها وهو يلاقي الموت أمام عينيها . فوضعته في ظل أحد الأشجار وابتعدت عنه قليلا حتى لا تتعذب وهي تستمع إليه يلفظ أنفاسه الأخيرة . وتذكرت حياتهما وما قاسته فرفعت صوتها وبكت . وكان إسماعيل يبكي هو الآخر ويرفع صوته يطلب من الله أن ينقذه وهو يتأوه من الألم . فالكتاب يذكر أن «الله سمع صوت الغلام . فنادي ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر لا تخافي لأن الله سمع صوت الغلام حيث هو» (تك ٢١:١٧) ووعدها الملاك أنها وابنها سوف يعيشان حتى تري ابنها وقد أصبح أمة عظيمة . وفجر الله لها بئر ماء ارتوت منه هي وإسماعيل . وعاش إسماعيل وكان الله معه فكبر (تك ٢١:٢٠) . يخبرنا الكتاب أن هاجر عادت إلى مصر موطنها الأصلي وأنها أخذت لإسماعيل زوجة من المصريات . والسؤال هنا هل نسيت إله إبراهيم الذي أنقذها هي وابنها من موت محقق ؟ وهل نسي إسماعيل ما علمه أبوه عن ألهه الذي أحبه وأخلص له ؟ أغلب الظن أن هاجر عادت لعبادة الأصنام وتبع إسماعيل أمه فعبد الأصنام كذلك . ونسأل لماذا أنقذ الله إسماعيل وجعله أمه عظيمة ؟ لا أحد يعلم ولم يكتب الكتاب المقدس شيئا عن هذا . فالله ليس من عادته أن يفسر أعماله لبني البشر إلا في حالات نادرة . وقد يكون السبب أن الله فعل هذا ليستعمل أولاد إسماعيل ليؤدب بهم شعبه المختار عندما

يبتعدون عنه ويعبدون آلهه أخرى. لقد ذكر الكتاب أن الله أستعمل الكنعانيين ليؤدب شعبه فكان يقويهم ويقوي غيرهم كالفلسطينيين ليتغلبوا على بني إسرائيل ويذلونهم كلما تمردوا عليه . وهذا ما يحدث الآن بين إسرائيل وجيرانها العرب .. فهل تتعظ إسرائيل؟

٤- رفقة

المرأة القوية التي نفذت بخداعها إرادة الرب

رفقة امرأة أسحق . وقد اخترناها للدور الهام الذي لعبته في تاريخ الأمة اليهودية . تبدأ قصة رفقة عندما أراد إبراهيم أن يطمئن على أبنه الحبيب إسحق قبل رحيله من العالم . فقد شعر إبراهيم بقرب انتقاله ولعلمه أن زواج إسحق سيؤثر على مستقبله وربما على الاتجاه الذي سيأخذه في حياته من بعده ، رأى أن من واجبه أن يتدخل محاولا أن يساعده في إيجاد المرأة التي سوف يتزوجها ابنه الحبيب . ولم يكن هذا التدخل من جانب الوالد في زواج أولاده شيئا غريبا بل كان مقبولا من الجميع في ذلك الوقت. ولذلك لم يذكر الكتاب المقدس أن إسحق إعترض على خطة أبيه في اختيار زوجته . وإن كان خضوع الأولاد لآبائهم في ذلك العصر راجعا لسطوة الآباء وجبروتهم إلا أنه في حالة إسحق كان خضوعه راجعا أيضا إلى العلاقة الخاصة التي كان يعرفها بين أبيه والله . فقد نوه بها إبراهيم لابنه في مناسبات عديدة وحكي له القصة الكاملة بعد ما أمره الله أن يقدم ابنه محرقة له وعزم أبيه على طاعته وكيف تدخل الله في اللحظة الأخيرة لينقذ إسحق من موت محقق . وكانت خطة إبراهيم بسيطة وهي أن يرسل أكثر عبيده إخلاصا ولعله أليعازر إلى الأرض التي تعيش

فيها عائلته ليختار لابنه زوجه منها . وعندما نفكر في هذه الخطة نجد أنها لا تتفق مع العقل أو المنطق . فكيف يختار عبد زوجة لسيده ، ولماذا لم يرسل معه إسحق ليختار عروسه بنفسه ؟ ولكن يبدو أن إبراهيم بني خطته على إيمانه بالرب .. وكانت نظرته للموضوع أبعد من عبده وما كلفه به . فقد كان إبراهيم يعلم أن الله هو الذي سيختار زوجة لإسحق . وأن أليعازر العبد ما إلا الأداة التي سيستعملها الله في اختيارها . وكان هذا واضحا فيما قاله إبراهيم له فقد قال «الرب إله السماء الذي أخذني من بيت أبي ومن أرض ميلادي والذي كلمني والذي أقسم لي قائلا لنسلك أعطي هذه الأرض هو يرسل ملاكه أمامك فتأخذ زوجة لابني من هناك» (تك ٢٤:٧) .

ويبدو أن إسحق قد وافق على ما قاله أباه فلم يعترض بل أطاع . ورحل أليعازر إلى حاران إلى مدينة ناحور أخو إبراهيم . وهنا نجد دليلا آخر أن إليعازر العبد كان أيضا يعلم أن الله هو الذي سيختار زوجة أسحق . فقد رفع صلاة يطلب فيها منه أن يساعده وطلب منه آيه أن من يطلب منها أن تعطيه ماء ليشرب فتفعل ثم تتطوع بأن تسقي جماله العشرة تكون هي التي أختارها الله لتكون زوجة لسيده.

إن الإتكال على الله في كل أمورنا مظهر مهم في حياة التسليم التي يطلبها الله من كل من يؤمن به . فمادمنا نعلم أنه يحبنا وأنه قادر أن يدبر كل أمورنا فمن الطبيعي أن نسلمه حياتنا تسليما كاملا ليدبرها كما يشاء وهذا ما صنعه إبراهيم وإسحق وأليعازر في اختيار زوجة لإسحق . ويخبرنا الكتاب المقدس أن أليعازر استراح عند البئر وأن رفقة ابنة ناحور كانت أول من أتي ليستقي ماء من البئر . وعندما سألها أليعازر أن تعطيه ليشرب أعطته وقالت له وسوف أستقي لجمالك أيضا . ونلاحظ هنا سرعة

استجابة الله لصلوات أليعازر . وقد يندهش البعض لسرعة الاستجابة في هذه الحالة لأننا أحيانا نصلي من أجل شئ لمدة قد تطول إلى عشرات السنين قبل أن يستجيب لنا الله . والسبب في هذا أن الله لا يخضع لتوقيتنا . نحن تحت الزمن أما هو فخارجه. وهو يستجيب حسب ما يراه في صالحنا روحيا وجسديا . ففي حالة عبدإبراهيم إختار الرب أن يستجيب ولم يكد العبد ينتهي من صلاته حتى يعلم في التو أن صلاته قد وصلت وأن هذه الفتاة الجميلة هي التي أختارها الله لتكون زوجة لإسحق . وسجد أليعازر لله الذي أنجح طريقه وأعطاها هدية قيمة هي بمثابة عربون موافقة إسحق على أن يتزوجها . ونلاحظ أنه لم ينتظر حتى يخبر أهلها أو يخبرها هي فقد كان يعلم أن الله أنهي الأمر . وذهب هو وقافلته إلى بيت ناحور بدعوة من رفقة . وعندما أخبرتهم بما حدث وأخبرهم إليعازر بالقصة من أولها وافق والدها دون تردد قائلا «من عند الرب خرج الأمر» (تك ٢٤:٥٠) . إلى الآن لم يسأل أحد رفقة عن رأيها وسألوها فقط عندما طلب أليعازر أن يرحل بعد قضاء ليلة واحدة عندهم . عند ذلك اعترض أخوها مقترحا أن يمكث معهم عشرة أيام يودعون فيها رفقة قبل رحيلها . وعندما ألح أليعازر سألوا رفقة عن رأيها . عندئذ قالت «أذهب» وعندما نسأل هل وافقت رفقة على سرعة رحيلها لأنها أرادت أن تنفذ إرادة الرب دون إبطاء أو لأنها استمعت إلى ما قاله أليعازر عن غني سيده فأرادت ألا تضيع أي وقت قبل أن تعيش في الترف الذي تتوقعه ؟ لسنا نعلم ولكننا نعلم أن رفقة كانت امرأة طموحة وقد ظهر هذا الطموح واضحا فيما أرادته لأبنها يعقوب . وقد أدي بها هذا الطموح إلى الغش والكذب والخداع .

وذهبت رفقة مع أليعازر وقابلت إسحق . ويخبرنا الكتاب أن إسحق أحبها من النظرة الأولى كما يقولون . واستمر يحبها طول

حياته فلم يتزوج من أخرى رغم أن تعدد الزوجات كان شيئا مقبولا في تلك الأيام . وعاشت رفقة مع إسحق الذي كان يكبرها بحوالي عشرين سنة . ولكن الله أغلق رحمها فلم ترزق بذرية . وصلي إسحق إلى الله ففتح رحمها وأعطاها ولدين توأمين يعقوب وعيسو . ورغم أنهما كانا توأمين إلا أنهما كان مختلفين تمام الاختلاف . فقد كان عيسو قوي البنية غزير الشعر يحب معيشة الخلاء صيادا ماهر بينما كان يعقوب هادئا أملسا يحب عيشة الخيام قريبا من أمه ولذلك أحب اسحق عيسو بينما أحبت رفقة يعقوب . ورغم أنهما من سن واحد إلا أن عيسو ولد أولا ثم أعقبه يعقوب بعد ذلك ولذلك أعتبر البكر ووارث بركة أبيه . ولم يعجب هذا رفقة التي رأت أن ابنها المفضل عندها سوف يُحرم من كل هذه المزايا لأنه خرج إلى الوجود لحظات بعد أخيه . وهنا نرى طموح رفقة الذي لم توقفه الظروف ولا حب إسحق لعيسو فقد صممت أن يحصل يعقوب على البكورية والبركة التي تأتي معها. لقد كان هناك خلاف كبير بين هذين الزوجين في أمر من أهم الأمور . ويدل هذا الخلاف على احتمال فقد المحبة بين اسحق ورفقة . لقد ذكر الكتاب أن إسحق أحب رفقة ولكنه لم يذكر أن رفقة أحبت إسحق . وقد ظهر هذا ليس فقط في اختلافهما الخطير ولكن ظهر في التآمر الذي خططته رفقة لتخدع زوجها لتحقيق طموحها وآمالها للابن الذي أحبته . فعندما أحس إسحق بقرب انتقاله أراد أن يبارك عيسو بالبركة التي يستحقها رغم أنه إحتقر البكورية وباعها ليعقوب مقابل وجبة عدس . ودعي إسحق ابنه عيسو وطلب منه أن يصطاد غزالا ويطهيه بالطريقة التي يحبها فيأكل منه ويباركه . وكانت رفقة تستمع فقالت ليعقوب أن يحضر لها جديان وأعدتهما على طريقة عيسو وألبسته قميص عيسو وقالت له أدخل أعطي أبيك ما أعددته وخذ البركة . واعترض

يعقوب ليس لأنه خاف الله بل خاف لئلا يكتشف أباه الخدعة فيلعنه بدلا من أن يباركه . ومعني هذا أن يعقوب كان موافقا على خداع أمه فقد خدع أخاه وأخذ منه البكورية . وعندما أخبرته أمه أنها ستضع جلد الذبيحة على يديه وافق ودخل مخدع أبيه وأخذ البركة . إن كل ما حصل كان حسب إرادة الرب . فهل معني هذا أن رفقة لم تخطئ فيما فعلت وأن الله لم يحسب لها هذه الخطية؟ والجواب هنا أن الله يستخدم بعض ما يفعله بعض الخطاه بمحض إرادتهم لينفذ إرادته . وفي الكتاب المقدس عشرات الأمثلة على هذا ولكن أوضحها ما فعله يهوذا الاسخريوطي . فرغم أن السيد المسيح له المجد جاء ليصلب وأن خيانة يهوذا أدت إلى هذا إلا أن المسيح نفسه أدان يهوذا عندما قال «ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان . كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد» (مت ٢٤:٢٦) نلاحظ كذلك أن التمييز بين الأخوة شئ ضار بالسلام العائلي ويؤدي في كثير من الأحيان إلى عواقب وخيمة . إن بعض الأطفال نظرا لذكائهم أو خفة دمهم يُحبون أكثر من أخوتهم وتفضيل الأولاد عن البنات لازال موجودا في كثير من عائلاتنا .. كل هذا يجب أن يختفي لأنه عندما يظهر يُسبب كراهية وغيرة وحقد بين الإخوة ، وقصة يعقوب وعيسو وكذلك يوسف الصديق وما حدث له توضح لنا جميعا عواقب هذه العادة الخاطئة .

نعود لقصة رفقة وخداعها لزوجها . يخبرنا الكتاب أنها نجحت فيما خططته وحصل يعقوب على بركة أبيه . ولكن ماذا كانت العواقب ؟ أولا كراهية عيسو ليعقوب وتصميمه على قتله . ثانيا اضطرار يعقوب للهرب من وجه أخيه إلى الأرض التي أتت منها أمه . فلم تره رفقة بعد ذلك فقد ماتت قبل أن يعود لوطنه بعد غربة دامت عشرين سنة . وليس من الصعب أن نتصور الفجوة التي كانت بين إسحق ورفقة والتي اتسعت بعد نجاحها في خداعه.

ثم زواج عيسو من امرأتين من بنات الكنعانيين الشيء الذي أحزن أباه وأمه. أما نتائج الخداع في حياة يعقوب فكانت غربته عن عائلته وخداع لابان خاله له عندما أعطاه ليئة كزوجة بدلا من راحيل التي أحبها وانتظرها سبع سنوات .. ولا نعلم ماذا فعلت رفقة بعد رحيل يعقوب . هل تابت وندمت على خداعها لإسحق . لم يذكر الكتاب شيئا عن هذا . ولكن أغلب الظن أنها تابت عندما تأملت في نتائج خداعها وتقدمت بها الأيام وبذلك استحقت أن تكون جدة لأسباط إسرائيل الأثنى عشر التي أتي من نسلهم المسيح له المجد .

٥ - راحيل

المرأة التي امتزج في حياتها الحب بالأسى

كانت راحيل زوجة يعقوب . وأول ما يلفت النظر في حياتها أن اسمها معناه الظبي وهي أول من سمي على اسم حيوان في العهد القديم وقد يكون والدها عندما رأي إبنته في جمال الظبي وبراءته سماها بهذا الاسم . كذلك نلاحظ أنه رغم أنها لم تنجب سوى إثنين من أسباط إسرائيل الإثني عشر وهما يوسف وبنيامين إلا أن النبوة التي سجلها أرميا النبي عن قتل أطفال بيت لحم حين قال «راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى» (أر ٣١:٥) ، أعتبر فيها راحيل أما للشعب اليهودي بينما أنجبت ليئة أختها ستة من أسباط إسرائيل . ويذكر الكتاب أن راحيل كانت جميلة وأن يعقوب سباه جمالها من اللحظة التي وقعت عيناه عليها . ويسأل البعض هل كان جمال راحيل جسديا فقط أم كان بعضه يرجع إلى صفاتها ومعاملاتها للآخرين. وليس من الصعب

أن نقول أنها كانت ذات صفات تحبب الآخرين فيها .. ولو كانت غير ذلك لما استمر يعقوب يحبها حتى انتقلت من هذا العالم .

وتبدأ قصة راحيل عندما قابلت يعقوب على بئر الماء التي كانت تستقي منه كل يوم . وكان الله قد ظهر ليعقوب في بيت إيل وأخبره بأنه سيكون معه ويحافظ عليه في أي مكان يذهب إليه . حدث هذا بعد أن خدع أباه وأخذ البركة التي كانت لعيسو . فهل معنى هذا أن الرب لم يحسب له خداعه لأبيه خطية ؟ أغلب الظن أن يعقوب ندم على فعلته قبل أن يباركه الرب أو بعدها وأن الرب باركه وغفر له خطيته ولكن هذا لم يمنع أن يعاقبه بالطريقة التي يراها والتي سنتحدث عنها فيما بعد. وعندما قابل راحيل عند البئر كان من الممكن أن تكون ليئة هي التي أمرها والدها أن تسقي القطيع ذلك اليوم ولكن الله كان قد اختار أن تكون راحيل هي أول من يراها يعقوب من أولاد خاله وأن يقع في حبها في تلك اللحظة .. ويذكر الكتاب أنه عندما عرف من هي قبلها وبكي . ولم يكن في عمله ما يشين فقد كان هذا هو العرف في تلك الأيام أن أبناء العم وأبناء الخال يمكنهم أن يقبلوا بعضهم بعضا بقبلة أخوية . ولعل يعقوب شعر عندما رأى راحيل أنها هي المرأة التي ستكون زوجة له ولذلك نراه يساعدها لكي تستقي قطيعها ونلاحظ أن راحيل أخذته بفرح إلى بيت أبيها وقدمته لعائلتها ، وقد يكون هذا دليلا أن راحيل قد أحبت يعقوب كما أحبها ، رغم أن الكتاب لم يذكر هذا صراحة . ورحب لابان بيعقوب وأكرمه فأقام معه . ولم يستطع يعقوب أن يطلب يد راحيل من أبيها فقد كان عليه أن يعطيه مهرا كالعادة في تلك الأيام فاضطر أن يخدم لابان سبع سنين دون أن يتقاضي أجرا وكان هذا هو المهر الذي قدمه ليتزوج بمن أحبها ، ويخبرنا الكتاب أنه من فرط محبته لها مرت عليه السنين السبعة وكأنها أياما قليلة . فكان كل يوم يمر عليه يقضيه

في أحلام لا تنتهي عن حياته المستقبلة مع راحيل . ولكن بعد هذا الانتظار الطويل لم يرض لابان أن يزوجه براحيل بل خدعه وأعطاه ليئة بدلا منها .. وعندما أعترض يعقوب أخبره أن العادة ألا تتزوج الأخت الصغرى قبل الكبرى ، وكان على يعقوب أن يخدم سبع سنين أخرى قبل أن يعطيه لابان راحيل ... ونلاحظ هنا عدة أمور تستحق التفسير . أولا لا يذكر الكتاب أن راحيل ثارت أو اعترضت على خداع أبيها ليعقوب في إعطاؤه ليئة بدلا منها فهل السبب في هذا أن راحيل لم تكن تحب يعقوب فلم تبال؟ أم أنها كانت متسامحة أم أنها خضعت لحكم أبيها لأن هذه كانت العادة في ذلك الزمان أن يخضع الأولاد لحكم الأب مهما كان جائرا ؟ كذلك نلاحظ أن الله سمح بهذا الخداع ونحن نعلم أن الله وعد يعقوب بالبركة . فلماذا سمح بهذا ؟ أغلب الظن أن الخداع كان جزءا من عقاب الله ليعقوب لخديعته لأبيه لأنه مكتوب «بالكيل الذي تكيلون به يكال لكم ويزداد» (مت ٧:٢) فقد أذاق الله يعقوب مرارة الخداع في فم المخدوع . ونلاحظ أيضا أن ليئة لم تعترض على خطة أبيها بل أطاعت ولعلها كانت تحسد راحيل على محبة يعقوب وتتمنى لو كانت هي التي أحبها يعقوب .

وقد تعرضت راحيل بعد زواجها لشدة أخرى فقد أقفل الله رحمها فلم ترزق بذرية بينما أنجبت ليئة ليعقوب أربعة بنين وهم رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا . وكانت راحيل تتعذب كلما رأت أولاد ليئة. ولكن بدل أن تطلب من الله أن يعطيها ذرية نجدها تطلب من يعقوب قائلة «هب لي بنين وإلا فأنا أموت» وحمى غضب يعقوب على زوجته التي يحبها وقال لها أن الله هو الذي أغلق رحمها وهو الذي يستطيع أن يعطيها ذرية . عند ذلك لجأت راحيل إلى نفس ما لجأت إليه سارة عندما كانت في موقف مماثل فدفعت هاجر جاريتها إلى حضن إبراهيم . فقد أعطت راحيل جاريتها

بلهة إلى حضن يعقوب فرزق منها بذرية. وقد أنجب يعقوب منها ولدين هما دان ونفتالي . فعندما رأت ليئة أنها لم تعد قادرة على إنجاب ذرية بسبب لا نعلمه دفعت هي الأخرى جاريتها زلفة إلى حضن يعقوب فأنجب منها ولدين هما جاد وأشير ثم فتح الله رحم ليئة بعد ذلك فأعطت يعقوب يساكر وزبولون وأخيرا استجاب لرغبة راحيل فأعطاها يوسف وبنيامين. يخبرنا الكتاب أن يعقوب أصبح غنيا وكثرت مقتنياته فعزم أن يترك لابان وان يعود إلى أرض كنعان . وعندما عرض الأمر على امرأتيه وافقا . فجمع يعقوب كل ماله ورحل عن حاران في غياب لابان . ولما رجع لابان وأخبروه أن يعقوب قد رحل وكل ماله تبعه. وعندما أدركه عاتبه على رحيله المفاجئ واتهمه بسرقة آلهته . واستشاط يعقوب غضبا وأنكر وجود آلهة لابان في قافلته .. وكانت راحيل قد أخذتها دون أن تخبر أحد . لماذا فعلت رحيل هذا ؟ أغلب الظن أنها كانت لازالت تؤمن بأهمية هذه الآلهة المصنوعة بالأيدي وأخذتها استبشارا بها وطلبا لحمياتها . ويبدو هذا غريبا فراحيل التي عاشرت يعقوب هذه السنين كلها ولمست إيمانه بربه وعرفت قوته فقد أنهي عقرها ومنحها ولدين . ويدلنا هذا أنه ليس من السهل أن يتغير الإنسان إذا شب على شئ فالمثل يقول «من شب على شئ شاب عليه» ولم يخبرنا الكتاب برد فعل ما فعلته راحيل في تفكير يعقوب وعلاقته بها . ولكنه يخبرنا أنه عندما وصل إلى أرض كنعان أخذ آلهة رحيل وطمرها في الأرض . وأغلب الظن أنه وبخ امرأته على ما فعلت وحكي لها عن إله آبائه وعن مقابلته له في طريقه إلى حاران وعن وعده له بالبركة والحماية. ويبدو أن راحيل أقتنعت بكلامه فآمنت بالرب . ولذلك نجد أنها لم تعود لعبادة الأصنام بعد ذلك .

ونلاحظ أنه لما ولد يوسف سمته راحيل غالبا بهذا الاسم الذي

معناه «يزيدني الرب أبنا آخر» فهل كان صاحب التسمية راحيل أم يعقوب ؟ وإذا كانت راحيل فهل كانت تؤمن عندما استجاب الله لها وأعطاها يوسف ؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف سرقت أصنام أبيها ؟ فهل كان إيمانها بالرب في بدايته وكان إيمانها بالأصنام لازال قويا ؟ ونلاحظ أيضا أن ليئة لم تشارك أختها في فعلتها مما يفهم منه أنها لم تكن حريصة على عبادتها وربما سبقت راحيل في الإيمان بالرب كما سبقتها في إنجاب ذرية ليعقوب .
وبعد أن استقر يعقوب وعائلته في أرض كنعان حملت راحيل للمرة الثانية وكانت ولادتها عسرة فماتت أثنائها . وأحست راحيل بموتها فسمت ابنها الثاني «بن أوني» أو ما معناه «ابن الحزن». ولكن بعد موتها لم يوافق يعقوب على هذه التسمية وأعطي ابنه الأخير أسم «بنيامين» ومعناه «ابنى الذي هو يدي اليمني» فقد قوي إيمانه بالرب بعد أن صارعه في طريقه على كنعان وسلمه حياته تسليما كاملا . هذه هي حياة راحيل المرأة التي أحبها زوجها حبا يضرب به المثل والتي أختارها الله لتكون الأم المعترف بها لأسباط إسرائيل الإثني عشر .

٦ - ثامار

المرأة التي تزوجت حماها

ثامار هي المرأة الكنعانية التي كانت حياتها نموذجا لمن تنكر لها الحظ ولكن الله من أجل تعطفاته الجزيلة على بني البشر ابتسم لها وأنعم عليها فأعطاها سؤل قلبها فرزقت بابن سمته فارص ومن خلاله حصلت ثامار الغير يهودية على شرف حُرمت منه معظم نساء بني إسرائيل لأن من نسلها جاء السيد المسيح له

المجد .

وتبدأ قصة ثامار في الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين . يقول الكتاب أنه بعد أن باع إخوة يوسف أخاهم للإسماعيليين النازلين إلى مصر نزل يهوذا عند أحد أصدقائه وهو رجل عدلامى أسمه حيره .. وفيما هو هناك أعجب بإبنة رجل كنعاني أسمه شرع فتزوجها وأنجب منها ثلاثة بنين سماهم عير وأونان وشيله . ونلاحظ هنا أن يهوذا أخذ لنفسه زوجة من الكنعانيين مخالفا بذلك أمر الرب الذي نهي بني إسرائيل عن الزواج من نساء أجنبيات خوفا من أم يميلوا وراءهم ويعبدون آلهتهم الغريبة . وكان أمر الرب منذ البدء أن يفني بنو إسرائيل كل الشعوب التي أعطاهم أرضهم كميراث أبدي . ولكن بني إسرائيل لم يستطيعوا أن يفعلوا هذا لأن الرب لم يكن دائما معهم. فكانت النتيجة أن الكنعانيين لم ينقرضوا بل عاشوا بين بني إسرائيل يخدمونهم ويخضعون لهم عندما يطيعون الله وينقلبون عليهم عندما يتركونه وينغمسون في أعمالهم الشريرة. وهنا نري أن يهوذا خالف أمر الرب بزواجه من امرأة غريبة ولكن لم يذكر الكتاب ان الله عاقبه . وأغلب الظن أن الذين لم يميلوا لعبادة آلهة أخرى رغم زواجهم من أجنبيات لم يعتبر الله لهم هذا الزواج خطية تستحق العقاب .

نعود لقصة ثامار . وكان لما كبر عير وهو بكر يهوذا زوجه أبوه من امرأة كنعانية اسمها ثامار . وكان عير شريرا في عين الرب . ماذا كانت خطاياه لم يخبرنا الكتاب . ولعلها كانت من تلك الخطايا الخفية التي لا يعملها إلا الخاطئ والله ... المهم أن الله الذي لا يخفي عليه أمر رأي أن خطايا عير كافية لأن يحكم عليه بالموت .. وأصبحت ثامار أرملة ولكنه لم يدم ترملها لأن الشريعة كانت تحتم على أخ الزوج ، الذي مات قبل أن ينجب ذرية أن

يتزوج بامرأة أخيه حتى يقيم ذريه لأخيه . وبناء على هذا أعطي يهوذا ابنه الثاني أونان لثامار ليكون زوجا لها. وكان أونان شريرا كأخيه ولكن الكتاب ذكر الخطية التي من أجلها أستحق حكم الموت هو الآخر . وكانت خطيته أنه رفض إقامة نسل لأخيه . وقد كان بوسعه أن يرفض زواجه من ثامار . ولكن كانت ثامار على ما يبدو جميلة فاشتهاها أونان وصمم أن يتزوجها حتى لا يبدو أمام الناس مخالفا لشريعة الله وقد أعطاه هذا القبول الظاهري الحق في معاشرتها معاشرة الأزواج ولكنه رفض أن يكون أبا لما تنجبه من أطفال علم من البدء أنهم لن ينتمون إليه بل إلى عير أخيه الذي مات . وكان هذا في منتهى الأنانية من جانبه ، فمن الواضح أن أونان لم يسمع شيئا عن فضيلة إسمها التضحية من أجل الآخرين. فصدر حكم الله عليه كما صدر على أخيه من قبل ويخبرنا الكتاب أن الرب قبح في عينيه ما فعله أونان فقتله. وأصبحت ثامار أرملة للمرة الثانية . وكان المفروض أن يتزوجها الابن الأصغر شيله ولكنه كان صغيرا فوعد يهوذا ثامار أن يزوجها بشيله عندما يكبر فذهبت ثامار إلى بيت أبيها ، وأنتظرت . وكبر شيلة ولكن يهوذا لم يفي بوعده . وقد يكون السبب أن شيله رفض أن يتزوج ثامارا فهي في نظره التي قتلت أخويه الواحد بعد الآخر . وربما يكون السبب أن يهوذا هو الذي رفض خوفا على أبنه الأخير لأن الكتاب يذكر أنه قال في نفسه «لعله يموت هو أيضا كأخويه» (تك ١١:٣٨) .

وانتظرت ثامار طويلا أن يفي حماها بوعده دون جدوى . وماتت امرأة يهوذا . وبعد أيام حدادها نزل يهوذا ليزور صديقه العدلامي حيره . وعلمت ثامار أنه آتي إلى كورتها . ففكرت في الطريقة التي تستطيع بها أن تحصل على حقها في أن تنجب ذرية تملأ حياتها وتكمل أنوثتها . ولما كانت تري أن يهوذا هو الرجل

الباقي في أسرته وهو في نفس الوقت الرجل الذي لم يفي بوعده لها فقد صممت أن تتزوج منه ولو عن طريق الخداع والغش. ورسمت خططتها التي لم يسبق أن فكرت فيها امرأة من قبلها ولا من بعدها . فخلعت ثياب ترملها وارتدت ملابس العاهرات وتغطت وانتظرت يهوذا في مكان عام كانت تعلم أنه سوف يمر به في طريقه إلى بيت صديقه . وعندما رآها يهوذا ظن أنها عاهرة فساومها عن نفسها فوافقت وطلبت منه أجرا . وعندما أخبرها أن ليس معه نقود سألته ماذا تعطيني قال لها سأرسل لك جدي من الماعز فسألته أن يعطيها رهنا إلى أن يرسله فأعطاها خاتمه وعصاه وعصابته .. وحملت ثامار وعادت إلى بيت أبيها . وعندما أرسل لها يهوذا ما وعد به مع رسول لم يجدها فعاد وأخبر يهوذا . وبعد ثلاثة أشهر ظهرت علامات الحمل على ثامار ووصل الخبر إلى يهوذا أن ثامار كنته قد زنت فحكم عليها بالموت حرقا. وعندما أحضروها أخبرته أنها حامل من صاحب هذا الخاتم والعصا والعصابة . فأدرك يهوذا للوقت خطأه في الحكم عليها واعترف لها أنها أبر منه . وقد كان في بطن ثامارا توأمان فارص وزارح . وقد كتب القديس متي نسب السيد المسيح في الاصحاح الأول من بشارته والذي جاء فيه «كتاب ميلاد يسوع المسيح أبن داود ابن إبراهيم . إبراهيم ولد اسحق وأسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامارا وفارص ولد حصرون...» (مت ١:١-٣) .

وإذا تأملنا فيما حدث نجد أولا أنه كان هناك قبولا عاما في ذلك الوقت لخطية الزنا إذا كان الطرفان غير مرتبطان (أي غير متزوجان) .. أليس هذا مماثلا لما يحدث في مجتمعنا الآن .. وأكثر منه يحدث حقيقة قول سليمان الحكيم «لا جديد تحت الشمس». ثانيا نجد أن هناك فرقا كبيرا بين الحكم الذي يوقع

على الأنثى عندما تزني والذي يوقع على الذكر.. فيعقوب لم يلم نفسه ولا أحد لامه عندما زني بثامار ولكن عندما اتهمت هي بالزني حكم عليها يهوذا شريكها في الزني بالموت . هل يذكرنا هذا بما قاله السيد المسيح عن الذي أراد أن يخرج القذي من عين أخيه بينما كانت في عينه هو خشبه كبيرة . أما التأمل الثالث فهو أعجبها وأقلها فهما . كيف سمح الله أن يأتي أبنه من نسل ثامار الزانية ؟

وعندما نقرأ نسب المسيح كما كتبه القديس متى نجد أن هناك امرأتين زانيتين بجانب ثامارا ورد ذكرهما فيما كتبه القديس عمن جاء من نسلهم المخلص ، هما راحاب الزانية وبثشبع امرأة أوريا الحثي . ويرتعش وجداننا ونتساءل كيف يسمح الله الكلي القداسة أن يأتي ابنه من نسل هؤلاء العاهرات ؟ ونتعجب ويزداد عجبنا .. ولكن عندما نتأمل في قصة الخلاص يزول عجبنا ويزداد فهمنا لمفهوم التضحية في خلاص الإنسان وفي معاملة الله للبشر . فلم تكن ثامارا ولا راحاب ولا بثشبع مستحقات لأن يأتي المسيح من نسلهم . ولكن كذلك كل من أتي من نسله ابن الله.. الكل كانوا غير مستحقين لأن يأتي المسيح من نسلهم . والمسيح لم يولد ليخلص الإنسان لأنه مستحق .. بل لأن الله أحبه. إن الخلاص هبة مجانية ، هدية غير مفهومة ، هدية لا يستحقها الإنسان ولذلك هي حقيقة لا يدركها عقله . ألم تقل العذراء مريم أنه أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتواضعين ألم تقل حنة أم صموئيل «يقيم المسكين من التراب ، يرفع الفقير من المزبلة» هؤلاء والآخرين الغير مستحقين هم الذين أنعم الله عليهم بنعمة الخلاص ليثبت للجميع أن الله محبة . فرغم عدم استحقاق أحد لمحبته إذ كان الجميع خطاه ، مات المسيح لأجلنا .

٧ - يوكابد

المرأة التي أنجبت ثلاثة عظماء

كانت يوكابد أم موسى وهارون ومريم ثلاثة من الشخصيات العظيمة في العهد القديم . ورغم أن موسى كان أشهر الثلاثة إلا أنه كان لكل من هارون ومريم دور كبير في الحوادث التي أدت إلى خروج بني إسرائيل من أرض مصر وما حدث لهم في البرية بعد ذلك أي في الفترة التي أمضوها في صحراء سيناء قبل أن يسمح لهم الرب بدخول أرض الموعد.

فدور هارون معروف فهو الذي صاحب موسى في مقابلاته مع فرعون يتكلم عنه أحيانا ويحمل عصاه ويستعملها بالنيابة عنه أحيانا أخرى . ولا ننسي أنه هو الذي أجبره الشعب العنيد أن يصنع لهم العجل الذهبي الذي عبدوه عندما أبطأ موسى على جبل سيناء عند استلامه للوحي الشريعة . ومن الطريف أن الله عاقب الشعب فمات منهم ثلاثة آلاف في يوم واحد . ولكن لم يذكر الكتاب أن الله عاقب هارون فقد قدر الظروف التي أخطأ فيها وأنه أُرغم على ما فعل وعندما تاب هارون سامحه الرب . ويخبرنا الكتاب أن الله قد أختاره ليكون أول كاهن له وأمر أن يبقي الكهنوت في ذريته إلى الأبد يتوارثه الأبناء عن الآباء . أما مريم فسوف نكتب عنها لأنها كانت بمثابة النبية التي كانت تقود نساء بني إسرائيل في الغناء والتسبيح للرب وشكره على معجزاته التي صنعها من أجلهم .

يوكابد هي المرأة التي ولدت هؤلاء الثلاثة وربتهم في خوف الله فشبوا أبطالا في الإيمان وخلدهم التاريخ .

وإذا كانوا يقولون أن كل عظيم وراءه امرأة عظيمة فما بالك

بالمرأة التي كانت وراء ثلاثة عظماء ؟ ورغم أهمية هذه المرأة العظيمة نجد أن الكتاب لم يذكر إسمها حتى بعد أن سجل إبنها موسى قصة ولادته فقد ذكر أنه بعد ولادة هارون ومريم إقترح مستشارو فرعون عليه أن يفعل شيئا في مشكلة ازدياد بني إسرائيل في العدد ذاكرين خطرهم على البلاد خصوصا إذا هاجمها عدو من أعدائها الكثيرين . ولما كان فرعون يعلم أن شعب بني إسرائيل شعب قوي ولن يجدي معه غير إجراء حاسم صمم أن يهلك كل مولود ذكر . فأوصي القابلتين اللتين كانتا تعملان في منطقة بني إسرائيل أن تقتلا الذكور عند توليدهم لنساء بني إسرائيل . ولكن الخطة لم تنجح لأن القابلتين خافتا الرب . فلما رأى فرعون فشل خطته أن يقضى على الشعب بهذه الطريقة المستترة أصدر أمره الصريح لجيشه بالقيام بهذه المهمة. فأصدر أمره للشعب أن يبلغ السلطات عن ولادة أي ذكر لبني إسرائيل ليقتله الجيش. في هذه الظروف ولد موسى ولم يذكر الكتاب أسم أمه أو أبيه عندما سجل قصة ولادته رغم أن الكاتب كان موسى نفسه فقد كتب «وذهب رجل من بيت لاوى وأخذ بنت لاوي فحبلت المرأة وولدت ابنا» (خر ٢:٢) ونتساءل ما السبب ولكننا لا نجد جوابا . وأغلب الظن أن السبب كان تواضع موسى وعدم رغبته أن يذكر أسماء أباه وأمه في بدء الإصحاح ولكنه ذكر أسماءهم مع أسماء بقية رؤساء بيوت بني إسرائيل عندما كتب «وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى» (خر ٦:٢٠) ونلاحظ هنا ملاحظتان. الأولي أن مريم لم تذكر رغم أنها كانت تكبر موسى . والسبب أن العهد القديم كان لا يذكر أسماء النساء عادة إلا إذا كان لإحداهن دورا هاما في مجري الحوادث . وقد ذكر أسم مريم بعد ذلك في عدة مرات في مناسبات كان لها فيها دورا مهما . والملاحظة الثانية أن زواج عمرام بعمته

قد يؤدي إلى أن يحكم عليهما البعض بالشذوذ أو الانحراف بينما الحقيقة أن الزواج من الأقرباء لم يكن محرما في العهد القديم فأبناء العم والعمة والخال والخالة كانوا يتزوجون وقد أستمر هذا في كثير من بلاد الشرق الأوسط إلى وقتنا هذا . ورغم أن الزواج من العم أو العمة أو الخال أو الخالة لم يكن منتشرا إلا أنه كذلك لم يكن محرما. وقد يكون عدم انتشاره راجعا لفارق السن الكبير بين الطرفين . ولكن ممكن أن هذا الفرق بين عمرام ويوكابد لم يكن كبيرا . ومع توافر الأيمان بينهما كان زواجا ناجحا.

واسم يوكابد معناه مجد يهوه أو مجد الله . وهو أول اسم في الكتاب المقدس يضم أسم يهوه وإن دل هذا على شئ إنما يدل على أن إيمان أبواها بالرب كان إيمانا قويا . ويبدو أن يوكابد قد ورثت هذا الإيمان عنهما . وقد تحدث معلمنا بولس الرسول عن هذا الإيمان عندما كتب عن أهمية الإيمان في رسالته للعبرانيين عندما قال «بالإيمان موسى عندما ولد أخفاه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا الصبي جميلا ولم يخشيا أمر الملك» (عب ١١:٢٣) . لقد كان هذا الإيمان إيمان يوكابد التي عندما حملت فكرت أن المولود قد يكون ذكرا فقدمت صلواتها للرب طالبة منه أن يحمي طفلها بعد ولادته . وكانت في شهور حملها تشعر بالسلام الداخلي الذي يشعر به المؤمن الذي سلم حياته للرب . فلم يكن في مقدورها أن تحمي طفلها مدة طويلة بعد ولادته . ويخبرنا الكتاب أنها أخفته ثلاثة أشهر . لقد فعلت ما استطاعت ولكن حان الوقت أن تسلمه للرب ليفعل ما يستطيعه هو . فوضعت طفلها الذي تحبه في السلة وأعطته للرب الذي تثق فيه بأن وضعته بين أمواج النيل. إن إيمانها بقوة الرب وقدرته على إنقاذ طفلها من الخطر المحيط به جعلها ترسل مريم لتشاهد خلاص الرب . وقد شاهدت مريم

خلاص الرب وعادت لتبشر أمها أن الله أنقذ الطفل بأن أرسل له ابنة فرعون التي أحبته وصممت على إنقاذه رغم علمها بأوامر فرعون أباها .

لا يمكننا تصور وقع هذا الخبر على يوكابد . ولكنها غالبا سجدت للرب شكرا على استجابته لصلواتها وهرعت لمقابلة ابنة فرعون لتتفق معها على ما تريده بالنسبة لمستقبل إبنها . لقد كلفتها ابنة فرعون بأن تأخذ موسى إلى منزلها وأن تربيه إلى سن معينة ترجعه بعدها ليتربى في قصر فرعون. لم يخبرنا الكتاب عن عمر موسى عندما أخذته أمه لابنة فرعون . وأغلب الظن أن هذا حدث بعد أن فطمته أمه عندما كان سنتين أو ثلاثة . وقد تكون يوكابد قد أطالت فترة رضاعة موسى عن العادة المتبعة في ذلك الوقت فقد كانت تعلم أنها لن تراه بعد أن تسلمه لإبنة فرعون تعالوا نتأمل في شعور هذه المرأة المؤمنة الشجاعة عندما حلت الساعة التي كان عليها أن تسلم إبنها التي أحبته لإبنة فرعون ليصبح إبنا لها . لا شك أنها حزنت لفراقه وحرمانها منه ولكن إيمانها بالرب الذي أنقذه من موت محقق شددها وجعلها ترفع بصرها مرة أخيرة طالبة منه أن يتولى فلذة كبدها برعايته في مكان لا يعرفه ولا يؤمن به . إن إيمان يوكابد كان أقوى صفاتها ولكن هذا الإيمان ولد فيها صفات أخرى كتسليمها الكامل لحياتها وحياة أولادها لله . كذلك شجاعتها النادرة التي جعلتها تتحدي أمر فرعون عندما أخفت موسى وعندما أخذته لتسلمه لابنة فرعون.

لا نعلم أية تفاصيل عن حياة موسى بعد ذلك . ولا شك أنه تربي في قصر فرعون كأمير مصري لا يعلم سره أحد غير التي تبنته . ونعلم أنه تعلم كل حكمة المصريين وأن الله أرسله إلى هذا المكان ليتعلم ويكتسب ما يمكنه من أن يواجه فرعون عندما يطلب منه الرب أن يعود لمصر ليقود بني إسرائيل وينهي عبوديتهم

لفرعون . وعندما نسأل هل أتصل بأمه أثناء وجوده في القصر نجد أن الكتاب لم يذكر شيئا عن هذا . وأغلب الظن أنه لم يتصل بها ، ولكن يخبرنا الكتاب أنه علم بحقيقة هويته عندما قارب الأربعين من عمره . ولم يقبل أن يدعي مصريا وقد كتب معلمنا بولس الرسول عن هذا عندما قال «بالإيمان موسى لما كبر أبي أن يدعى إبنا لابنة فرعون مفضلا بالأحرى أن يذل مع شعب الله على أن يكون له تمتع وقتي بالخطيئة» (عب ١١:٢٤ ، ٢٥) . من أين أتي موسى بهذا الولاء لأهله وعشيرته إن لم يكن قد رضعه مع لبن أمه وكذلك ما زرعته أمه في وجدانه أثناء وجوده معها . ونسأل هل كانت أمه على قيد الحياة عندما علم بهويته وهل رآها ؟ لسنا نعلم. وأغلب الظن أنها توفت قبل ذلك.

إن قصة يوكابد التي شبت محاطة بأعداء شعبها يعاملوه بقسوة واحتقار تطور إلى قتل أولادهم عند ولادتهم هي قصة أولاد الله المضطهدين من العالم في كل زمان . وقد تحدث السيد المسيح عن هذا عندما قال لتلاميذه «وسوف تكونون مضطهدين من الجميع من أجل أسمي» (مت ٢٤:٩) وكذلك عندما قال «ليس التلميذ أعظم من سيده . إن كانوا لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى أهل بيته» (مت ١٠:٢٤) . وعندما نسأل ماذا ينبغي أن يفعله المضطهدون يصلنا صوت موسى النبي عبر الأجيال وهو يخاطب بني إسرائيل عندما تبعهم فرعون ولحق بهم وظهورهم للبحر الأحمر . صرخ الشعب خوفا من مصيرهم المحتوم فصاح بهم موسى «انظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم .. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون». (تك ١٤:٢٤) .

٨ - مريم النبية

المرأة التي كانت أول نبية لبني إسرائيل

كانت مريم أخت موسى وهي المرأة التي عاصرت أشهر أنبياء العهد القديم وهو موسى النبي . وقد اخترناها للدور المهم الذي لعبته في حياة أخيها وحياة بنى إسرائيل بعد خروجهم من أرض مصر .

وتبدأ قصة مريم في مصر فقد ولدت في أسرة يهودية وكانت أمها تدعي يوكابد وأباها عمرام وكان كلاهما بارين أمام الرب . وكان فرعون مصر قد أمر أن يطرح في النهر كل ذكر يولد للعبرانيين . وعندما ولد موسى لم تطرحه أمه في النهر كأمر فرعون بل خبأته حتى أصبح عمره ثلاثة أشهر. وعندما أدركت أنها لن تستطيع أن تخبئه بعد ذلك ، اختارت أن تضعه بين يدي الرب فوضعته في سلة طلتها بالحمر والزفت ووضعت السلة في المنطقة التي كانت تعلم أن ابنة فرعون تنزل فيها إلى النيل . وكانت مريم تراقب السلة ، وكان عمرها في ذلك الوقت حوالي ١٢سنة . وهنا نري بعض صفات هذه الفتاة . فها هي تتقدم إلى ابنة فرعون بعد أن وجدت السلة بشجاعة ودون أي انفعال يكشف عن هويتها ، تسألها إذا كانت تريد مرضعة من بنى إسرائيل للطفل الذي وجدته . هل شكت ابنة فرعون أن مريم ربما كانت من أقرباء أو معارف الطفل ؟ أغلب الظن أنها خمنت هوية مريم لأنها عرفت أن الطفل طفلا عبرانيا . ويبدو أن ابنة فرعون سرت بما عرضته مريم فطلبت منها أن تبحث عن مرضعة لموسى . وهنا نري يد الله تعمل ، ليس فقط في إنقاذ موسى من موت محقق ولكن كان التدبير الإلهي أن ينشأ موسى في قصر فرعون ليتعلم كل حكمة المصريين . وكان هذا أعداد الله له من ناحية المعرفة

والحكمة حتى يستطيع أن يكون القائد الذي يقود بنى إسرائيل إلى أرض الموعد . ويمكننا أن نتصور فرحة يوكابد عندما عادت مريم وأخبرتها بما حدث . ولم تضيع يوكابد أي وقت بل أخذت مريم وذهبت لتقابل ابنة فرعون وعادت بابنها إلى منزلها لتعتني به . وبما أنه اصبح إبن ابنة فرعون فلم تعد أمه تخشى أن يكتشفه جنود فرعون . فعاشت العائلة في أمان . وفوق هذا كانت يوكابد أول وآخر امرأة في التاريخ ترضع أبنها وتربيه وتأخذ أجرا على ذلك . وبعد حادثة النهر لم يحدثنا الكتاب عن مريم فقد كانت كل الأضواء مسلطة على موسى . وشب موسى في قصر فرعون حتى أصبح رجلا في الأربعين من عمره. وخرج يوما ليفتقد إخوته فإذا به يري مصريا يضرب إسرائيليا فما كان منه إلا إنه قتل المصري وطمره في الرمال . وعندما اتضح أمره هرب من مصر إلى أرض مديان . وأستمر بها ٤٠ سنة وتزوج أثناءها من صفوره . وطابت له الحياة بعيدا عن مصر . ولكن الله لم ينسى بني إسرائيل الذين كانت حياتهم جحيما في مصر فظهر لموسى في العليقة المشتعلة بالنار وإرسله ليقود شعبة من مصر. ورفض فرعون . وضرب الرب أرض مصر بعشرة ضربات عظيمة فرضخ فرعون وسمح لبني إسرائيل أن يتركوا مصر . وكان عددهم في ذلك الوقت حوالي ٢مليون . لقد كانت مريم ضمن الذين خرجوا من مصر ولا نعلم إذا كان أبواها موجودان في ذلك الوقت . وأغلب الظن أنهما ماتا في مصر فقد كانت مريم ٩٢ سنة في ذلك الوقت . فخرجت من مصر في صحبة هارون وموسى . وعندما نتتبع القصة نجد أن إسم مريم قد برز للمرة الثانية بعد أن عبر بنى إسرائيل البحر الأحمر ونجوا من جيش فرعون . ولكن هذه المرة نراها قد أخذت دورا قياديا . فقد تقدمت وقادت احتفال بنى إسرائيل بنجاتهم من الموت المحقق الذي أنقذهم منه

الرب . فترنمت بترنيمة رائعة تمجد فيها الرب . ولم يخبرنا الكتاب من أين أتت بالكلمات التي ترنمت بها وعلمتها للشعب . ولكن أغلب الظن أنها غنتها بإرشاد الروح القدس . ولذلك لقبها الكتاب بالنبيه . وتعتبر مريم من أنبياء العهد القديم وأول امرأة ملأت هذا المنصب الخطير. تعالوا نستمع إلى الكلمات العذبة التي ترنم بها الشعب في هذه المناسبة .

«أرنم للرب فإنه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحهما في البحر. الرب قوتي ونشيدي . وقد صار خلاصي . هذا إلهي فأمجده . إله أبي أرفعه . الرب رجل الحرب . الرب اسمه . مركبات فرعون وجيشه ألقاهما في البحر . فغرق أفضل جنوده ... يمينك يارب معتزة بالقدرة . يمينك يارب تحطم العدو» .

وبذلك أصبحت مريم ليس فقط أول امرأة نبيه في بني إسرائيل بل أصبحت أول من غنى لله وترنم له ، وكانت هي التي أعطت مثالا لكثيرين بعدها أن الترنيم والتسبيح لله من الأشياء التي ينبغي على محبيه أن يمارسوها وأشهر هؤلاء كان داود النبي الذي ترنم لله بمزاميره العديدة . وتختفي مريم لمدة أربعين سنة وهي الفترة التي عاشها بني إسرائيل في برية سيناء عقابا لهم على عدم تصديقهم لوعد الله بأنه سيعطيهم أرضا تفيض لبنا وعسلا . وقد احتملت معهم هذه الحياة الشاقة وشاركت عشيرتها فيما احتملوه تلك السنين الطويلة . ولم يخبرنا الكتاب أنها تزوجت أو أنجبت بل يبدو أنها كرست حياتها لخدمة شعبها وأخويها موسى وهارون . ولكن قبل موت موسى يخبرنا الكتاب أن مريم قادت تذمرا ضده . ويبدو أن روح التذمر التي اتصف بها الشعب الذي خرج من مصر ولم يدخل أرض الموعد قد تمكنت منها فثارت على زعامة موسى .

مريم التي شاهدت بعينيها يد الرب تنقذ أخاها وتدفعه وتعضده

في دوره القيادي . مريم التي شاهدت المعجزات الكثيرة التي أجراها الرب على يديه وعاشت أقرب من أي شخص آخر من الأحداث التي لعب فيها الروح القدس دورا هاما . مريم التي ترنمت بإرشاده واستحقت لقب نبيه ، تتذمر على أخيها موسى ! وعندما يتحدث الكتاب المقدس عما حدث يتأكد لنا أمانة وصدق هذا الكتاب الذي وُصف أكثر من أي كتاب آخر بالتحريف والتزوير . فما سجله الكتاب سجله دون محاباة أو خداع أو مجاملة .. بل سجل الحقيقة البسيطة العارية مهما كانت مؤلمة .. فالذين يدعون أن الكتاب المقدس قد حُرف أو بُدل ، لا يستطيعون إلا أن يقفوا في إعجاب لأنه الكتاب الوحيد الذي حكي كل نقائص وخطايا الشعب الذي أختاره الله وأحبه .

نعود إلى مريم وماذا فعلت .. ثارت مريم على أخيها موسى وأقنعت هارون بأن ينضم لها . ويبدو أن هارون لم يكن قوي الشخصية ، فقد شاهد هو الآخر ما حدث وكيف أن الرب قد ساعد موسى . ولكن نراه يخضع لثورة الشعب عندما اختفي موسى على جبل سيناء ليستلم الوصايا العشرة ، فيصنع لهم التمثال الذهبي الذي عبدوه. ونراه هنا يخضع لثورة مريم ويرافقها في احتجاجها لدي موسى .. ولكن لم يذكر الكتاب أنه عوقب في أي من الحالتين ونسأل لماذا ؟ وهنا تتضح لنا حقيقة روحية كثيرا ما تغيب عنا وهي أن الله يحكم على سلوك كل منا في ضوء الظروف والملابسات التي تحيط به . وهو لم يعاقب هارون غالبا لأنه كان في الحالتين غير مقتنعا بما فعله بل كان مجاملا أو محرجا . أما مريم فقد كانت ممتلئة بالغيرة والحسد وتشكو أنها تستحق دورا أهم مما عينه لها الرب وهي بذلك كانت تتهم الله بعدم العدل وموسى بالكبرياء لعدم رغبته في أن يشرك أحدا في زعامته لبنى إسرائيل . إنها الكبرياء اللعينة التي تهاجم كل منا

وتهمس في الأذن أننا نستحق أكثر مما أعطاه الله لنا . وعندما جابهت مريم موسى بثورتها العارمة أدانته أولا على زواجه من المرأة الكوشية ، ثم تلت ذلك بجوهر شكواها قائلة «هل كلم الرب موسى وحده ! ألم يكلمنا نحن أيضا» (عد ١٢:٢) .

ولم يرد موسى على ما وجه له من اتهامات فلم يقل شيئا . وقد أعطي الكتاب السبب بوصفه «أنه كان حليما جدا أكثر من جميع الناس (عد ١٢:٣) وقد كان حلم موسى الذي ضرب به المثل نابعا من إيمانه القوي بالله . فقد كان يؤمن أن أي أمر يهمه لن يمر دون أن يتدخل فيه الله . وأن ثورة مريم ليست موجهة نحوه هو بل موجه نحو الله . وقد حدث ما توقعه موسى ، فقد حمي غضب الرب وأمر الثلاثة أن يذهبوا إلى خيمة الاجتماع . ونزل الرب في عمود سحاب وتكلم معهم منصفا موسى في أحقيته بالزعامة التي أعطاها له قائلا «أما عبدي موسى فهو أمين في كل شئ . فما إلى فم وعيانا أتكلم معه» (عد ١٢:٨) . وعندما ارتفع عمود السحاب إذا بمريم برصاء كالثلج. لقد عاقبها الرب عقابا شديدا فأصبحت النبيه التي ترنمت للرب وجمعت حولها كل إسرائيل برصاء نجسه لا يقترب منها إنسان . وصرخ موسى للرب لكي يغفر خطيتها ولكن الرب رفض وأصر أن يلازمها البرص أسبوعا كاملا تخرج فيه مريم من المحلة وتعيش في عزلة مع بقية البرص. وفي أثناء هذه المدة ندمت مريم على ما فعلت وتعلمت درسا قاسيا ثمنا لكبريائها وثورتها على الرب . وعاشت مريم بعد ذلك ولكن أغلب الظن أن عطية الرب لها أن تكون نبيه قد سحبت منها. ولم تدخل مريم أرض الميعاد فقد ماتت قبل دخول بني إسرائيل لها . ودفنت في قادش وناح عليها الشعب نياحا عظيما . ويقول المؤرخون أن قبرها وقبر موسى قد أخفاهما الله حتى يمنع الشعب من عبادتهما . فرغم خطيتها الأخيرة إلا أن الشعب كان يحب ويحترم

مريم النبيه التي خدمته سنينا طويلة .

٩ - دبورة النبية

المرأة التي كانت أول قاضية لبني إسرائيل

عاشت النبية دبورة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وهي أول امرأة يختارها الله لتكون نبية له . وبجانب نبوتها كانت أيضا قاضية لإسرائيل قبل أن يكون لهم ملك .

وقبل أن نتابع الحديث عن حياة هذه الإنسانة العظيمة كنبية وقاضية نود أن نوضح من هم القضاة وكيف نشأت هذه الوظيفة. فبعد موت يشوع بن نون لم يرسل الرب لشعبه نبيا لسبب لا نعلمه. وقد يكون السبب أن بني إسرائيل أغضبوا الرب لأنهم لم يُفنوا الشعوب التي أمرهم الرب أن يفنوها بل تركوا الكنعانيين يعيشون حولهم . وسرعان ما تبعوهم فعبدوا آلهتهم البعليم والعشتاروت . وعندما فعلوا ذلك سلط الرب عليهم الكنعانيين فأذلوهم واستعبدوهم فصرخوا للرب . حينئذ استجاب لهم وأرسل لهم قضاة يقودون الشعب في الرجوع إلى الله ويحررونه من نير الكنعانيين . وكان أول هؤلاء القضاة عثنيئيل بن قناز (قض ٣:٩) أخو كالب بن يفنه الأصغر وكان الثاني هو إهود بن جيرا (قض ٣:١٥) وكان الثالث شمجر بن عناة (قض ٣:٣١) . وهو الذي جاءت بعده دبورة النبية وقد كانت المرأة الأولى والوحيدة التي تولت هذا المنصب . وكان الخامس جدعون بن يوآش . وكان الشعب يعود إلى الله كلما ظهر أحد هؤلاء القضاة . وكان كل منهم يقود الشعب للنصر على الكنعانيين فيستتب الهدوء وتستريح الأرض من الحرب . ولكن بعد ذلك كان الشعب يعود لعبادة

الأوثان فيسلط الرب عليهم الكنعانيين فيذلوهم حتى يصرخوا للرب فيرسل لهم قاض ليحررهم وهكذا تكررت الأحداث على هذه الوتيرة إلى أن طلب الشعب من صمويل النبي الذي يعتبر آخر القضاة أن يرسم لهم ملكا .

نعود لدبورة ودورها كقاضية لإسرائيل .. يخبرنا الكتاب أنها كانت تجلس تحت نخلة قريبا من بيتها كل يوم وتقضي بين أفراد الشعب في نزاعاتهم وخلافاتهم . وكان حكمها محترما نافذا فالجميع كانوا يحبونها ويهابونها ويعلمون أنها نبية للرب ولا يسع القارئ أو الباحث إلا أن يسأل كيف وصلت هذه المرأة إلى هذا المركز الرفيع في عالم يسوده الرجل سيادة كاملة . ماذا صنعت هذه المرأة وكيف تمكنت من الصعود إلى هذه القمة العالية . وخصوصا وأن كل من كان قبلها من النساء كن يخضعن لرجالهن دون مناقشة . ويزيد عجبنا عندما نعلم أنها أول من فعل هذا فلم يكن أمامها مثلا أعلى من النساء تقلدها أو تحذو حذوها .. بل صعدت هي بسلوكها وخلقها فوق الجميع رجالا ونساء .. وكان سر عظمتها أنها كانت نبية اختارها الرب لتحمل رسالته للشعب فكان من الطبيعي أن يهبها مع النبوة قوة الشخصية والصلابة في الحق والشجاعة التي اتصفت بها دبورة .

وبجانب النبوة والقضاء كانت دبورة كذلك أماً لبني إسرائيل. لم يخبرنا الكتاب أنها أنجبت ذرية ، فأكبر الظن أن الله سمح أن تكون عاقرا حتى تستطيع أن تتفرغ للخدمة التي عينها لها . ولم يكتف الله بالمواهب التي تحدثنا عنها بل أنعم عليها بشرف آخر نادرا ما كان يعطيه للنساء وهو مهارتها في الحرب .

يحدثنا الكتاب أنه عندما أذل الكنعانيين بني إسرائيل وصرخوا إلى الرب أن دبورة أرسلت إلى بالاق أن يذهب للحرب وكلفته أن يقود الجيش المكون من ١٠٫٠٠٠ محارب ليحارب الكنعانيين

وأخبرته أن الرب سوف يدفعهم ليديه. وكان بالاق يعرف أن جيش الكنعانيين يضم حوالى ١٠٠ر٠٠٠ وأنه مزود بعربات حربية مصنوعة من الحديد عددها ٩٠٠ عربة بينما لم يكن مع جيش إسرائيل غير سيوف قصيرة ولم يكن لديهم عربات من أي نوع ورغم تأكيد دبورة له أن الأمر خرج من عند الرب وأن بني إسرائيل سوف ينتصرون على الكنعانيين رفض بالاق أن يذهب إلا إذا رافقته دبورة . وأمام إصراره ذهبت معه ولكنها حذرته من أنها لو ذهبت معه سوف يُنسب لها النصر دونه فلم يبال . وذهبت دبورة على رأس الجيش وخاضت المعركة بشجاعة نادرة . وأتى الرب إلى عون إسرائيل فأبادوا جيش الكنعانيين فلم يبق منهم أحد ، حتى قائدهم المشهور سيسرا هرب إلى خيمة أحد حلفائه . ولكن يد الرب أدركته هناك فقد قتلته امرأة هذا الصديق وبذلك انتهى حكم الكنعانيين .

وبعد أن انتصرت دبورة على الكنعانيين ترنمت بما حققه الله من انتصار على يديها في قصيدة رائعة أودعتها كل ما شعرت به من تعضيد من الله لها ولشعبه .. وقد سجل الكتاب المقدس هذه القصيدة في إصحاح كامل هو الإصحاح الخامس من سفر القضاة وأضافت دبورة بهذه القصيدة صفة أخرى من الصفات التي وهبها لها الله وهي قدرتها على نظم الشعر .

وعندما نتأمل في كلمات هذه القصيدة نجد أن إيمان دبورة بقوة الله واضحة ، فقد أعطته دبورة كل الفضل في تخلصهم من نير الكنعانيين – قالت دبورة فيما قالت :

«لأجل قيادة القواد في إسرائيل . لأجل انتداب الشعب باركوا الرب . اسمعوا أيها الملوك واصغوا أيها العظماء . أنا أنا للرب أترنم . أزمر للرب إله إسرائيل . يارب بخروجك من سعير ، بخروجك من صحراء أدوم الأرض ارتعدت .. تزلزلت الأرض من

وجه الرب .. أيها الراكبون الأتن الصحر الجالسون على الطنافس والسالكون في الطريق سبحوا ... الرب سلطني على الجبابرة» (قض ٥) .

أخيرا نلاحظ أن اسم دبورة يعني «نحلة» . والمعروف عن النحل أنه دائما مشغول لا يكل ولا يتعب من السعي وراء غذاؤه ومن الدفاع عن خليته . وكان اسم دبورة اسما على مسمى فكما تعطي النحلة العسل لأفراد خليتها وتهاجم بذنبها أعدائها كذلك فعلت دبورة . فقد عملت بنشاط وصبر وأعطت إسرائيل ما قدرها الله عليه من عسل يتمثل في أعمالها وقضائها وزعامتها . أما أعداؤها وأعداء شعبها فقد هاجمتهم بذنبها الحاد حتى أهلكتهم بقوة رب الجنود .

١٠ - امرأة منوح

المرأة التي ولدت شمشون الجبار

هذه المرأة كانت زوجة منوح وقد اخترناها لأنها كانت ضمن عدد قليل من النساء العاقرات واللاتي أستجاب الرب لصلواتهن وأعطاهن رجالا عظام. يحدثنا الكتاب عن سارة وراحيل وحنة واليصابات وزوجة منوح وكلهن عاقرات ، وكان العقر من العوامل التي نغصت حياة هؤلاء النسوة رغم ظروف معيشتهن المتيسرة . وبجانب العقر المشترك اشتركن هؤلاء في إيمانهن وصلواتهن التي لا تنقطع يطلبن فيها من الله أن ينزع عارهن . ورغم أن الكتاب ذكر أسماءهن جميعا إلا أنه لم يذكر اسم امرأة منوح . ويذكر التلمود أن اسمها كان «هصللفوني» وقد ورد أسمها في (أخبار الأيام الأولى ٤:٣) . ومعني هذا الاسم هو «الظل يقع

على» ولا شك أنه اسم على مسمى فقد عاشت هذه القديسة في ظل الرب كل حياتها. وتبدأ قصة هذه المرأة في سفر القضاة عندما كتب كاتب السفر «وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد » (قض ١٣:٢). وكان بني إسرائيل في ذلك الوقت يعيشون بلا نبي ولا ملك فبعد وفاة يشوع بن نون لم يقم فيهم نبي يخضع له الشعب كما كان الحال في أيام موسى ويشوع . وابتعد الشعب عن إلههم الذي أخرجهم بذراع قوية من أرض مصر . وكان الله يؤدبهم بأن يقوي أيدي أعدائهم الفلسطينيين ضدهم فيذلونهم . وعندما يصرخون للرب مدركين أنهم أغضبوه بخطاياهم كان يرسل لهم مخلصا يخلصهم من نير الفلسطينيين ولما كان هؤلاء المرسلين يحكمون أيضا في الخلافات التي تحدث بين الشعب أطلقوا عليهم لقب القضاة .

نعود لقصة منوح وامرأته فنجد أنه في يوم كانت المرأة في الحقل وحدها تراءي لها ملاك الرب في هيئة رجل وقال لها دون مقدمات «ها أنت عاقر لم تلدي ، ولكنك تحبلين وتلدين أبنا . والآن احذري ولا تشربي خمرا ولا مسكرا ولا تأكلي شيئا نجسا فها انت تحبلين وتلدين أبنا ولا يعلو موس رأسه لأن الصبي يكون نذيرا لله من البطن وهو يبدأ يخلص إسرائيل من يد الفلسطينيين» (قض ١٣:٣- ٥) .

نلاحظ هنا أن الملاك لم يظهر لمنوح بل ظهر لامرأته . والسبب أنها ربما كانت أبر من زوجها وربما أراد الله أن يعرفها أن صلواتها هي قد استجيبت وربما أيضا ليحذرها ألا تشرب خمرا ولا مسكرا وألا تأكل نجسا . كم كانت فرحتها عظيمة عندما سمعت هذه البشارة المفرحة فالله قد استمع لطلبتها وسوف يفتح رحمها ليس هذا فقط بل أنها سوف تلد نذيرا للرب وأنه سوف يخلص بني إسرائيل من يد أعدائهم . إن هذه البشارة التي

أرسلها الرب إلى أم شمشون تشبه بشارة الملاك للعذراء مريم بولادة السيد المسيح . فشمشون والمسيح أطلق عليهما لقب المخلص. الأول سوف يخلص بني إسرائيل من عدوهم الأرضي والثاني سوف يخلص كل من يؤمنون به من عدوهم الروحي .

بعد أن أنصرف الملاك ذهبت المرأة إلى زوجها وأخبرته بما حدث وبشرته بأنه سوف يرزق بولد فصلي منوح إلى الرب أن يرسل ملاكه مرة ثانية ليخبرهم كيف ينبغي أن يربوا الطفل الذي وعدهم به الرب . وهنا نري كرم الله ومحبته للإنسان فقد أرسل ملاكه مرة ثانية ليكرر بشارته لهما . وبعد أن فرغ الملاك من كلامه عرض منوح عليه أن يكرمه وأن يستضيفه ويعد له طعاما يتناوله معهم ولكنه رفض . وعندما سأله عن اسمه قال إنه عجيب. ويقترح بعض المؤرخين أن هذا الملاك لم يكن إلا الأقنوم الثاني قبل تجسده من العذراء مريم لأن أسم «عجيب» قد أطلق على يسوع عندما كتب أشعياء «لأنه يولد لنا ولد ونعطى أبنا وتكون الرئاسة على كتفيه ويدعي أسمه عجيبا مشيرا إلها قديرا أبا أبديا رئيس السلام» (أش ٦:٩) وعندما رفض الملاك أي طعام أخذ منوح جدي المعزى والتقدمة واصعدهما على الصخرة للرب. ويخبرنا الكتاب أنه «عند صعود اللهب عن المذبح نحو السماء أن ملاك الرب صعد في لهيب المذبح . ومنوح وامرأته سقطا على وجهيهما إلى الأرض» (قض ٢٠:١٣) . وقد أكد لهما هذا أنه ملاك الرب . فماذا كان رد فعل ما حدث على الزوجين ؟ قال منوح لامرأته «نموت موتا لأننا قد رأينا الله ، فردت عليه امرأته قائلة «لو أراد الله أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ولما أرانا كل هذه الأمور» (قض ٢٢:١٣ ، ٢٣) وإن دل هذا على شئ إنما يدل على ذكاء هذه المرأة وإيمانها القوى بالله . ومرت الأشهر وولد الابن الذي بشرها به الملاك فسمته شمشون .. ومعناه «قوة

الشمس» وكان الرب قد شُبه بالشمس من قبل . ففي القضاة قيل عنه أنه «كخروج الشمس في جبروتها» (قض ٥:٣١) وبعد ذلك في سفر المزامير عندما قال المرنم «لأن الرب شمس ومحبة» (مز ٨٤:١١) فمعني أسم شمشون هو قوة الرب . ونمى الصبي وباركه الرب . ولم يخبرنا الكتاب أي شئ عن طفولته . هل كان أكبر حجما من بقية الأطفال ؟ هل ظهرت قوته أثناء طفولته ؟ ولكنه أخبرنا أنه عندما اكتمل نموه أن روح الله ابتدأ يحركه ليحقق ما أراده بإهلاك عدد كبير من الفلسطينيين على يديه .

وعندما نتأمل فيما فعله شمشون وزواجه من إثنتين من بنات الفلسطينيين وعدم إستماعه لنصيحة أبويه نتعجب فقد كان هذا ضد الشريعة التي سلمها لهم موسى رجل الله ، فلم يكن مفروضا أن يتزوج أي رجل يهودي من الأمميات فما بالك بنذير الله . فلم يجد شمشون طريقه يفني بها أعدادا كبيرة من أعداء شعبه إلا أن يكُوّن علاقة بأحد نسائهم ثم يستعمل هذه العلاقة في الانتقام منهم لما تدخلوا به في هذه العلاقة . ويتساءل البعض هل سمح الله بهذا لتحقيق غرضه . والجواب على هذا أن الله لا يسمح لأحد أن يخطئ .. فهو لا يحب الخطأ ونعلم أنه قد منح كل إنسان حرية الاختيار وقد اختار شمشون هذا الطريق بإرادته فلم يتدخل الله . ولكنه استطاع أن يأخذ الخطأ الذي يقترفه شمشون ويستعمله لتحقيق أغراضه. وكان هذا ما فعله عدة مرات في تأديب بني إسرائيل فقد استعمل كراهية الفلسطينيين لهم واعتدائهم عليهم وإذلالهم ليُشعر اليهود أنهم تركوه وينبغي أن يعودوا إليه . وبنفس الصورة نجده يستعمل خيانة يهوذا الاسخريوطي ليصل إلى الصليب رغم أنه جاء ليصلب ولكنه أدان ما فعله يهوذا.

لقد كان شمشون قويا وجبارا ولكنه كان ضعيفا أمام النساء الأجنبيات وهذا ما حدث في حياة سليمان الحكيم. وقد دفع

كلاهما ثمن خطيته فقد تخلي الرب عن شمشون فقبض عليه الفلسطينيون وفقئوا عينيه وعاش أسيرا ذليلا في أحد سجونهم حتى مماته .

ماذا كان وقع كل هذا على أمه القديسة وهي ترى نذير الرب الذي بشرها به ملاك الرب والذي أنعم عليه الله بقوة لم يهبها لأحد فكان أقوى رجل عاش على الأرض ؟ كيف كان شعورها وهي تراه يتردي في الخطية ويخالف ناموس الرب الذي أقامه قاضيا على إسرائيل ؟ لا شك أنها نصحته وذكرته بمحبة الرب له وما منحه من مواهب وبرحمته ولكنه لم يستمع لها ولم يتب ويرجع عن خطاياه.

إن قصة هذه المرأة القديسة قد سطرت ليس فقط لأنها جزء من تاريخ الأمة اليهودية ولكن أراد الله أن يعطي هذه القديسة حقها فقد استحقت لصلاحها وتقواها أن تلد أقوي من عاش على الأرض وأحد قضاة إسرائيل .

١١ - راحاب

المرأة الخاطئة التي أختارها الرب

كانت راحاب التي لقبها الكتاب المقدس بالزانية من أهم الشخصيات في دخول بني إسرائيل أرض الميعاد وتبدأ قصتها في الإصحاح الثاني من سفر يشوع ، عندما أرسل قائد بني إسرائيل الجديد رجلين ليتجسسوا أريحا وهي مدينة شريرة لا أمل في أهلها أن يتوبوا عن شرهم باستثناء واحدة وهي راحاب الزانية . لذلك كان أمر الله لبني إسرائيل أن يغزوها ولا يبقوا على أحد فيها ولكنه ألهم راحاب أن تقوم بما قامت به فتخلص هي

وأهل بيتها .

وانطلق الجاسوسان ودخلا أريحا فإذا براحاب واقفة أمام باب بيتها كعادتها كل يوم وكان بيتها ملتصقا بسور المدينة . وعندما رأت الجاسوسين عرفت للتو أنهما غريبان فرحبت بهما ودعتهما فدخلا وباتوا عندها . ولم يعرف الرجلان مضيفتهم كما كان يعرفها بقية الرجال الذين كانت تدعوهم . فلم يكن في فكرهم سوى معرفة شيئا عن المدينة وتحصيناتها وكانا خائفين أن ينكشف أمرهما ويبدو أن رحاب أحست بأن هذين الرجلين يطلبان شيئا آخر فأعطتهم ما يريدونه وأخبرتهم أن سكان المدينة خائفون منهم وأن الجميع يراقبونهم في قلق لأن رعبهم قد وقع على الجميع .

وعندما نتأمل في حياة هذه المرأة الفريدة نجد أمورا يحتار فيها العقل البشري . ولكنها في نفس الوقت أمورا تعلمنا دروسا نافعة عن عظمة الرب ونعمته التي تفوق كل تصوراتنا البشرية والتي يغدقها على من يشاء . فها هي رحاب الزانية التي عاشت معظم حياتها في الخطية تتوب وتتزوج من أحد الجاسوسيين الذين خبأتهم ويأتي من نسلها المسيح له المجد . وهو بهذا يؤكد لنا أنه مهما كانت خطايانا فهو لا يذكرها عندما نتوب توبة صادقة ويتحقق وعده «إن كانت خطاياكم كالرمز تبيض كالثلج وإن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف النقي» (أش ١:١٨) وعندما نتوب لا يغفر خطايانا فقط ، بل يكافئنا ويرفعنا إلى آفاق جديدة . فراحاب كانت إحدى ثلاث زانيات جاء المسيح من نسلهم فبجانب راحاب كانت هناك ثامار وبشبع امرأة أوريا الحثي . وعندما نذكر هؤلاء نذكر قول العذراء مريم عندما زارت إليصابات ، فرنمت بتلك الترنتيمة الرائعة «تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصى .. أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين» (لو ١:٥٢) وكذلك ما ترنمت به حنة أم صموئيل عندما استجاب الرب

لصلواتها فقالت «يقيم المسكين من التراب ، ويرفع الفقير من المزبلة» (اصم ٢:٨) .

حقيقة رفع الله من المزبلة هؤلاء النساء عندما تابوا عما فعلوا فاستحقوا أن يأتي المسيح له المجد من نسلهم . أما رفع راحاب فقد بدأ بزواجها من سيمون الجاسوس وقد كان من أمراء يهوذا وقد أنجبت له بوعاز الذي تزوج براعوث التي ولدت عوبيد الذي هو أبو يسى وجد داود النبى .

نعود إلى قصة راحاب فنسأل ما الذي دعاها أن تدعو الجاسوسين لتخبئهم في بيتها ؟ وقد يقول البعض أن هذا كان عملها أن تدعو الرجال إلى بيتها . وقد يكون هذا صحيحا ، ولكن يخبرنا الكتاب أنها عرفت هويتهم ربما من زيهم أو من القلق الذي أنعكس في سلوكهم. المهم أنها دعتهم لا لتبيع نفسها لهم بل لتنقذهم .. ونسأل كيف عرفت وعرف أهل المدينة قصة بني إسرائيل؟ أغلب الظن أن كثيرين من الشعوب القريبة من مصر قد سمعوا بما صنعه الرب في فرعون وشعب مصر عندما رفض فرعون أن يطلق بني إسرائيل .. ثم المعجزات التي صنعها بعد ذلك وعلى رأسها شق البحر الأحمر وفناء جيش فرعون ثم المن والسلوى .. وأخيرا كيف أنتصر بنى إسرائيل على عوج ملك باشان وسيحون ملك حشبون . ولم يؤمن أحد من سكان أريحا بإله الإسرائيليين ولكن رحاب آمنت وصممت أن تنضم لصفوفه مخاطرة بحياتها فلو أنكشف أمرها لقُتلت في الحال . ولكن إيمانها بالله قواها وفتح عينيها فرأت أن خطتها سوف تنجح وأن الله سوف ينقذها ويباركها . وكانت خطتها بسيطة فقد كانت تعلم أن بيتها منظور من جميع جيرانها وأن الفضول الإنساني كان يدفع هؤلاء الجيران أن يراقبوا الداخلين والخارجين . وعندما دخل الجاسوسان انتقلت الأخبار بسرعة إلى ملك المدينة . وكانت

راحاب تتوقع هذا فاستعدت بأن خبأت الجاسوسين فوق سطح منزلها بين أعواد الكتان .. وعندما أتي الجنود وطلبوا منها أن تسلمهما لم تنكر أنهما كانا عندها ولكنهم رحلوا . وعندما انصرفوا أنزلتهما رحاب من كوة في سور المدينة وأوصتهما أن يمكثا ثلاثة أيام في الجبل حتى يرجع الجنود ويخلو الطريق .. ولم تنس أن تعطيهما طعاما يكفيهما حتى يعودا إلى يشوع سالمين .

وعندما نقرأ ما قالته هذه المرأة الغريبة للجاسوسين عن إلههم يتملكنا العجب . إن الشعب الذي رأى بعينه المعجزات التي أجراها الله على يد موسى قبل وبعد خروجه من أرض مصر لم يؤمن به الإيمان التي آمنت به راحاب التي لم تر شيئا بل سمعت فقط عنه.

تعالوا نسمع لبعض ما قالت «علمت أن الرب أعطاكم الأرض وأن رعبكم قد وقع علينا وأن جميع سكان الأرض قد ذابوا من أجلكم .. سمعنا فذابت قلوبنا ولم يبق بعد روح في إنسان بسببكم. لأن الرب إلهكم هو الله في السماء من فوق وعلى الأرض من تحت» (يش ٢:١١) .

لقد تحدث بولس الرسول عن هذا الإيمان العجيب في رسالته إلى العبرانيين عندما قال «بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاه إذ قبلت الجاسوسين بسلام» (عب ١١:٣١) .

ولا يحق لنا أن نتعجب من إيمان امرأة غريبة وإنكار الأصدقاء والأقرباء فقد حدث هذا عدة مرات في تاريخ بني إسرائيل فأهل نينوي تابوا بمناداة يونان رغم أنه لم يفعل معجزة واحدة أمامهم ولم يتب الشعب اليهودي رغم عشرات بل مئات المعجزات التي كان الله يجربها على يد أنبيائه بل كانوا يتمردوا عليه بمناسبة وبدون مناسبة ، رغم تدليله وحبه لهم . وعندما أتى المخلص ورغم أنه كان يجول في الأرض يصنع خيرا ولم يتخاذل عن خدمتهم وشفاء مرضاهم قط . إلا أن يوحنا الحبيب كتب «أنه جاء لخاصته

وخاصته لم تقبله» (يو ١:١١) . وقد تحدث السيد المسيح عن هذا عندما قال «ليس نبي بغير كرامة إلا في وطنه» (مر٦:٤) فها هي راحاب الأممية تؤمن به لمجرد سماعها بما فعله ، كذلك لم تؤمن به بعض قريباته بينما آمنت به المرأة السامرية وقائد المئة والمرأة الكنعانية .

وإذا تأملنا فيما فعلته راحاب نجد أنها خانت عشيرتها وصممت أن تنضم لأعدائها وكان الحكم على الخونة مثلها حكما قاسيا من الجميع. ولكننا لانجد الكتاب المقدس قاسيا في الحكم عليها بل يذكر قصتها ويمدح ما فعلت . لأنها عندما خانت ، خانت الوثنية والرذيلة التي عاشت عليها المدينة وانضمت إلى رب المجد واختارته نصيبا لها مخاطرة بحياتها من أجله بعد أن اكتشفت أنه الإله الوحيد الجدير بولائها ومحبتها . ومن الطريف أن مع الخيانة جاء الكذب فقد كذبت راحاب وضللت السلطات عن الجاسوسين . فهل أدانها الله على هذه الخطية . والجواب أنه لم يدنها بل تغاضى عنها فقد كان الدافع وراء خطيتها هو إنقاذ الجاسوسين وتسهيل المهمة التي كان قد كُلفا بها من قبل الرب .

والله في كثير من الأحيان يحكم أحكاما لا تتفق مع منطق البشر .. فهو في هذه الحالة كما في حالات أخرى ينظر إلى الدافع وراء العمل ويعتبره أهم من العمل نفسه . وقبل أن تطلق راحاب الجاسوسين نجد أنها تطلب منهما وعدا أو عهدا أنه في مقابل الجميل الذي صنعته معهما وإنقاذها لحياتهما أن ينقذوها هي وأهلها من الدمار والموت الذي كانت تتوقعه عندما يحتل بني إسرائيل المدينة . وهنا تظهر ناحية أخرى من شخصيتها . فرغم العلاقات المتوترة بينها وبين عائلتها بسبب سلوكها الشائن ، إلا أنها كانت لاتزال تحبهم فطلبت لهم الأمان من الجاسوسين . ومن

التفاصيل التي تلفت النظر أنها أتفقت معهما أنها سوف تترك الحبل القرمزي الذي دلتهما به مربوطا في الكوة علامة للغزاة أن يعبروا أمام منزلها فلا يدخلوه . ويذكرنا هذا بما حدث في أرض مصر عندما عبر ملاك الموت أمام المنازل التي رأى عليها الدم . إن الخلاص الذي حدث لراحاب كان خلاصا جسديا فلم يصيبها أذى، وخلاصا روحيا فقد تابت عن خطاياها وأصبحت جزءا من الشعب المختار . وقد مدح الله إيمانها على لسان بولس الرسول ومدح أعمالها أيضا على لسان يعقوب الرسول عندما قال «كذلك راحاب الزانية أما تبررت بالأعمال إذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر» (٢ يع ٢:٢٥) .

١٢ - راعوث

المرأة التي تركت الظلمة لتعيش في النور

هذه المرأة هي راعوث الموآبية التي تركت عبادة الأوثان وتبعت حماتها إلى أرض يهوذا في وفاء عجيب قل أن نجده لا في تلك الأيام ولو في أيامنا هذه . وقد اخترناها لأن الله اختارها لتكون إحدى جدات إبنه الوحيد عندما جاء من نسلها في ملء الزمن ، ولأنها تركت عشيرتها وأهلها كما ترك إبراهيم عشيرته وأهله . تركتهم لفرط محبتها لحماتها واقتناعها بإلهها الذي اتخذته إلها لها .

وقد سطرت قصة راعوث في سفر كامل من أسفار العهد القديم الذي يحمل أسمها فكانت بذلك أول امرأة أمميه يطلق أسمها على سفر من أسفار الكتاب المقدس مما يدل على أن الله قد رأي في حكمته أن يكرم هذه المرأة الفاضلة ويجازيها على

سـيرتها العطرة وإيمانهمـا به .

تبدأ القصة التي حدثت أثناء حكم القضاة بمجاعة حدثت في أرض يهوذا فوصل رجل من بيت لحم أسمه أليمالك ومعه امرأته نعمي وولديه إلى أرض موآب . وبعد أن استقروا هناك مات إليمالك وتزوج الولدان امرأتين موآبيتين أسم الواحدة راعوث وإسم الأخرى عرفه.

وبعد سنوات مات الولدان فترملت الثلاثة نساء . وصممت نعمي أن تعود إلى وطنها ونصحت كنتيها أن تبقيا في موآب لأن فرصة زواجهما في يهوذا قليلة بينما فرصتهما في موآب أفضل. وصممت عرفة أن تبقي أما راعوث فرفضت وأصرت أن تعود مع حماتها قائلة «لا تلحي على أن أتركك وأرجع عنك لأنه حيثما ذهبت أذهب وحيثما بت أبيت ، شعبك شعبي ، وإلهك إلهي». (راعوث ١٦:١) .

ولم يكن كلام راعوث هذا مرتجلا أو وليد تفكير سطحي أو عاطفة هوجاء بل كان نتيجة تفكير طويل وتأمل عميق في حياتها ومستقبلها . فقد كانت مملكة موآب لا تعرف الله شأنها في ذلك شأن بقية المسكونة في ذلك الوقت. فقد كان الشعب اليهودي هو الشعب الوحيد الذي يعرفه ويعبده. ولا شك أن نعمي وولداها قد تحدثوا عن ألههم لراعوث وعرفه . ويبدو أن راعوث قد اقتنعت أن آلهة موآب المصنوعة بالأيادي والتي لا تري ولا تسمع ولا تتحرك ليست آلهة ولذلك آمنت بالإله الحقيقي إله زوجها وحماتها ولكن عرفه لم تقتنع . ولذلك عندما حثتهما نعمي أن تبقيا في موآب وافقت عرفه أما راعوث فالتصقت بحماتها وفضلت أن تترك أهلها وأصدقائها لكي ترحل معها إلى الأرض التي تعبد الإله الحق . ولا شك أن محبة راعوث لحماتها كانت عاملا مساعدا جعلها تختار أن ترافقها . ولم تكن نعمي بالحماة التقليدية بل أحبت

كنتيها كأنهما بناتها .

وكانت نعمي قد فقدت كل ما لها ما عدا قطعة أرض كان زوجها يمتلكها قبل رحيلهم ولكنها لم تعلم مصيرها . ولذلك كانت لا تدري كيف ستعيش هي وراعوث عندما تعودان إلى وطنها . وأغلب الظن أنها أفضت بهذا لها محاولة أن تثنيها عن عزمها ولكنها لم تنجح ورحلتا إلى أرض يهوذا غير عالمتين ماذا ينتظرهما هناك. وإن دلنا هذا على شئ فإنما يدلنا على إيمانهما أن الرب قادر أن يعولهما رغم ظروفهما القاسية . وقد تكونا قد تعلمتا درسا من ذهاب نعمي وعائلتها هربا من المجاعة إلى أرض موآب معتمدين على جهودهم وما حدث لهم نتيجة لذلك .. فعادتا متكلتين على الرب . وكان ترتيب الرب عجيبا فقد عادا في وقت حصاد الشعير. وأدركت راعوث بفطنتها أن حماتها لن تتمكن من العمل ولن تستجدي فصممت أن تعولها بمجهودها . فانتهزت فرصة الحصاد وسارت وراء الحصادين مع الفقراء وبدأت تلتقط حبات الشعير التي تركها الحصادون . ولم تستح راعوث من هذا العمل المهين لأنها صممت أن تعول حماتها وليس هناك مصدر رزق آخر. فإما أن تعمل هكذا أو تبيع جسدها فقد كانت امرأة جميلة وفي عنفوان شبابها . ولكنها فضلت أن تعيش شريفة مخلصة لإلهها بدلا من أن ترتمي في الرذيلة التي قد توفر لها معيشة أفضل . وكانت راعوث تلتقط الشعير في قطعة أرض يملكها أحد أقارب حماها أليمالك إسمه بوعز . وكان بوعز رجلا متيسرا طيب القلب يعطف على الفقراء فلما جاء ليفتقد الحصادين ورأى راعوث سأل عنها فقالوا له قصتها وأنها كنة نعمى زوجة أليمالك وكيف أنها لم تسترح منذ الصباح بل إستمرت في الجمع حتى الآن . فدعاها بوعز وطلب منها ألا تذهب في أي حقل آخر بل تجمع في حقله كل يوم . وأعطاها الأمان فقد أوصي غلمانه ألا يتعرضوا

لها وسمح لها أن تنضم لفتياته وأن تشعر أنها واحدة منهن فما كان من راعوث إلا أن سجدت له قائلة «كيف وجدت نعمة في عينيك حتى تنظر إلى وأنا غريبة» (راعوث ٢:١٠) فمدحها بوعز وقال لها أنه يفعل هذا لما سمعه من محبتها لحماتها وكيف أنها لازمتها عند رجوعها وأنها أتت لتحتمي تحت جناح الرب . ثم دعاها لتأكل مع فتياته وبعد أن أكلت قال لها من الآن يمكنك أن تلتقطي مع الحصادين وليس وراءهم فجمعت ما يعادل أنية شعير ثم عادت إلى حماتها في المساء واستمرت حتى انتهى موسم حصاد الشعير ثم حصاد الحنطة .

وكانت نعمي تشكر الرب لأنه عالها هي وراعوث بأن وضع في قلب بوعز الرحمة فمد لها يد المساعدة . وتساءلت عندما انتهى موسم الحصاد كيف سيدبر الرب معيشتهما وكانت تطلب من الله أن يحل مشكلتها . ويبدو أن الله أوعز لها أن ترسل راعوث لتقترب من بوعز بطريقة خاصة وأن تترك له الباقي . وتحدثت نعمي مع راعوث وطلبت منها أن ترتدي أجود ثيابها وأن تذهب إلى بيت بوعز وتنتظر حتى ينام فتكشف ناحية رجليه تضطجع وتنتظر لأنه سوف يخبرها بما تصنع . وكانت نعمي وراعوث تضعان مصيرهما في يد الرب متأكدتين أنه لن يخذلهما واستجاب الرب وكافأ إيمانهما . ويخبرنا الكتاب أن بوعز التفت فإذا امرأة مضطجعة عند رجليه فسألها عن هويتها فعرفته بنفسها وطلبت منه «أن يبسط ذيل ثوبه على أمته لأنك ولي» (راعوث ٣:٩) فمدحها بوعز لأنها لم تجر وراء الشباب الذي كان يعمل معها رغم شبابها وجمالها بل اقتربت منه هو في عفة وولاء . وقال لها بوعز أن تمضي الليل في مكانها ولم يمسها . وفي الصباح كال لها ستة مكاييل شعيرا وأرسلها لحماتها. أما هو فدخل المدينة. فقد أدرك أن كلمة راعوث له أنه ولي «تعني أنه ولي عليها لأنه من

أقرباء أليمالك» . ولكي تتم الولاية كان عليه أولا أن يشتري الحقل الذي تركه أليمالك لنعمي وبعد ذلك يكون لزاما عليه أن يتزوج من راعوث لأن زوجها أحد الورثة في قطعة الأرض لكي يقيم له نسلا حسب الناموس. وعندما فكر بوعز في الأمر وجد أن هناك من يسبقه في القرابة لأليمالك ولذلك فهو أولي منه بالولاية على الحقل وعلى راعوث . ويخبرنا الكتاب أنه دعي هذا الرجل ودعي معه شهودا وعرض عليه هذه المهمة فيشتري الأرض ويتزوج براعوث ولما لم يوافق أصبح من حق بوعز أن يتولى هو الولاية . فاشترى الأرض وتزوج من راعوث فانتقلت هي ونعمي من الفقر إلى الثراء وكافأهما الله لثقتهما وإيمانهما به ولم يكتف بذلك بل رزقت راعوث الموآبيه بطفل أسمته عوبيد . وعوبيد ولد يسي ويسي ولد داود النبي العظيم الذي جاء من نسله السيد المسيح له المجد. إن حياة راعوث مثال رائع لشخص عاش في الظلمة ولما سمع عن النور صمم أن يتبعه مهما كانت التضحيات ليعيش في النور بقية حياته.

١٣- نعمي

المرأة التي ذاقت مرارة الحياة وتعزت في النهاية

نعمى امرأة أليمالك وقد اخترناها لأن علاقتها بالله في بدء حياتها كانت ضعيفة وإيمانها مهزوزا ونتيجة لهذا كانت حياتها مملوءة مرارة . ولكن بعد أن قويت علاقتها بالرب تغيرت حياتها فتعزت وماتت قريرة العين ومُنحت الشرف أن كنتها أنجبت عوبيد وهو جد داود النبي العظيم الذي جاء من نسله السيد المسيح له المجد .

وتبدأ قصة نعمي في عهد القضاة وكانت هي وزوجها أليمالك

وولداها محلون وكليون يعيشون في بيت لحم . ولم يذكر الكتاب شيئا عن نسب نعمى وأليمالك . ولكن بعض المؤرخين يرجحون أن أليمالك كان أخا لأحد أمراء اليهود وهو سالمون الذي تزوج من راحاب الزانية بعد سقوط مدينة أريحا . فإذا كان هذا صحيحا تكون نعمى قد بدأت حياتها الزوجية في يسر لم يتوفر لكثيرين . ولكن يبدو أن هذا اليسر لم يستمر بل حل محله العسر . فقد أراد الله أن يصير جوع في أرض كنعان . وطبعا لم يذكر الكتاب المقدس السبب في سماح الله بهذا الجوع وربما كان هذا نتيجة لانحراف الشعب عن عبادة الرب وعبادته لآلهة الكنعانيين . وأمام وطأة المجاعة صمم أليمالك ونعمي أن يرحلا وولداهما إلى أرض موآب . وكانت موآب على بعد ٣٠ ميلا من بيت لحم وهي مسافة قصيرة إذا قيست بمقياسنا الحاضر . ولكن في ذلك الوقت كانت مسافة طويلة يمكن أن يطول قطعها إلى يوم أو أكثر.

وعندما نتأمل في هذا القرار نجد أنه رغم أن معظم القرارات في ذلك الوقت كانت قرارات الرجال إلا أن كثيرين منهم كانوا يتشاورون مع زوجاتهم قبل أن يتخذوا القرار . وأغلب الظن أن أبيمالك قد استشار نعمة في قرار الرحيل إلى أرض موآب ولم يذكر الكتاب أنها احتجت على القرار محاولة أن تشرح له أنهم بهذا القرار يتركون الأرض التي يرعاها الله إلى أرض غريبة لا يعرف شعبها الله وأنه قادر أن يرعاهم ويعولهم في وسط المجاعة . وواضح أن هذا القرار كان راجعا إلى ضعف إيمانهما ولكن جدير بنا أن نذكر أن كثيرين قد صنعوا بالمثل عندما داهمهم الجوع . وفي مقدمة هؤلاء إبراهيم أب الآباء الذي ذهب إلى مصر عندما حدث جوع في أرض كنعان . ويتساءل البعض ما السبب في حدوث هذه المجاعات التي ورد ذكرها في العهد القديم كثيرا، والتي لازالت تحدث وغيرها من الكوارث كالفيضانات والزلازل

والبراكين والأوبئة . هل هي قوي الطبيعة التي لا ضابط لها كما يزعم البعض؟ هل هي نتيجة لبعض تصرفات البشر الخاطئة ؟ هل هي أحداث تحدث صدفة ، أم هي إرادة الله ؟ ولنبدأ بالتساؤل الأخير لأن الإجابة عليه تحسم هذه التساؤلات وأخرى تتعلق بسلطة الله على الأرض.

يعلمنا الكتاب المقدس وتذكر أقوال القديسين أنه ليس في قاموس الله كلمة «صدفة» فكل شئ محسوب وموزون ومراقب فالله هو المتحكم المطلق في الكون بكل مكوناته لأنه هو خالقها ومبدعها وهو الذي وضع القوانين التي تحكمها . فالشمس تشرق من الشرق وتغرب في الغرب والأرض تدور على محورها مرة كل ٢٤ ساعة وتدور حول الشمس مرة كل ١/٤ ٣٦٥ يوما والأنهار تتدفق من الأماكن المرتفعة لتصب مياهها في البحار المنخفضة .. ويجدر بنا هنا أن نوضح أننا نتكلم عن الطبيعة التي ليس فيها حياة عليا والتي قد تشمل أنواعا عديدة من الكائنات الحية ولكنها لا تشمل الإنسان . فقد رفض الله أن يكون هو المتحكم في أعمال الإنسان بل أعطاه حرية الاختيار وبناء على هذا الاختيار يتقرر مصيره في هذه الحياة والحياة الآتية كذلك .

نعود إلى تحكم الله في الطبيعة فنقول أنه سن قوانينها وعندما تسير طبقا لهذه القوانين نقول أن الأمور تسير سيرها الطبيعي . ولكن يحدث في بعض الأحيان أن يعطل الله أحد هذه القوانين لغرض خاص فيحدث ما لا نتوقعه فنصفه بأنه معجزة . وهناك مئات الأمثلة لهذا في الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث ولا داعي لذكر أمثلة فالكل يعلم ما نتحدث عنه . والمجاعات والفيضانات والأوبئة والبراكين تدخل في هذا النوع من الحوادث . فالله هو الذي يسمح بها لسبب قد يتضح لنا في بعض الأحيان ويبقي غامضا في بعضها الآخر .

نعود إلى قصة نعمى ونسأل مرة ثانية لماذا سمح الله بالمجاعة التي أجبرتهما هي وعائلتها على الهرب إلى أرض موآب ؟ سوف يتضح لنا السبب عندما نتتبع القصة إلى نهايتها وكيف أنها إرادة الرب لكي يقوي إيمان أحبائه . فالشدائد والضيقات هي من وسائل الله لإرجاع الإنسان إلى حظيرة الإيمان . ومن مستلزماتها أن يتذوق المؤمن مرارتها قبل أن يعود . والكتاب المقدس ملئ بمثل هذه الضيقات التي سمح بها الله فيوسف الصديق باعه أخوته وعاش بعيدا عن عائلته في أرض غريبة واتهمته زوجة فوطيفار زورا وطرح في السجن ونسي أمره ساقي فرعون سنينا طويلة قبل أن يبتسم له الزمن ويصبح رئيسا على أرض مصر . وبولس الرسول ما عاناه أثناء نشره لكلمة الله والشهداء الذين عذبوا ثم قتلوا من أجل إيمانهم .. كل هؤلاء تقوي إيمانهم عندما كافأهم الله من أجل ما عانوه . حقيقة ما قاله السيد المسيح «في العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦:٣٣) .

سمح الله بالمجاعة في أرض كنعان ورأي أليمالك ونعمي أن الحل هو الرحيل إلى أرض غريبة . واستقرت العائلة المهاجرة في أرض موآب . وكان أمل نعمي أن الأحوال سوف تتحسن وأن القدر سوف يبتسم لها ولعائلتها . ولكن خاب ظنها فقد مات أليمالك وأصبحت نعمي أرملة . ولكنها تعزت بوجود ولديها معها وزوجتهما بامرأتين موآبيتين أسم أحداهما عرفة وأسم الأخرى راعوث . وعاشت الأسرة في أرض موآب عشر سنين . لم يخبرنا الكتاب المقدس عما إذا كانت الأسرة قد صادفها النجاح وحققت لنفسها المعيشة الرغدة التي كانت لهم قبل هجرتهم أم لا . ولكنهم وجدوا ما يأكلونه وهذا غالبا ما كانت نعمى تذكر نفسها به مبررة تركها لكنعان من أجله . وعندما ظنت نعمي أن الحياة قد استقرت

بها وعائلتها إذا بها تفقد ولديها الواحد بعد الآخر . وتقلصت العائلة إلى ثلاثة أرامل يندبن حظهن في الحياة . ولم يبق أمام نعمى إلا العودة إلى وطنها فقد انتهت المجاعة في أرض كنعان . وكان المنتظر أن تعود نعمى وحدها وأن كنتيها ستبقيان في أرض موآب . ولكن راعوث رفضت وأصرت أن تصاحب حماتها إلى وطنها . ويبدو أن نعمى لم تكن حماة عادية ولكنها كانت حماة مثالية فعدم الانسجام والمحبة المفقودة بين الحماة وزوجات أبنائها أو أزواج بناتها لم يكن موجودا عند نعمى . فقد أحبت كنتيها كما تحب الأم بناتها وقد بادلتها الكنتان الحب ولذلك رفضتا أن تتركاها لتعود وحدها إلى كنعان دون أن يكون أمامهما مستقبل معقول . ففرصتهما في وجود أزواج في كنعان بعد ترملهما كانت ضئيلة وأيضا كانت نعمي فقيرة فقد فقدت كل شئ ماعدا قطعة أرض صغيرة كان أليمالك يملكها . وعندما نصحتهما نعمى أن يبقيا في موآب وافقت عرفة ولكن راعوث رفضت . وكان هذا بدء تغير حظ راعوث وتغير معاملة الله لها . . ويصف الكتاب مرارة نفس نعمى عند عودتها إلى وطنها وعندما دخلت بيت لحم فيقول «أن المدينة تحركت بسببها» فقد فوجئوا بعودتها بعد غيبة طويلة. ويبدو أن ما عانته في أرض الغربة قد اثر على هيئتها وانعكس على وجهها . وعندما سمعت ما قاله جيرانها مرحبين بها انفجرت قائلة «لا تدعوني نعمى بل ادعوني مرة لأن القدير قد أمرّني جدا. إني ذهبت مليئة وأرجعني الرب فارغة . لا تدعونني نعمى والرب قد أذلني والقدير قد كسرني.» (را ١:٢١ ، ٢٢) ، هل نلمح في ما قالته احتجاجا على مشيئة الرب ؟ أم هل صاحب هذا ندم لضعف إيمانها الذي حدى بها إلى ترك وطنها هربا من المجاعة واعترافا أن ما صنعه الرب بها كان ليوضح لها خطأها ؟ أغلب الظن أن ما قالته كان يضم الاثنين .

وتنتهي القصة بأن راعوث كنتها تزوجت من أحد أقرباء نعمي رجل أسمه بوعز وعاشت نعمي بقية حياتها في بيت بوعز في عيش رغد وتعزت عن جميع ما سمح به الرب من ضيقات وتجارب.

وقصة نعمى هي قصة الكثيرين منا . فالبعض يضيق بالدين وما يفرضه علينا من قيود تسلبنا حريتنا في اختيار ما نحبه . فنترك الله ونذهب إلى مكان بعيد ظانين أننا سوف نحقق لأنفسنا ما لم يسمح به الله . ولكن سرعان ما تنزل بنا المصائب والمتاعب. فنفقد سلامنا وقد نفقد بعض أو كل ما نمتلكه . وعندما نعود إلى أنفسنا ونرجع إلى الله يستقبلنا بأحضانه المفتوحة ويرجعنا إلى رتبتنا الأولى ويمسح كل دمعه من عيوننا . هكذا فعل الله مع نعمي .. وقد أراد السيد المسيح أن يعلمنا هذا الدرس فأعطانا مثل الابن الضال . لقد كانت نعمي الابنة الضالة ولكنها عادت إلى أبيها .

١٤-حنة أم صمويل

المرأة التي ولدت آخر قضاة بني إسرائيل

كانت حنة أم صموئيل من أكثر النساء نسكا وإيمانا بالله وهي حنة أم صمويل النبي . وعندما نتأمل في حياة هذه القديسة نجد أنها حياة غنية بالدروس الروحية التى تعلمنا إياها هذه الشخصية الفريدة التي حباها الله بصفات نادرة . وقد فعل هذا كجزء من مجهوداته ليعيد للمرأة مكانتها في عالم يسوده الرجل.

وعندما نبدأ بأسمها وهو حنة Hanna نجد أن معناها gracious وبالبحث نجد أنه ليس في اللغة العربية كلمة تعادل

كلمة gracious فنترجمها إلى طيبة ممزوجة بالكرم والعطاء . وقد كانت حنة طيبة لا ترد الإهانة بمثلها بل تتغاضى عنها . وكانت كريمة في العطاء فقد أعطت الرب أبنها البكر وحرمت منه وهو لا يزال طفلا فقد كان عمره سنتان عندما أخذته ليعيش في بيت الرب وقد فعلت حنة هذا اعترافا بجميل الرب وتنفيذا لنذرها عندما طلبت منه أن يرزقها نسلا .

ويخبرنا الكتاب أن حنة كانت امرأة إلقانه وهو من قبيلة ليفي ومن فرع من أكثر فروعها احتراما يدعى كاهوثيت Kahothite وكان لإلقانة زوجتان حنة وفِنَنة . وكانت حنة هي زوجته الأولى . وأغلب الظن أنه تزوج بفِنَنة عندما وجد أنه لن ينجب نسلا من حنة لأنها كانت عاقرا . وقد تكون حنة هي التي اقترحت عليه أن يتزوج بفِنَنة حتى يرزق منها بنسل يحمل اسمه، كما اقترحت سارة أن يتزوج ابراهيم بهاجر ليرزق منها بنسل . وقد حدث هنا ما حدث بين سارة وهاجر . فعندما أنجبت فِنَنة لألقانا عدة أطفال تعالت على حنة وقلبت حياتها جحيما بتعييراتها وتهكماتها . يصف الكتاب حالة حنة بأنها كانت «مرة النفس» وكانت تبكي دائما وتطلب من الله أن يرزقها نسلا . ورغم أن المرأة إلى الآن تتوق أن ترزق نسلا لأن هذا يشعرها بأنها قد اكتملت أنوثتها، إلا أنها لا تصل في اشتياقها إلى النسل إلى الدرجة التي نراها في نساء العهد القديم . فقد كانت من لا ترزق بنسل خصوصا في أمة اليهود تشعر أن الله غير راض عنها . فقد أمر بنى البشر أن «يكثروا ويثمروا ويملأوا الأرض» (تك ١:٢٨) فعندما يغلق الله رحم إحداهن تشعر أنها منعت من أن تنفذ وصية الرب . يضاف إلى هذا أن الله وعد بني إسرائيل أن من نسلهم سيأتي المسيا الذي سوف يخلص البشرية من مصيرها المحتوم . فكل امرأة ترزق بنسل كانت تساهم في تحقيق هذه النبوة المهمة وكانت كل

منهن تفكر في أنها ربما كانت هي أو من ذريتها سوف يأتي المخلص وكان هذا يزيد شعور العاقرات بالحزن والألم لحرمانهن من هذه النعمة .

ويحدثنا الكتاب أن ألقانه كان يحب حنة أكثر من فننة وكان يعطف عليها ، فكان يعبر عن حبه لها وعدم رضاه عن حزنها ومرارة نفسها الدائمة أثناء احتفالهم بعيد الرب . وكان ألقانة يذهب هو وأسرته إلى شيلو كل عام حيث كانت خيمة الاجتماع وقدس الأقداس ليحتفل بعيد الرب ويقدم ما عليه من ذبائح وعطايا . وكانت هذه الزيارة أقدس ما يقوم به هو وعائلته طول العام . فكان يقضي في شيلو عدة أيام يتمتع فيها بقربه من الله . وكان الاحتفال يتضمن بعض الوجبات الخاصة التي تذكر المحتفلين بفضل الله عليهم . فكانوا يأكلون نصيبهم من الذبائح التي يقدمونها بشكر وفرح . وفي أحد هذه الأعياد لاحظ ألقانه أن حنة لا تأكل بل تبكي فسألها محاولا أن ينهي حزنها «لماذا تبكين ولا تأكلين ولماذا يكتئب قلبك؟ أما أنا خير لك من عشرة بنين» (اصم ١:٨) .

ولكن حب زوجها لها لم يحل مشكلتها ، فقد كانت تعلم أن الله هو الوحيد الذي في يده حل مشكلتها . ولذلك كانت تصلي له دائما طالبة أن يرزقها بنسل . وعندما وجدت نفسها في شيلوه وشعرت بقربها من الرب . صلت له بأكثر حرارة مكررة طلبها في لجاجة نادرة وسكبت أمامه مرارة نفسها كما لم تفعل من قبل . وكان عالى الكاهن يراقبها ، فأخطأ في الحكم عليها وأتهمها بأنها سكرى وممتلئة خمرا . أخطأ عالى الكاهن كما نخطىء نحن أيضا عندما نحكم علي الآخرين حكما سريعا عندما نرى منهم سلوكا لا نستطيع أن نفسره ، غير عالمين الظروف التي دفعتهم لهذا السلوك.

ولم تغضب حنه منه ولكنها ردت على عالي الكاهن بأنها تطلب

من الله أن يزيل مرارة قلبها. وقد باركها عالي الكاهن بما يشبه الاعتذار عما قاله لها وطلب من الله أن يعطيها سؤل قلبها. يحدثنا الكتاب أن حنة بعد ذلك تغيرت حالتها فانتهي غضبها وحزنها وانضمت إلى زوجها وأكلت فقد شعرت بروحها أن الله سوف يستجيب لطلبتها وأن القدير قد أنهى مرارة نفسها . واستجاب الرب لإيمان حنة وكافأ صبرها بأن أعطاها ابنا هو صمويل النبي. وعندما نتأمل في استجابة الرب لحنة لاحظنا أنه لم يستجب بمجرد أن طلبت منه ولكنها انتظرت سنينا عديدة قبل أن يسمح الرب بأن ترزق بابنها الأول . إن توقيت الله يختلف عن توقيتنا وهو لا يتبع توقيتنا بل توقيته هو . فكثيرا ما نشعر أن الله يبطئ أحيانا في استجابته لصلواتنا .. ولكنه يبطئ لحكمة تغيب في معظم الأحيان عن تفكيرنا .. فعندما ولد المسيح ولد في ملء الزمن بعد مرور آلاف السنين على وعده لآدم وحواء أن من نسل المرأة سوف يأتي الذي سيسحق رأس الحية . وعندما كان التلاميذ في السفينة التي كانت تعصف بها الرياح.. أتي المسيح ماشيا على الماء في الهزيع الرابع لينقذهم من الغرق. فالله عندما يبطئ نقترب من اليأس ونكاد نفقد الأمل ، حينئذ يأتي وينقذنا فنقدر أكثر تدخله والخلاص الذي يترتب عليه .. فإذا صليت وأبطأ الرب في الاستجابة لا تيأس بل أصبر لأن السيد المسيح قال «من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» (مت ١٠:٢٢) وقد كانت حنة مثلا في الصبر .. ونحن لا نعلم كم كانت سني صبرها ولكن كلما طال انتظارها كلما كان فرحها أشد عندما استجاب الرب لها أخيرا . وإذا سألنا ماذا كان نتيجة صبر حنة وإيمانها العظيم نجد أن الله قد كافأ صبرها وإيمانها بأن أعطاها ليس أبنا فحسب بل أعطاها صمويل النبي العظيم الذي يعد من عظماء العهد القديم . فقد كان آخر القضاة وكان له شرف مسح أول ملكين ملكوا على بنى

إسرائيل شاول وداود العظيم . وقد كافأ الرب عاقرات أخريات بمواليد عظام فقد أنجبت سارة اسحق ابن الموعد وأنجبت امرأة منوح شمشون الجبار وأنجبت اليصابات يوحنا المعمدان .

وقد ردت حنة كرم الرب بكرم من عندها ، فقد حرمت نفسها من ابنها البكر الذي صلت من أجله سنين عديدة وأعطته للرب وهو في الثانية من عمره، واكتفت بزيارتها له كل عام . وتعبيرا عن حبها له كانت تصنع له حلة كل عام تعطيه إياها في زيارتها السنوية . ولقد كافأ الرب حنة على كرمها وعظمتها بأن وهبها بعد صموئيل خمسة أطفال . فلم تعد فِنَنة تعايرها . لقد أرجع القدير كرامتها ومكانتها في منزلها .

وعندما نتأمل في حياة هذه القديسة العظيمة نجد أنها كانت من أتقى نساء العهد القديم ، فقد وهبها الله صفات عديدة قلما نجدها في كثير من النساء . وأول هذه الصفات كما ذكرنا من قبل إيمانها وثانيها الصبر الذي ذكرناه . أما ثالثها فهو الحلم ، فرغم أن الكتاب يذكر أن فننة كانت تتهكم عليها وتغيظها وتعيرها إلا أنه لم يذكر مرة واحدة أن حنة ردت عليها أو حاولت أن تعاملها بما يتناسب مع سلوكها معها . ولم تلجأ لأحد غير الله في حل مشكلتها . ورغم أنها كانت تعلم أن زوجها يحبها ويفضلها على فِنَنة إلا أنها لم تشكو له ولم تطلب منه أن يتدخل بل اتجهت إلى الله وحده .

والصفة الرابعة التي كانت حنة تتحلى بها هي قدرتها على نظم الشعر فقد سجل لها الكتاب المقدس قصيدة رائعة ترنمت بها بعد أن أعطاها الله ابنها الأول . ونتساءل من أين أتت هذه المرأة البسيطة بهذه الكلمات التي خلدها لها الكتاب المقدس ؟ والرد على هذا هو روح الله الذي يملأ محبيه فيجعلهم ينطقون بما لا يقدرون عليه بدونه .. وهناك أمثلة كثيرة لهذا في الكتاب

المقدس . ويذكرنا هذا بقصيدة أخرى ترنمت بها امرأة لم تحصل على نصيب وافر من العلم والثقافة وهي القصيدة التي خرجت من فم العذراء مريم عندما ذهبت لزيارة اليصابات بعد زيارة الملاك لها مبشرا إياها بميلاد المسيح .

أيها القارئ العزيز تعال نتأمل في القصيدتين لنرى التشابه العجيب بينهما .. قصيدة حنة أم صموئيل وقصيدة العذراء مريم.

قصيدة حنة

«فرح قلبى بالرب .. ارتفع قرني بالرب لأني قد ابتهجت بخلاصك. ليس قدوس مثل الرب
قُسى الجبابرة انحطمت .. الضعفاء تمنطقوا بالبأس
الشباعى آجروا أنفسهم بالخبز والجياع كفوا. الرب يميت ويحيي، يقيم المسكين من التراب يرفع الفقير من المزبلة.» (اصم ٢:١-٨)

قصيدة العذراء

«تعظم نفسي الرب .. وتبتهج روحي بالله مخلصي صنع قوة بذراعه شتت المستكبرين في فكر قلوبهم أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين.» (لو ١:٤٦-٥٣)

١٥- أبيجايل

المرأة الحكيمة التي منعت داود من أن يخطىء

أبيجايل هي المرأة التي عاشت في أيام حكم أول ملك على إسرائيل وهو الملك شاول . ومثل أغلب الأسماء في العهد القديم

كان أسمها له معنى ، فقد كان معناه «بنت الفرح» ويبدو أنها عاشت لتحقق هذا المعني . لقد عاشت أبيجايل عيشة تتصف بالرضا والسعادة رغم أنها كانت متزوجة من رجل شرير شديد البأس حاد الطباع . وقد أغدق الله عليه الصفات الطيبة التي جعلتها تتعايش مع زوجها ، تصحح أخطاءه تارة ، وتمنعها تارة أخرى. فقد وهبها الله ذكاء وحكمه بجانب جمالها الذي لفت نظر داود فأتخذها زوجة له بعد موت زوجها .

لم يخبرنا الكتاب المقدس شيئا عن عائلتها ونسبها . ولكنه يخبرنا أن زوجها كان من معضدي شاول ضد داود . فغالبا إنه كان من نفس سبطه ، وهو سبط بنيامين فتكون زوجته بالتبعية من نفس السبط .

والقصة التي ذكرها سفر صموئيل الأول والتي احتلت إصحاحا كاملا وعلمنا من خلالها قصة هذه المرأة العظمية ، حدثت بعد موت صموئيل النبي . وقد جمعت القصة بين ثلاث شخصيات مختلفة اختلاف الليل والنهار وهي ابيجايل المرأة الحكيمة ونابال زوجها الشرير ، وداود الملك الهارب من عدوه شاول .

وقد وصف الكتاب المقدس نابال بأنه رجل غني جدا وأنه كان قاسيا وردئ الأعمال (١صم ٢٥-٣) .

ويذكر عنه أيضا أنه كان شريب خمر ، وعنيد لا يهمه شئ إلا ما يملكه من مقتنيات كثيرة . وكان نابال يحيا حياة الترف التي لا تعرف الفضيلة أو التقوى .. وقد ذكر بعض المفسرين أنه كان يعبد الأصنام . ونتعجب كيف تزوج هذا الرجل الشرير بأبيجايل المرأة الحكيمة الجميلة الطيبة . ولكن يبطل عجبنا عندما نتذكر أن الزواج في ذلك العصر كان يتم بدون أخذ رأي المرأة . فقد كان كافيا أن يبدي الرجل رغبته في زواج الفتاة التي يختارها لوالدها .

فإذا وافق الأب وفي حالات نادرة الأم أيضا، تم الاتفاق بين الرجلين على كل التفاصيل دون أن يستشيرا من يعنيها الأمر . وبالطبع كان المال والغنى من أهم الاعتبارات عند اتخاذ القرار . لقد كانت ابيجايل الضحية البريئة التي ضحى بها والدها فزوجها لنابال الشرير لأنه كان غنيا .

وحتى في عصرنا هذا وبعد آلاف السنين نجد حالات مماثلة حيث يلعب المال دورا هاما في اختيار شريك أو شريكة الحياة ، ولا داع أن نصف ما تسفر عنه هذه الزيجات فالجميع يعلم مصير معظمها .

لقد قبلت ابيجايل نصيبها وعاشت مع زوجها الأحمق الشرير سنينا طويلة إلى أن خلصها الله منه . وقد أخبرت داود بذلك عندما قابلته محاولة أن تصرف غضبه . فقد وصفته بأنه رجل لئيم والحماقة عنده (اصم ٢٥:٢٥) .

والقصة تبدأ بأن داود بعد أن مسحه صموئيل النبي ملكا على إسرائيل ، كان لابد له أن ينتظر حتى يموت شاول ليعتلي العرش . ولو كان شاول إنسانا عاديا يعرف الله لما أصبحت حياة الملك القادم حياة بائسة، يختبئ فيها في أي مكان يستطيع أن يقيه غضب شاول . وكان شاول وراءه يريد أن يقتله . ولم يكن سهلا على داود أن يختبئ فقد كان معه ٦٠٠من أتباعه يعيشون معه ويدافعون عنه . ولذلك كان كل مرة يستقر فيها في مكان بعيد عن بطش شاول ، سرعان ما ينتشر الخبر فيجد داود نفسه مطاردا من جديد . ولم يكن لداود وأتباعه مصدرا للرزق بطبيعة ترحالهم ومطاردة شاول وجيشه لهم . فكانوا يعيشون على ما يعطيه لهم أفراد الشعب ، خصوصا الأغنياء منهم تقديرا منهم لموقف داود ، فقد كان كثيرون منهم يحبون داود لبسالته في الحرب ولقتله جليات الجبار ويعطفون عليه في محنته ويستنكرون

أن يعامله شاول هذه المعاملة الشريرة . وكان داود في مقابل هذا يحمي الذين يعطونه ضد هجمات الأشرار واللصوص . وكان ضمن هؤلاء نابال زوج ابيجايل. وعندما أرسل داود عشرة من رجاله يطلبون منه عطية مقابل الحماية التي أعطوها له ولماشيته رفض نابال أن يعطيهم قائلا «من هو داود ومن هو أبن يسى ؟ قد كثر اليوم العبيد الذين يفحصون كل واحد من أمام سيده. أأخذ خبزي ومائي وذبيحي لجازيّ وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم؟» (١صم ٢٥:١٠ ,١١) . وعندما عاد الرجال وأخبروا داود بما قاله نابال ، حمي غضبه وأمر ٤٠٠ من أتباعه أن يتقلدوا سيوفهم مزمعا أن يذهب إلى نابال فيبيده هو وبيته .

ولكن لم يشأ الله أن يرتكب داود هذه الخطية فمنعه بتدخله . بل حول له الموقف الذي كان بالتأكيد سوف يتطور إلى قتل نابال وكل بيته إلى موقف ليس فقط يتفادى فيه داود الوقوع في خطية عظيمة ، بل ويحصل فيه على ما أراده من طعام لرجاله ، وكذلك يتعرف على أبيجايل المرأة الحكيمة التي استعمل الله حكمتها لينقذه من خطيه ، فأعجب بها وتزوجها بعد موت زوجها .

إن الله يتدخل كثيرا في حياة كل منا فيحمينا من أخطار الطريق ومن كثير من المواقف الخطيرة ، بل يحمينا أحيانا من أنفسنا فيتدخل ليمنعنا من أن نخطئ كما فعل مع داود في هذه القصة . ولذلك أرسل أحد غلمان نابال الذين شاهدوا ما حدث إلى أبيجايل ليخبرها بما حدث . وكان معظم رجال زوجها لا يحبونه ولا يوافقون على كثير من تصرفاته . ولذلك كانوا يخبرون أبيجايل لعلها تستطيع أن تقنعه أن يغير قراره أو تصنع شيئا يخفف من حدته. فهذا الغلام كان يقدر خطورة الموقف وكان من السهل عليه أن يهرب فيتقي عواقبه الوخيمة . ولكنه فضل أن يتدخل فربما استطاعت سيدته الحكيمة أن تعالج الأمر بحكمتها

كعادتها فلا تحدث الكارثة . وهال أبيجايل ما سمعته من الغلام . ولم تذهب لزوجها تناقشه في الأمر فقد علمت من خبراتها الماضية أنه لا يستمع لنصحها وأن الوقت ثمين فداود في طريقه لهم . فأخذت هدية مناسبة من الطعام الذي طلبه داود من زوجها وحملته على عدد من الحمير وأرسلتهم قدامها مع أحد غلمانه لداود. وركبت هي حمارها وتبعتهم . وعندما قابلت داود ، تبين لها صحة ما قاله الصبي عن المصير الذي كان ينتظرها هي وعائلتها . فقد قال لها «إنما باطلا حفظت كل ما لهذا (أي نابال) في البرية. فلم يفقد من كل ماله شئ . فكافأني شرا بخير . هكذا يصنع الله لأعداء داود . وهكذا يزيد أن أبقيت من كل ماله إلى ضوء الصباح» (١صم ٢٥: ٢١). أمام هذا التهديد لم تفقد ابيجايل هدوئها بل تصرفت تصرفا أظهر تواضعها وتقواها وحكمتها . فقد نزلت عن حمارتها وسجدت لداود قائلة «علي أنا يا سيدي هذا الذنب» . وقد فعلت هذا لعلمها بخلق داود وعلاقته مع الله . كذلك لإيمانها بأن الله سوف يساعدها فيستمع داود لما سوف تقوله، وبذلك ينقذه من خطية عظيمة كان يوشك أن يرتكبها .

وقد ذكرت هذا لدواد عندما قالت له «حي هو الرب وحية هي نفسك أن الرب قد منعك عن إتيان الدم ، وانتقام يدك لنفسك» (١صم ٢٥: ٢٦) . وكأنها كانت تقول له أنه ليس حسنا أن تحكم على نابال وتدينه وتعاقبه لأن الله هو الذي يدين ويعاقب . ويكشف هذا الموقف عن تدينها ووقوفها مع داود ضد مطاردة شاول له فنجدها تستطرد قائلة «وقد قام رجل ليطاردك ويطلب نفسك . ولكن نفس سيدي لتكن محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك» (اصم ٢٥: ٢٩).

ويخبرنا الكتاب أن نفس داود قد رضيت بما فعلته وقالته ابيجايل فقبل هديتها ولم يفعل ما كان ينوي عليه .

وتنتهي القصة بعودة أبيجايل إلى بيتها فإذا بزوجها قد أعد وليمة عظيمة لأصدقائه وكان كعادته قد طاب قلبه بالخمر وكان سكرانا . وانتظرت هي حتى الصباح لتخبره بما حدث وأن الكارثة التي كانت توشك أن تحل به لن تحدث بفضل تدخلها . وعندما سمع نابال ما قالته زوجته «أن قلبه مات بداخله وصار كحجر» (اصم ٢٥:٢٧). وبعد عشرة أيام ضربه الرب فمات . وأرسل داود بعض رجاله لأبيجايل ليخبروها أن داود يريدها زوجه له . فما كان منها إلا أن سجدت للرب وقالت لمن أخبرها «هوذا أمتك جارية لغسل أرجل عبيد سيدي» (١صم ٢٥:٤١) . ابيجايل التي سوف تصبح زوجة الملك أي ستكون ملكة إسرائيل لقبت نفسها بجارية تغسل أرجل عبيده . ياله من تواضع .

لقد اجتمع لهذه المرأة العظيمة جمال الجسد وجمال العقل وجمال الروح فاستحقت أن يكافئها الله بعد السنين الطويلة التي أمضتها زوجة لنابال الشرير أن تصبح زوجة لملك إسرائيل. وليس أي ملك بل داود النبي الذي قال عنه الله «اختبرت قلب داود ابن يسى فوجدته حسب قلبي» (أع ١٣:٢٢).

١٦- بثشبع

المرأة التي أخطأت وتابت فأصبحت زوجة لداود

هذه هي بثشبع المرأة التي أخطأت ثم تابت فغفر لها الرب خطيئتها وأصبحت زوجة لداود الملك العظيم وجاء من نسلها السيد المسيح له المجد . وقد اخترناها لأن حياتها تمثل حياة معظم الناس الذين يعيشون حياة بعيدة عن الخطايا الكبرى ولكنهم يسقطون فجأة وعندما يعودون إلى رشدهم ويتوبون يصفح عنهم الرب وأحيانا يباركهم . وقد كانت هذه حالة بثشبع ، ولو لم يكن

من أخطأت معه هو ملك إسرائيل لما سجلت قصتها ولما سمعها أحد . ولكن في حالتها ذكرت قصتها بالتفصيل في سفر صموئيل الثاني. وقد ترتب على خطئها وتوبتها تغير كامل في حياتها . فبعد أن كانت زوجة أحد ضباط الجيش أصبحت الزوجة المفضلة عند داود أعظم ملوك بنى إسرائيل ، وأنجبت الملك سليمان أحكم من عاش على الأرض .

وتبدأ قصة بثشبع عندما رآها داود وهي تستحم على سطح منزلها ففتنه جمالها واشتهاها فأرسل يدعوها فأطاعت وارتكبا معا خطية الزنا . ويخبرنا الكتاب أنها كانت من عائلة تخاف الرب فهي ابنة إليام أحد أبطال الجيش وهو إبن أخيتوفل المستشار الأكبر لداود الملك وكان أوريا الحثي زوج بثشبع من أخلص ضباطه له .

وعندما نتأمل فيما حدث نجد عدة أمور تستحق التعليق . يقول الكتاب أن داود كان دائما يقود جيشه في الحروب التي كان يشنها على أعدائه . ولكنه هذه المرة فضل أن يرسل جيشه تحت قيادة يوآب وأن يستريح هو في بيته . وعندما لا يكون للإنسان ما يشغله يقترب منه الشيطان محاولا أن يوقعه في حبائله . وهذا ما حدث مع داود النبي العظيم فعندما صعد إلى سطح بيته ورأى امرأة جميلة أسكره جمالها فزني بها . لم يفكر داود عندما رأى بثشبع في إلهه الذي ذاق محبته والذي رفعه من راعى غنم إلى أعظم ملك عرفه بني إسرائيل . وكان ممكنا لبثشبع أن ترفض دعوة داود فلا تسقط في الخطية معه ولكن لم يخبرنا الكتاب أنها اعترضت أو ترددت بل ذهبت عندما دعيت . وقد يحكم عليها البعض بأنها كانت امرأة لعوب أو عديمة المبادئ . ولكن ينبغي ألا ننسي أن من دعاها كان داود الملك المحبوب والقائد الشجاع الذي ذاع صيته في كل أنحاء البلاد قبل أن يعتلي العرش والذي

رنمت له نساء إسرائيل بعد أن قتل جليات «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته» (١حم ٧:٨) ولا شك أن دعوة داود لها أرضت كبريائها فليس من السهل أن تتغاضي عن الحقيقة وهي أن الملك قد وقع في غرامها وجذبه جمالها . إلى هنا القصة قصة تحدث كثيرا ، رجل في مركز كبير يشتهي امرأة من الشعب فتخون زوجها وترتكب الشر معه . ولكن نهاية قصة بثشبع لم تكن نهاية عادية ، فقد حاول دادود أن يغطي ما فعله . فعندما أخبرته بثشبع أنها تحمل في أحشائها نتيجة جريمتهما ، تفتق ذهنه عن حيلة ليخفي بها معالم جريمته . فدعا زوجها أوريا الحثي الذي كان يحارب العدو ليأخذ أجازة وأكرمه على أمل أن يذهب إلى بيته ويضطجع مع امرأته . ولكن أوريا الجندي الباسل رفض قائلا «إن تابوت العهد وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي» (٢ صم ١١:١٤) ألم يخجل داود عندما سمع هذا من جندي في جيشه ؟ ألم يشعر بضميره يؤنبه على ما فعل ؟ وكيف سولت له نفسه أن يخون هذا الجندي الأمين؟ ولكن يبدو أن الشهوة قد أعمت عينيه وأسكتت ضميره ... ولذلك نراه يتمادى في خداعه ومحاولته تغطية خطيته فأمر أوريا أن يستريح يوما أخر ودعاه ليأكل معه وأشبعه خمرا حتى أسكرة آملا أن يمضي إلى امرأته تحت تأثير الخمر ولكنه لم يفعل . وعندما أدرك داود أن خطته قد فشلت لم يبق أمامه سوى أن يتخلص منه فأرسل خطابا إلى يوآب قائد جيشه يوصيه أن يضع أوريا في المقدمة وعندما تشتد عليه المعركة أن ينسحبوا من حوله فيُقتل . كيف سمح داود النبي العظيم أن يتمادي في خطيته فيتبع الزني بالقتل ؟ ولكن هي سطوة الشيطان وقوته ضد ضعف الإنسان. لقد كرر الكتاب عدة مرات الكلمات التي سطرها داود

في المزمزر ١٤ «الكل زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله» (مز ٣:١٤) . الكل زاغوا بما فيهم داود النبي الذي قال عنه الله أنه «وجدت قلب داود بن يسى حسب قلبي» (أع ٢٢:١٣) . إن معظم ضحايا الشيطان أقوياء وقد كان داود قويا ولكنه سقط .

ويتساءل الكثيرون لماذا ذكر الكتاب قصة سقوط داود بهذا الوضوح والإسهاب؟ والجواب أن الله يوضح لنا بها بعض الحقائق الروحية التي قد تغيب عن كثيرين. أولا أن الإنسان مهما بلغت قامته الروحية لا مناعة عنده ضد الخطية . ثانيا أن الله يقبل توبة الخطاة مهما كانت خطاياهم . ها هو أشعياء النبي يعلن عن هذه الحقيقة الهامة عندما قال «هلموا نتحاجج يقول الرب إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج وإن كانت كالدودي تصير مثل الصوف النقي (أش ١٨:١) . ثالثا أنه عندما يتوب الخاطئ توبة صادقة ، وقد تاب داود توبة حقيقية بدموع كثيرة وتواضع غير عادي من ملك عظيم ، توبة تحدث عنها الكتاب والمؤرخون لطولها وعلانيتها. عندما يحدث هذا يمسح الله الخطية في السماء . ولكن كثيرا ما يحكم على الخاطئ فيجني ثمرة خطيته على الأرض. ففي حالة داود يخبرنا الكتاب ان الله أرسل له ناثان النبي لكي يبلغه حكم الله . فحكي له قصة رجلان يعيشان بجوار بعض أحدهما غني والآخر فقير . وكان عند الغني غنم كثير أما الفقير فلم يكن عنده إلا نعجة واحدة صغيرة رباها مع بنيه فكانت تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه . وفي يوم جاء للغني ضيف فأخذ نعجة الفقير وذبحها وصنع وليمة لضيفه . إلى هذه اللحظة ، رغم التشابه العجيب بين ما فعله الغني وما فعله داود ، لم يشعر داود بذلك . ولذلك عندما سمع قصة ناثان حمي غضبه وأقسم «حي هو الرب يقتل الرجل الذي فعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف» (٢ صم ٦:١٢).

عندئذ نظر ناثان النبي إلى داود وبصوت قوى تردد في قاعة الحكم قائلا «أنت هو الرجل» (٢ صم ١٢:٧) ويبدو أن الملك لم يدرك معني ما قاله ناثان في الحال ونظر إليه مستفسرا عما يقصده فشرح له ناثان ما فعل بكل تفاصيله ثم أبلغه حكم الله فأخبره بما قاله «هاأنذا أقيم عليك الشر في بيتك ، وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضجع مع نسائك في عين هذه الشمس» (٢ صم ١٢:١١) . ويتضح من هذا أن الرب كالأب الحنون يؤدب أولاده عندما يخطئون لا لأنه يريد أن ينتقم منهم ولكن يفعل هذا ليشعروا بفداحة ما اقترفوه فلا يعودون إليه . للأسف هذه هي اللغة الوحيدة التي يفهمها الإنسان . ويحدثنا الكتاب أن ما قاله الرب قد حدث فقد تمرد ابشالوم ابنه عليه وحاول أن يقتله وينزع الملك منه , وقد أضجع ابشالوم مع نساء أبيه الذين تركهم وراءه عندما هرب من وجهه، وفعل هذا فوق السطح وفي وضح النهار كما قال الرب . كذلك أغتصب أحد أبناء داود أمنون أخته الغير شقيقة تامار تحت عين داود . إن الله يؤدب من يحبه وقد أدب داود لأنه كان يحبه حبا خاصا .

نعود إلى قصة بثشبع ونسأل هل عانت هي الأخرى نتيجة لاشتراكها في الخطية مع داود والجواب أنها نالت نصيبها من المعاناة فلا شك أن عشيرتها قد أدانتها عندما لبت دعوة داود دون اعتراض وأحست بثشبع بهذه الإدانة التي ربما عبرت عن نفسها في معاملتهم لها بعد ذلك . كذلك يخبرنا الكتاب أنها فقدت ابنها الأول الذي حبلت به نتيجة لخطيتها مع داود . فبعد أن اعترف داود بخطيته وتاب عنها صلي وصام وقد تكون بثشبع قد شاركته في الصلاة والصوم من أجل حياة الطفل الذي كان الرب قد ضربه فمرض . ولكن الله لم يسمع لهما فمات الطفل معلنا غضب الله على الخطية التي أرتكباها . ولكن بعد ذلك نجد

أن الله بارك طفلهما الثاني سليمان وسماه بنفسه وأعطاه الملك بعد أبيه . وقد أحب داود بثشبع أكثر من كل نسائه . ويتضح هذا من الدور الذي لعبته في اعتلاء ابنها سليمان لعرش أبيه . فقد حاول أدونيا شقيق إبشالوم أن يتولي الملك وأعد لنفسه عجلات وفرسانا وخمسين رجلا يجرون أمامه . ولم يعترض داود ولم يحاول أن يوقفه . ولم يعجب الأمر بثشبع وتكلمت مع ناثان النبي أن تتحدث مع داود في الأمر فدخلت عليه وأخبرته بالأمر وذكرته بوعده لها أن سليمان هو الذي سيجلس على عرشه من بعده وقد أستمع الملك لكلامها وأمر أن يمسح سليمان ملكا في حياته . وبعد أن مات داود واصبح سليمان ملكا ذكر الكتاب أخر عمل سجل لبثشبع وهو وساطتها عند أبنها أن يمنح ابيشج الشونمية حاضنة داود في شيخوخته لتكون زوجة لأدونيا . ويقول الكتاب أن سليمان لم يوافق بل انتهز هذه الفرصة ليقتص منه لمحاولته أخذ الملك منه فأمر بقتله .

وأغلب الظن أن بثشبع عاشت بقية حياتها في قصر سليمان معززة مكرمة كأرملة الملك داود وأم سليمان الحكيم الذي ضربت الأمثال بحكمته وغناه . وهكذا أكرمها الرب بعد أن تابت على خطيتها وأعطاها الشرف النادر أن المسيح له المجد أتي من نسلها .

١٧ - ملكة سبأ

المرأة التي أحبت الحكمة

ملكة سبأ هي المرأة التي سمعت عن حكمة الملك سليمان فصممت أن تستمع لها . وقد اخترناها لأنها نموذج للنساء الحكيمات اللاتي يطلبن الحكمة ويحبونها ويتحلين بها وكذلك

لأنها سعت وراء معرفة الإله الحقيقي وتحملت مشاق السفر مسافة طويلة قدرها البعض بأنها كانت حوالي ١٢٠٠ ميلا لترى بعينيها وتسمع بأذنيها أخبار هذا الإله الذي وهب أحد عبيده الحكمة التي لا تماثلها حكمة أي إنسان آخر فطار صيته في كل العالم وشهد له الجميع أنه كان أحكم من عاش على الأرض .

وقصة ملكة سبأ مسجلة في سفر الملوك الأول وكذلك أخبار الأيام الثاني. ورغم أهمية قصتها لم يذكر الكتاب أسمها وبذلك انضمت إلى مجموعة من النساء الفاضلات التي تحدث عنهن الكتاب ولم يذكر أسماءهن . من هؤلاء نذكر امرأة نوح وابنة فرعون التي ربت موسى وتبنته وزوجة جدعون وأم شمشون والمرأة الشونمية وزوجة أيوب وحماة بطرس والمرأة السامرية وأخريات. ورغم أن أسمها لم يذكر إلا أن الكتاب العرب يسمونها بلقيس والكتاب الحبشيون يلقبونها مكيدا . وهؤلاء يزعمون أنها كانت ملكة على الحبشة وأنها أنجبت من سليمان بعد رجوعها من زيارته وأن ملوكهم الذي كان آخرهم الامبراطور هيلاسلاسي هم من سلالة سليمان ولذلك كانوا يطلقون على أنفسهم لقب الأسد الخارج من سبط يهوذا .

ولم يذكر الكتاب أين كانت مملكة سبأ واختلف المؤرخون في هذا فبعضهم يقول أنها كانت على الخليج الفارسي وآخرون أنها كانت في جنوب الجزيرة العربية أي في المكان الذي تحتله اليمن الآن وآخرون أن مملكتها كانت الحبشة. وتبدأ القصة بعد أن استتب الحكم لسليمان واستقر على عرشه وبايعته المملكة في حياة أبيه داود . وقد ظهر له الله بعد ذلك وسأله عما يريده فطلب منه سليمان الحكمة فقد شعر بحداثة سنه وقلة خبرته وأنه يحتاج لمعرفة الله ليملأ المكان الشاغر الذي تركه داود فطلب من الله أن يعطيه الحكمة . وقد سر الرب من هذا الطلب لأن سليمان لم يطلب

مالا ولا جاها ولا الغلبة على أعدائه. ولذلك أعطاه الحكمة التي فضلها على كل شئ آخر وأعطاه معها كل ما تصبو إليه النفس البشرية . فأعطاه الجاه والمال والعظمة . وبنى سليمان هيكلا للرب كان آية في العظمة والجمال ، فطار صيته في جميع أنحاء العالم . ولم يخبرنا الكتاب عن المئات وربما الآلاف الذين زاروا إسرائيل ليشاهدوا مجد سليمان ويسمعوا حكمته لأنهم غالبا جاءوا من مسافات غير بعيدة ولم يكن أحدُ منهم مشهورا أو مرموقا .. ولكن عندما سمعت ملكة سبأ بحكمة سليمان وصممت أن تزوره رأى كاتب سفر الملوك الأول أهمية هذه الزيارة فدونها فوصلتنا عبر الأجيال تحكي قصة امرأة أحبت الحكمة فتحملت كثيرا لكي تستمع لها وتتعلم منها .

وعندما نتأمل في هذا لا يسعنا إلا أن نسأل ما الذي دعى هذه الملكة أن تترك حياتها المرهفة وأن تقوم بهذه الرحلة التي كلفتها كثيرا وتحملت فيها أعباء ومتاعب سفر طويل استغرق فيما قدره البعض ٤٠ يوما على الأقل؟ هل كانت مدفوعة بالفضول فعندما سمعت عن سليمان وغناه ومجده وأساطير لا يصدقها العقل أكلها الفضول وصممت أن تتحقق من الأمر بنفسها فتري بعينيها وتسمع بأذنيها ما وصل إليها فتحكم بنفسها إذا كان ما سمعته صحيحا أو مبالغا فيه ؟ أم أنها كانت مدفوعة برغبة قوية في المعرفة فقد كانت تعبد الأصنام وقد يكون قد دخل نفسها الشك أن هذه الأصنام المصنوعة بالأيدي ليست آلهة . وعندما سمعت أن إلها قويا هو الذي منح سليمان كل ما يتمتع به من حكمة وجاه وعظمة اشتاقت نفسها أن تعلم عن هذا الإله لعله هو الإله الحقيقي الذي تتوق إليها نفسها . وقد تكون أخبار سليمان قد أسكرتها فأحبت أن تراه وأن تستمع له وأن تتعلم منه وأن ترى كيف يحكم فيما يُقدم له من مشكلات صعبة يتعذر على غيره

حلها . كل هذا يشير أن ملكة سبأ لم تكن امرأة عادية بل كانت امرأة على قدر كبير من الذكاء مملوءة من الرغبة في معرفة الحق والسعي وراءه. لم يتحدث الكتاب عن جمالها الحسي بل أبرز جمالها العقلي والروحي . وهذا لا ينفي أنها ربما كانت جميلة الجمال الجسدي الذي يسبي الكثيرين . يخبرنا الكتاب «أنها سمعت عن خبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل» (امل١٠:١) ومعنى هذا أن حكمة سليمان ارتبطت بما سمعته عن مجد الرب فأثار هذا في عقلها أسئلة كثيرة أرادت أن تسأل عنها سليمان . ونلاحظ أن الكتاب وصف قصدها أنها جاءت لتمتحنه مما يدل أنها كانت تظن أنها تعرف إجابة بعض تلك الأسئلة . ويخبرنا الكتاب أنه بعد أن سمعت الملكة إجابات سليمان على أسئلتها أنها «لم يبق فيها روح بعد» (١مل ١٠:٥) فيبدو أنها اكتشفت أن كل إجاباتها كانت خاطئة . ولكنها شعرت بأن إجابات سليمان كانت صحيحة فآمنت بها ولتعبر عن رضاها وامتنانها لما رأته وسمعته أعطت سليمان عطايا كثيرة وثمينة فقد أعطته «مئه وعشرين وزنة ذهب وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة. لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة . كذلك كميات كبيرة من خشب الصندل» (١ مل ١٠:١٠ – ١٢) . وقد قدر بعض المؤرخين أن الذهب وحدة كان ثمنه يعادل ٣ ١/٢ مليون دولار (بسعر اليوم). ولذلك يمكننا أن نقول أن تضحيات ملكة سبأ لتري وتسمع حكمة سليمان لم يكن تعبها الذي كابدته في رحلتها الطويلة ولكن أيضا فيما كلفتها زيارتها من نفقات طائلة . يعكس هذا الكرم الشرقي الذي لا زالت بقاياه موجودة في كثير من بلاد الشرق الأوسط إلى الآن . ولم يذكر الكتاب أن الملكة كانت متزوجة وأغلب الظن أنها كانت الحاكمة المطلقة لمملكتها وهي بهذا تشترك مع عدد قليل من النساء الذين وصلوا إلى الحكم في ذلك الزمان نذكر منهم الملكة

حتشبسوت والملكة كليوباترة . ولا نعلم أيضا المدة التي أمضتها الملكة في ضيافة الملك سليمان ومن المرجح أنها أمضت عدة شهور في ضيافته تتمتع بكرمه وتستمتع بحكمته. وقبل أن تعود إلى أرضها عبرت له بصراحة لا يشوبها حسد أو غيره . ففي كثير من الحالات المماثلة نجد أن الحسد والغيرة يتملكان المُشاهد عندما يري عظمة غيره . ولكن ملكة سبأ لم تشعر بشئ من هذا فقالت لسليمان «صحيحا كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك . ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي . هوذا النصف لم أخبر به . زدت حكمة وصلاحا على الخبر الذي سمعته . طوبي لرجالك وطوبي لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائما السامعين حكمتك . ليكن مبارك الرب إلهك الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل . لأن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد جعلك ملكا لتجري حكا وبرا» (١ مل ١٠:٦-٩) .

وهكذا وجدت ملكة سبأ الإجابة على الأسئلة التي جاءت من أجلها وأخبرها سليمان عن إله إسرائيل الذي اعترفت به فيما قالته له . وعادت إلى بلادها سعيدة راضية فقد كانت رحلتها ناجحة نجاحا لم تتوقعه ، وخصوصا أن سليمان أعطاها كل ما طلبته واشتهته نفسها . هنا تنتهي قصة ملكة سبأ كما سطرها الكتاب المقدس . ولكن تبقي بعض الأسئلة التي تبرزها هذه القصة في أذهان كل من يقرأها . أولها بل أهمها هل آمنت الملكة بإله سليمان التي اعترفت به وبأعماله ومحبته لبني إسرائيل ؟ هل اقتنعت أنه إله كل الأرض وأنه لا إله غيره ؟ وهل بشرت شعبها بما آمنت به فأمنوا هم أيضا ونبذوا عبادة الأصنام ؟ لا أحد يعلم. ربما نسيت الملكة كل ما سمعته عن إله إسرائيل بعد أن عادت إلى روتين حياتها فاستمرت في عبادة الأوثان هي وشعبها. ولكن الله لم ينسها فعندما تجسد الإبن وبدأ يتكلم مع خاصته عن الأب

ومحبته لهم وعن أسرار ملكوت السماوات ، لم يفهمه الشعب ولم يؤمن به فوبخهم يوما بأن قال لهم «ملكة التيمن (سبأ) ستقوم في يوم الدين مع هذا الجيل وتدينه ، لأنها أتت من أقاصي الأرض لتسمع حكمة سليمان وهوذا أعظم من سليمان هنا» (مت ١٢:٤٢). ويحتار الكثيرون في تفسير ما قاله السيد المسيح بأنها «ستدين هذا الجيل» فالدينونة له هو وحده وأغلب الظن أنه قصد أن دينونتهم سوف تقوم على المقارنة بين ما فعلته ملكة سبأ التي عانت الكثير في سبيل سماع حكمة سليمان الملك الذي طارت أنباء حكمته فجذبت الكثيرين ومنهم ملكة سبأ . والسؤال هنا كيف انتهت حياة أحكم من عاش على الأرض ؟ هل ظل سليمان يتبع الحكمة التي سطرها في ٣ أسفار من أسفار العهد القديم ؟ يخبرنا الكتاب أنه لم يفعل «بل أحب نساء غريبات من الأمم التي قال عنهم الرب لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء ألهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء فكان له سبع مئة من النساء وثلاث مئة من السراري ففي شيخوخته أملن قلبه وراء آلهة أخرى .. وعمل الشر في عيني الرب» (١ مل ١١:١-٦) فمزق الرب المملكة عن ابنه ولم يفعل ذلك في حياة سليمان من أجل محبته لداود أبيه . هذا هو الرجل الحكيم الذي نصح العالم كله ولكنه لم يعمل بما نصح به هو لأنه تكبر وأعتمد على ذكائه ومشى وراء نسائه فسقط .

١٨ - أستير

العبدة التي أصبحت ملكة

أستير هي الفتاة الفقيرة التي كانت ضمن آلاف اليهود الذين سباهم الملك بنوخذ نصر عندما قهر مملكة يهوذا في عام ٥٩٧

ق. م . ودمر أورشليم وهدم هيكل سليمان . وقد صاحبت أبواها وبعض أقربائها إلى أرض الغربة ليعيشوا معيشة الهوان والذل تحت سطوة ملوك الفرس . وبعد أن توفي أبواها أخذها مردخاي إبن عمها وتبناها وأحبها ورباها كما يربي الأب إبنته . وأستير لم يكن اسمها العبري بل كان اسمها هدسة وهو اسم نبات الـ myrtle وهو من النباتات العطرة التي كان يستعمل جزء منه كأحد التوابل . أما أسم أستير فهو أسمها الفارسي الذي معناه النجم .. وقد جمعت حياة أستير بين الإسمين فقد كانت ذات سيرة عطرة في أمتها وأرتفع نجمها عندما أصبحت ملكة على مملكة فارس . ولا نكون مغالين إذا قلنا أن نجم الملكة أستير كان أكثر لمعانا من كل بنات جنسها ولذلك كتبت سيرتها في سفر سمي باسمها واحتوى على عشرة إصحاحات كاملة . نعود إلى قصتها فنقول أن استير كانت ذي جمال رائع .. وكان هذا الجمال الذي وهبه لها الله أول مؤهلاتها التي أدخلتها قصر الملك أحشويروش واستقرت أستير في القصر تقوم ببعض المهمات في حريم الملك وطابت لها الحياة رغم أنها كانت جارية .. أما الخطوة الثانية التي أخذتها إلى العرش فكانت تحذيرات مردخاى لها ألا تبوح لأحد بحقيقة هويتها . وقد أطاعت استير مردخاي الذي أحبته كوالد لها . فعاشت في القصر دون أن يعلم أحد أنها إحدى النساء اللاتي سباهن نبوخذ نصر عندما قهر بني إسرائيل .. وقد تمت الخطوة الثالثة عندما دعا الملك أمراء وحكام ورؤساء البلاد الشاسعة التي كان يحكما إلى احتفال يريهم فيه مجده وغناه وعظمته .. يقول الكتاب أن الاحتفال دام ستة أشهر كاملة والجميع يأكلون ويشربون في بذخ وينغمسون في ملذات هذا العالم . ولم يذكر الكتاب أن المحتفلين قد انغمسوا في ملذات الجنس ولكن لا يستبعد أن هذا حدث فإذا اجتمع الناس بعيدا

عن الله ولعبت الخمر بعقولهم انحرفوا وتبعوا الشيطان. ونحن الآن نتعجب من طول وبذخ هذا الحفل ونتساءل من كان يحكم البلاد أثناء هذه الأشهر الستة؟ ولكن يبدو أن العالم القديم وخصوصا الحضارات الشرقية التي قامت في بابل وفارس ومادي كانت تتسم بالبذخ والإفراط المبالغ فيه، يغدقه الملوك على أنفسهم دون حساب . وآخر ما نذكره في هذا الصدد الحفل العظيم الذي أقامه شاه إيران الأخير والذي أستمر ٤٠ يوما وتكلف الملايين الطائلة . أما الملك احشويرش فيخبرنا الكتاب أنه بعد الاحتفال الأول الذي دام ١٨٠ يوما وعاد الرؤساء والأمراء إلى أوطانهم أن الملك أقام احتفالا آخر لحاشيته استمر ٧ أيام بينما أقامت الملكة وشتى احتفالا خاصا بالنساء . وكان الغرض من هاذين الاحتفالين أن يشكر الملك حاشيته على تعبها في إقامة الاحتفال الأول .. وحدث أنه في اليوم السابع لهذا الاحتفال وبعد أن طاب قلب الملك بالخمر أن الحديث تطرق إلى النساء وتحت تأثير المسكر بدأ كل من أقطاب الحاشية الذين أتوا من بلاد أخرى يتفاخرون زاعمين أن نساءهم هن أجمل نساء العالم . وطبعا رفض الملك هذه المزاعم وقال أن نساء فارس هن أجمل نساء العالم .. وتبع هذا بأمره أن تحضر الملكة وشتي ليري جمالها الجميع . وقد ذكر بعض المؤرخين أن حضور الملكة في هذه الظروف كان يحتم عليها أن تخلع ثيابها أمام الحاضرين ليعاينوا جمالها على الطبيعة .. وعندما وصل أمر الملك للملكة وشتى رفضت بشجاعة أن تطيعه ، فما كان من الملك إلا أن خلعها من الملك وأغلب الظن أنها طُلقت وتركت القصر لأن الكتاب لم يذكرها بعد ذلك ولو كانت قد مكثت به لكانت حاولت أن تنال من أستير بأن تدس لها محاولة إفساد علاقة الملك بها .

وأشار مستشارو الملك عليه أن يجمع رؤساء المناطق المختلفة

كل العذراى الجميلات وأن يختار منهن الملك من تروق له فيتزوجها وتصبح ملكة بدلا من وشتي .. وكان مردخاي من موظفي القصر فأوعز لأستير أن تكون ضمن العذارى اللاتي سيعاينهم الملك . وكان هذا ضد قانون البلاد الذي كان يحتم على الملك ألا يتزوج بأجنبية . ولكن لأن أستير لم تعلن عن هويتها لم يكن هناك مانع من أن تنضم للعذراي . وبعد سنة كاملة من الإعداد الكامل قابل الملك كل العذارى ولم يعجبه إلا أستير فاختارها لتكون ملكة تجلس معه على العرش . لقد ابتسمت الدنيا أخيرا لأستير لترفع هذه الفتاة التي كانت جارية في حريم الملك إلى ملكة متوجة على أكبر ممالك العالم في ذلك الوقت وكان الله هو الذي بدأ كل هذا فيده هي التي رفعت استير من المذبلة إلى العرش . وقد وضعها الله في هذا الوضع لمهمة خاصة ، قامت بها أستير خير قيام . والمهمة باختصار تتلخص فيما يلي :

كان من موظفي القصر الكبار رجل أسمه هامان . ويبدو أن الملك كان يقدر خدماته فرفعه إلى مرتبة فوق باقي موظفيه . ودخل الغرور قلب هامان خصوصا أن الملك أمر أن يجثو ويسجد أمامه باقي عبيد الملك عند مروره أمامهم. وأطاع الجميع ما عدا مردخاي الذي رفض أن يجثو أو يسجد لهامان . وامتلأ قلب هامان بالغضب. ولما علم أنه يهودي صمم ألا ينتقم منه وحده ولكن من جميع اليهود . وأعد هامان خطته ليهلكهم عن آخرهم وعرضها على الملك فوافق عليها وأمره بتنفيذها . وعندما علم مردخاي بالأمر أخبر أستير وطلب منها أن تفعل شيئا وأشار عليها أن تقابل الملك وتتوسل إليه أن ينقذ الشعب من الهلاك الذي أعد لهم . ولكن كان هناك خطر على أستير في طاعتها لمردخاي فلو حاولت أن تقابل الملك دون أن يطلبها ربما أمر بقتلها فقد كان هذا هو المتبع في

ذلك الوقت . ولكن إذا مد لها عصاته الذهبية نجت من الموت واستمع لها الملك . ولم تتراجع أستير فوافقت على طلب مردخاي رغم الخطر على حياتها . وفي هذا تتجلى شجاعتها واستعدادها للموت من أجل شعبها . ولم تشعر أستير أنها قادرة بمفردها على حل المشكلة فتوجهت إلى الله تسأله أن يساعدها وأمرت أن يصوم الشعب دون طعام أو شراب ثلاثة أيام . ودخلت على الملك فمد لها عصاته وسألها عما تريد . فدعته أستير أن يحضر هو وهامان الوليمة التي ستقيمها لهما في الغد . وأكرمت الملك ضيفيها إكراما زائدا وعندما طاب قلب الملك سألها عما تريد فدعتهما لوليمة أخري في اليوم التالي وزاد هامان كبرياء وغرورا فقد كان هو الوحيد الذي دعته الملكة لهذه الولائم . وفي الوليمة الثانية كررت الملكة كرمها للضيفين وعندما سألها الملك عما تريد ، أخبرته بكل ما دبره هامان ضد شعبها، فأنزعج الملك ونزل الرعب على قلب هامان الذي أدرك أنه أخيرا قد وقع في شر أعماله . وقبل أن تنتهي الوليمة كان الملك قد أصدر حكمه على هامان بالإعدام . ونجا الشعب من الهلاك الذي دبره لهم.

وقصة أستير من القصص التي تقترب من الأساطير ، ولكنها قصة حقيقية حدثت في فترة كان غضب الله على شعبه المختار . ولكنه تحنن عليهم عندما رأى أنهم على وشك أن يهلكوا . فقرر أن يخلصهم على يد امرأة وضعها هو في المكان الذي مكنها أن تحقق ما تراه . والطريف أنه رغم أن السفر كله مكتوب ليعلمنا أن الله يستطيع أن يصنع المعجزات مهما كانت الظروف إلا أن إسمه لم يذكر في السفر كله بإصحاحاته العشرة .. والسفر الآخر الذي شارك هذا السفر في عدم ذكر اسم الله هو سفر نشيد الإنشاد الذي لم يعالج أي موضوع آخر غير علاقة الله بعروسه الكنيسة والحب الذي كان بينهما .

١٩ - ابنة يفتاح الجلعادي
المرأة التي بكت بكوريتها

لقد اخترنا بنت يفتاح الجلعادى لأنها ضحت بحياتها من أجل محبتها لإلهها وأبيها تلك المحبة العظيمة التي تحدث عنها السيد المسيح عندما قال «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو ١٥:٢١) وهي لم تعط البشرية درسا في المحبة والتضحية فقط بل في الشجاعة ومواجهة الموت دون خوف أو جزع . وهي لذلك تعتبر من أنبل النساء اللاتي سرد الكتاب المقدس حياتهمن من أجل تعليمنا.

لقد جاءت قصة حياتها في سفر القضاة عندما تحدث كاتب السفر صمويل النبي عن قصة رجل من رجال ذلك العصر الذي ترك فيه الرب الإله بني إسرائيل بدون قائد بعد موت يشوع بن نون . وكان الشعب قد ابتعد عنه وعبدوا آلهة أخرى . وكان الرب يؤدبهم بأن يغري بهم أعداءهم فيذلوهم . وعندما يطول الإذلال ويصرخ الشعب طالبا خلاصه ، يستجيب ويرسل لهم مخلصا يخلصهم من نير عبوديتهم فيعيشون أحرارا إلى أن يعودوا لخطاياهم فيستعبدون لأعدائهم وهكذا .. وهذه القصة كانت قصة رجل من هؤلاء الذين أرسلهم الرب الإله ليخلصوا بني إسرائيل من مضايقيهم . نعود إلى قصة يفتاح . يقول الكتاب المقدس أن رجلا أسمه جلعاد كان متزوجا ولكن كانت له علاقة بامرأة زانية أُممية ورزق منها بولد سماه يفتاح . ولما كبر يفتاح وكبر إخوته من أبيه ثاروا ضده ولم يقبلوه لأن أمه أُمميه فطرده قومه فرحل إلى منطقة أسمها أرض طوب . وهناك انضم إلى بعض الخارجين

على القانون وبالتدريج وصل إلى أن أصبح زعيما لهم. وبما أنه كان على جانب كبير من الذكاء والدهاء برع في قيادة عصابته ونجح في غاراته التي شنها فذاع صيته وأصبح إسمه يجلب الخوف والذعر إلى قلوب الساكنين في المنطقة . وعاش يفتاح فترة بعيدا عن عشيرته التي نبذته إلى أن هاجمتهم جيوش بني عمون . ولم يكن في صفوف بني إسرائيل من يستطيع أن يقودهم ضد هذا العدو الذي أقض مضاجعهم . فعندما رأي الشيوخ أنهم لا يستطيعون الصمود أمامهم أرسلوا رسلا يستدعون يفتاح لِما سمعوه عن مهارته في الحروب وقدرته على قيادة رجاله المسلحين. وكان رد يفتاح متوقعا فقد قال لهم «أما أبغضتموني أنتم وطردتموني من بيت أبي فلماذا أتيتم الآن إذ تضايقتم» (قض ١١:٧). وعندما أكد له الشيوخ أنهم يريدونه رئيسا عليهم وشعر أن كرامته قد ردت عاد إلى جلعاد ليبدأ حقبة جديدة من حياته . لقد تغيرت حياة يفتاح في يوم وليلة فبعد أن كان محتقرا مهانا من الجميع دون أن يقترف ذنبا أصبح محترما مهابا من الكل . ونظر يفتاح إلى المشكلة التي أمامه فوجد أن جيش بني عمون أقوي بكثير من جيش بني إسرائيل . وعندما فكر في أحسن الطرق لحل المشكلة استقر رأيه أن يحاول الحل السياسي أولا فإن نجح كان بها . أما إذا لم ينجح فسوف يعطيه هذا بعض الوقت الذي يستطيع فيه أن يعد جيشه للمعركة القادمة . فبدأ بأن أرسل رسلا إلى ملك عمون يسأله عن السبب الذي دفعه ليهاجم بني إسرائيل . وقد أجاب ملك عمون بأن إسرائيل أخذوا جزءا من أرضه عند صعودهم من أرض مصر . وكان يفتاح يعلم أن هذا غير صحيح ولكنه كسبا للوقت رد عليه ساردا تاريخ بني إسرائيل في تلك الحقبة وكيف أنهم لم يأخذوا أي أرض من ملك عمون . ولكنه لم يقتنع وأرسل ردا ليفتاح بهذا المعني . ويقول

الكتاب أن روح الرب كان على يفتاح فعبر بجيشه إلى بني عمون. وقبل المعركة نذر للرب نذرا قائلا «إن دفعت بني عمون ليدي فالخارج الذي يخرج من أبواب بيتي للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند بني عمون يكون للرب واصعده محرقة» (قض ١١:٣٠ ، ٣١) ودفع الرب بني عمون في يد يفتاح وأنتصر عليهم نصرا عظيما وعندما عاد إلى منزله إذا بابنته تخرج للقائه بدفوف ورقص. فلما رآها مزق ثيابه وأخبرها بنذره الذي نذره للرب .

وعندما نتأمل فيما حدث لا نجد شيئا غير عادي ما عدا النذر الذي نذره للرب . ونتساءل لماذا فعل هذا ؟ ألم يفكر في احتمال أن إبنته الوحيدة قد تكون أول من يقابله بعد رجوعه ظافرا من الحرب؟

وكيف نذر يفتاح نذرا ضد الشريعة كما أرسلها الله لشعبه على يد موسى ، فكل المحرقات والذبائح التي أمر بها كانت من الحيوانات والطيور . وقد حرم الله الذبائح البشرية تحريما تاما لأن كثيرا من الشعوب كانت تمارسها ضمن عبادتها الوثنية . والمرة الوحيدة التي أمر فيها الرب بذبيحة بشرية كانت عندما أمر إبراهيم أن يقدم أسحق إبنه محرقة . ولكننا نعلم أن أمر الرب هذا لم يكن لرغبته في ذبيحة بشرية بل أمر بها لاختبار إيمان إبراهيم وإعلان هذا الإيمان للبشرية على مر العصور . وقد نجح إبراهيم في الاختبار فأخذ أسحق ووضعه على المذبح و أخذ السكين ورفعها ليغمدها في صدره ولكن الرب منعه وأرسل الكبش الذي قدمه إبراهيم محرقة بدلا من أسحق . وقد يكون يفتاح قرأ هذه القصة واستنتج منها خطأ أنه لا مانع عند الله يمنعه من قبول ذبيحة بشرية . وقد يكون ظن أن طلبته من الله أن ينصره على بني عمون طلبه صعبة بعيدة المنال لقوة جيش ملك عمون فأراد أن يقدم محرقة أفضل من التي نصت عليها الشريعة لعله

بهذا يستعطف قلب الله فيدفع ليده بني عمون . وكان هذا هو الخطأ الجسيم الذي وقع فيه يفتاح وقد دفع الثمن غاليا . فقد أضطر أن يصعد أبنته الوحيدة محرقة لتموت أمام عينيه ويعيش بقية حياته في حسرة وندم شاعرا أنه هو الذي قتلها بفعلته الهوجاء .

وعندما ننظر لما حدث من ناحية الابنة نجد أنها منذ ذهب أباها للحرب كانت قلقة عليه سمعت ببأس جيش ملك عمون وعندما سمعت أن أباها انتصر عليهم فرحت بسلامته وعندما علمت أنه في طريقه إليها بحثت عن دفوفها ولبست أحلى ثيابها وخرجت ترقص وتغني لأن الله نصر أباها على أعدائه وأرجعه سالما لها . وما أن ارتمت في حضنه حتى شعرت بذراعيه تعصراها عصرا وكأنه لا يريد أن يتركها . وما لبثت أن أحست أنه يبكي بكاء مرا وحسبت أن دموعه هي دموع الفرح ولكنها أحست بجسده يرتعش وأن بكاءه كان بكاء الحزن لا بكاء الفرح .. وأخيرا عندما نظرت إليه مستفسرة أخبرها بنذره وهو يتأسف ويعترف بخطئه وعدم قدرته أن يرجع في نذره .

ماذا كان وقع كل هذا على تلك الابنة المحبة التي لم تكمل فرحتها بأبيها المنتصر بل فوجئت بفرحها ينقلب إلى مأتم في أقل من لمح البصر . هل لامت أباها على غلطته الشنيعة ؟ هل حكمت عليه بعدم الحكمة والتهور ؟ لا أظن فقد كانت تحب أباها حبا عظيما . وكما قال لنا معلمنا بولس الرسول أن المحبة تحتمل كل شيء فلا عجب إذا كانت قد رأت الموقف من ناحية أبيها لا من ناحيتها هي . فقد رأت أن أباها في حماسه ليحارب من أجل الرب قد لجأ إليه طالبا منه أن ينصره على أعدائه فنذر نذره . ولم ترى نذره على أنه خطأ في التقدير وتسرع لا مبرر له بل على أنه حرص على نجاحه في مهمته الخطيرة . وكانت الضحية البريئة

أيضا تحب الله من كل قلبها ولم تشعر أن ضحيتها لن يقبلها الرب بل فكرت أنها إرادة الله وأنها سوف تكافأ عليها بحياة أبدية معه . فقبلت الحكم الذي فاه به أباها ولم تعترض وعندما نتأمل في كل هذا نتعجب ونسأل من أين أتت هذه الفتاة التي عاشت مع أبيها قاطع الطرق بكل هذه الحكمة والرضا بما كتب لها؟ لا أحد يعلم . كان مصدر هذه الحكمة هو الله الذي يعطي من يشاء من نبع حكمته . ونحن لا زلنا نري هذا في عالمنا الحاضر فكثيرا ما نري شخصا عاش في بؤرة من بؤر الفساد ينمو ليصبح شخصا فاضلا معلنا أن من الجافي يمكن أن تخرج حلاوة . وفي تاريخ الكنيسة نجد أمثلة لهذا كالقديس اغسطينوس وماريا القبطية وموسي الأسود الذي كان لصا وقاتلا وفي لحظة تحول إلى قديس يعرف العالم كله سيرته .

نعود إلى بنت يفتاح . يقول لنا الكتاب أنها بعد أن علمت بالنذر قالت لأبيها «يا أبي هل فتحت فاك إلى الرب فافعل بي كما خرج من فيك بما أن الرب قد أنتقم لك من أعدائك بني عمون . فليفعل بي هذا الأمر» (قض ١١:٣٦) . وبعد هذا الكلام الذي أعلنت به قبولها لمصيرها المحترم نظرت إلى أبيها الذي كان يذوب حزنا وأسفا وقالت له «أتركني شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وابكي عذراويتي أنا وصاحباتي» (قض ١١:٣٧) كان هذا كل ما طلبته من أبيها أن يعطيها هذه المهلة لكي تنوح على بكوريتها تعود بعدها لتقابل مصيرها بنفس راضية . وكما بينا من قبل أن حلم كل فتاة في إسرائيل كان أن تتزوج وأن ترزق بذرية . وكانت بنت يفتاح تنتظر هذا اليوم وتحلم به ولكن نذر أبيها قضى على هذا الحلم وأنهاه . وقد وافق الأب على طلبة أبنته الأخيرة . وربما راوده الأمل أنها لن تعود فقد يفترسها وحش فلا يضطر أن يقدمها لتموت أمام عينيه . ولكنها عادت وكان على يفتاح أن يفي

بنذره وأن يسلم ابنته الوحيدة إلى الموت الذي حكم عليها به فأخذها إلى شيوخ جلعاد فاصعدوها ذبيحة ومحرقة للرب .

لم يخبرنا الكتاب أي تفاصيل عما حدث في عملية إصعاد هذه الذبيحة البشرية . هل عاملوها كما كانت الذبائح الأخرى تعامل ؟ هل كان يفتاح حاضرا ؟ وسواء كان حاضرا أو لم يكن فليس هناك شك أنه قضى بقية حياته في حزن وندم على ما فعله بابنته الوحيدة . وقد ختم كاتب القصة بأن ذكر «أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعادى أربعة أيام في السنة» (قض ١١: ٤٠) فقد وجدن فيما فعلته مثلا للشجاعة النادرة والتضحية بالذات يستحق أن يذكره الشعب ليخلد ذكراها العطرة لكل الأجيال المقبلة تتعلم منها درسا في محبة الله والوطن كما أحبتهما بنت يفتاح الجلعادي .

٢٠ - أرملة صرفة

المرأة التي أمرها الرب أن تعول إيليا

أرملة صرفة هي المرأة التي اختارها الرب لتعول إيليا النبي فعالته السنتين الأخيرتين من الثلاث سنوات ونصف التي استمر فيها الجفاف والقحط في أرض السامرة بصلاة إيليا فحدثت مجاعة طاحنة عاني منها الشعب ومنهم هذه الأرملة. وقد حدث هذا تأديبا من الرب لهم لأنهم تركوا عبادته وتبعوا ملكهم آخاب وزوجته الشريرة إيزابيل في عبادة البعليم والعشتاروت. وقد وردت قصة هذه الأرملة التي لم يشأ كاتب السفر أن يذكر أسمها شأنها في ذلك شأن الكثيرات ممن ذكر الكتاب قصة حياتهن وما تنطوي عليه من دروس نافعة دون أن يذكر أسماءهن.

يقول الكتاب أن إيليا النبي بعد أن تعب من مناداة الشعب وملكه أن يعودوا لإلههم أمره الرب أن يخبر الكل أن الأرض لن ترى مطرا عقابا لهم على عنادهم. وعندما جفت الحقول وانتهى ما اختزنه الناس من طعام حدثت مجاعة وبدأ الملك آخاب يبحث عن إيليا في كل مكان لعله يستطيع أن يحل المشكلة فيصلي إلى الله ليرفع غضبه عن شعبه. وكان الله يخفي إيليا عن أعين جواسيس الملك الذين كلفهم بالبحث عنه. وبإيحاء من الروح القدس ذهب إيليا إلى صرفة وهي من البلاد القريبة من السامرة التي يسكنها الكنعانيون ليهرب من وجه آخاب الملك. وكان الجفاف يعم المنطقة كلها والمجاعة منتشرة في السامرة وما حولها بما فيها صرفة. وكانت هذه الأرملة تعيش في صرفة هي وابنها الصغير بعد أن مات زوجها تاركا لها قطعة أرض صغيرة وبيت متواضع عليها. وعاشت الأرملة وابنها قبل المجاعة بالكاد. فقد كانت تزرع أرضها فتنتج لها ما يكفيها هي وابنها وتبيع ما زاد عن حاجتها لتشتري بعض لوازم الحياة الأخرى. ولكن بعد أن أنقطع المطر عاشت هي وابنها على القليل الذي كانت قد ادخرته من دقيق وزيت. واستطاعت أن تبقي على قيد الحياة مدة السنة والنصف التي استمر فيها الجفاف ورغم حرصها الشديد على ما ادخرته أتي اليوم الذي لم تجد الأرملة إلا اليسير من الدقيق والزيت فخرجت بقلب حزين لتجمع بعض القش من حقلها لتصنع بما تبقي كعكتين تأكل واحدة وابنها واحدة. ثم ينتظران الموت إلى أن يأتي. وبينما هي تجمع القش لتعد آخر طعام لها ولابنها إذا برجل قوى البنيان يقترب منها ويطلب منها أن تعطيه ليشرب. وكانت المرأة قد ادخرت بعض الماء لها ولابنها ولكن عندما طلب منها إيليا الماء وهو في هذه الظروف أغلى ما يمكن أن يمتلكه إنسان، لم تمتنع بل أطاعت في التو. فتركت جمع القش واتجهت

نحو بيتها لتحضر له الماء، ولكن إيليا صاح طالبا منها كسرة خبرة. وهنا وقفت المرأة وقالت له «حي هو الرب إلهك إنه ليست عندي كعكه ولكن ملء كف من الدقيق في الكوار وقليل من الزيت في الكوز وها أنا أقُش عودين لآتى وأعمله لي ولإبني لنأكله ثم نموت» (١مل ١٢:١٧). وعندما نتأمل فيما قالته نجد أنها وصفت الرب بأنه إله إيليا وليس إلهها. وهذا يؤكد أنها كانت أممية وليست يهودية وأنها عرفت أن إيليا يهوديا. كذلك نجد أنها أخبرت هذا الغريب الذي لم تعلم عنه شيئا الحقيقة المرة التي كانت تعيشها وهي أنها سوف تصنع بما تبقي عندها كعكتين لها واحدة ولابنها واحدة ثم يموتان بعد ذلك. لقد كانت الحسرة والألم تشعان من كل كلمة قالتها.. لم تكن تشكو بل قالت الحقيقة المرة. عند ذاك نظر إيليا إليها ورأي خوف الموت في عينيها فقال لها «لا تخافي أدخلي وأعملي كقولك ولكن أعملي لي منها كعكة صغيرة أولا وأخرجي بها إلي. ثم أعملي لك ولابنك أخيرا، لأنه هكذا قال الرب إله إسرائيل أن كوار الدقيق لا يفرغ وكوز الزيت لا ينقص إلى اليوم الذي فيه يعطي الرب مطرا على وجه الأرض» (١مل١٧:١٣، ١٤). ومما يلفت النظر هنا أن إيليا طلب من المرأة أن تصنع له أولا كعكة صغيرة وتحضرها له قبل أن تصنع مما تبقي لها ولابنها فكان بطلبه هذا يؤكد المعني الحقيقي للعطاء، وهذا ما كرره السيد المسيح عندما رأي الأرملة تضع فلسين في خزانة الهيكل فمدحها قائلا أنها أعطت أكثر من كل الأغنياء الذين يضعون أموالا طائلة لأنها أعطت من أعوازها أما هؤلاء فأعطوا مما فاض لهم. فكلا الأرملتين أعطيا الرب من أعوازهما وهذا هو العطاء الذي يكافئه الرب. وبعد أن طلب إيليا هذا الطلب الصعب طمأن المرأة أن الله إله إسرائيل قد وعد أن كوار الدقيق لن يفرغ وكوز الزيت لن ينقص. لا يخبرنا الكتاب إذا كانت الأرملة قد آمنت

وصدقت إيليا أم لا ولكنه يخبرنا أنها أطاعت دون تردد أو اعتراض فصنعت له كعمة وخبزتها ثم أحضرتها له. ولعلها لاحظت وهي تأخذ بعض الدقيق من الكوار انه لم ينقص وأن كوز الزيت كذلك لم ينقص عندما أخذت البعض منه لتصنع الكعكة التي طلبها إيليا، فاستبشرت خيرا وفكرت أن الرب قد أرسل لها أحد أنبيائه لكي ينقذها من الموت هي وابنها. وعندما نفكر في هذا نتعجب أن الله اختار أرملة أُممية لتعول نبيه إيليا. وقد يسأل البعض ألم تكن إحدى نساء بني إسرائيل أحق منها ؟ ونحن لا نعلم لماذا أختار الرب هذه الأرملة فهو في معظم الأحيان لا يفسر لبني البشر تصرفاته. وقد يكون السبب أن هذه الأرملة لم تكن تعرف الرب ورأي فيها الطيبة والاستعداد لتعبده فأرسل لها إيليا ليفعل هذا وليس لكي تعوله الأرملة فقط بل ليمكث عندها سنتين يحدثها ويعلمها عن إله إسرائيل التي عاينت قوته في كوار الدقيق وكوز الزيت.

نعود لقصة الأرملة فنجد أنه بعد مدة لم يحددها الكتاب مرض ابنها واشتد مرضه جدا حتى لم تبقي فيه نسمة ومات. لا نعلم ماذا صنعت المرأة عندما مرض ابنها. من الواضح أنها لم تملك شيئا فلم تستطع أن تعرضه على طبيب، فهل طلبت من إيليا أن يطلب من إلهه القوى أن يشفيه ؟ لا نعلم ولكننا نعلم أنه عندما مات ذهبت إلى رجل الله وقالت له «ما لي ولك يا رجل الله. هل جئت إلى لتذكير إثمي وإماتة ابني ؟» (١مل ١٧:١٨) . وقد يشعر البعض من هذا أن المرأة كانت خاطئة ورأت أن ما حدث كان قصاصا من الله لخطاياها الماضية التي كادت تنساها. وأغلب الظن أنها لم تكن خاطئة بهذا المعني ولكن شأنها شأن بقية الناس كانت من وقت لآخر تخطيء في تقديرها أو في تصرف من تصرفاتها وعندما تقدمت بها الأيام قلت أخطاؤها. ولكنها تذكرتها

عندما مات ابنها. ونلاحظ أن إيليا لم يوافقها على ما قالت بل علم ببساطة ما كان عليه أن يعمله فقال لها كلمتين فقط «أعطني ابنك» وكأنه يقول لها دعيني أتكفل بالأمر. عند ذلك سلمته الأرملة جثة ابنها فأخذها وصعد بها إلى العلية التي كانت الأرملة قد أعطته ليمكث بها أثناء وجوده معها.

يخبرنا الكتاب أن إيليا صرخ إلى الرب معاتبا قائلا «أيها الرب إلهي أيضا إلى الأرملة التي أنا نازل عندها قد أسأت بإماتتك لابنها» (١مل ١٧: ٢٠). فلنقف هنا لحظة. إيليا الإنسان يقول لرب الكون «لقد أسأت للأرملة بإماتتك ابنها» ما هذه الجرأة يا رجل الله أو ما هذه الدالة ؟ هل تستطيع الجبلة أن تحاكم جابلها ؟ ألم يخاطب إبراهيم الرب قائلا «هل ديان الأرض كلها لا يصنع عدلا؟» لم يخبرنا الكتاب أن الله غضب من إبراهيم أو إيليا لأنه كان يعلم محبتهما له، ولأنهما كانا حريصين وأمناء في حديثها معه. والرب يريدنا أن نكون أمناء وصرحاء معه عندما نرفع صلواتنا له فنقول ما نعني ونعني ما نقول.

لم يغضب الرب من إيليا وعندما طلب منه أن يرجع نفس الولد على جوفه بعد أن تمدد عليه ٣ مرات سمع الرب لصوته فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش فأخذه وأعطاه لأمه.

لقد كان هذا اختبارا قاسيا لكل من الأرملة وإيليا وقد اجتزاه كلاهما بنجاح. وكانت النتيجة أن المرأةآأمنت بإله إسرائيل وكرست حياتها له بعد ذلك. أما إيليا فقد كانت هذه المرة الوحيدة التي أكرمه فيها الله بأن استمع إلى صلاته بأن يقيم شخصا من الموت فقوى إيمانه هو أيضا وكان هذا استعداد لنهاية الجفاف والمجاعة والمواجهة التي حدثت بينه وبين كهنة البعل التي انتهت بإيليا يذبح هؤلاء الكهنة. لا يخبرنا الكتاب شيئا عن الأرملة وابنها بعد انتهاء المجاعة ولكنه يخبرنا أن إيليا بعد حياة حافلة بالإحداث التي

عضده فيها الرب أخذته عربة نارية إلى السماء ليعيش معه دون أن يذوق الموت. وقد كان إيليا ثاني شخص يصعد حيا للسماء بعد أخنوخ. وإن دلنا هذا على شيء فإنما يدلنا على المكانة الفريدة التي كانت له عند الخالق الذي أمر أمرأة هذا العدد أن تعوله إلى أن تنتهي المجاعة.

٢١ - المرأة الشونمية
التي أعالت أليشع النبي

المرأة الشونمية هي المرأة التي عينها الرب لتعول نبيه أليشع . فعندما ضل شعب السامرة وعبدوا آلهة غريبة لم يتركهم الرب بل أرسل لهم نبيه القوي إيليا وبعد اختطافه إلى السماء أرسل لهم تلميذه أليشع . وقد يتساءل البعض لماذا يفعل الله هذا وهو يعلم أن شعب السامرة لن يعود بمناداة أنبيائه وأنهم يسوف يتمادون في غيهم وضلالهم والجواب أنه مهما كانت الظروف ومهما غطت الخطية الأرض فإن الله لا يترك نفسه بدون شاهد . ولو أن معظم الشعب لن يعود إلى الرب بمناداة أنبيائه إلى أن البعض سوف يستمع فلا ينزلق في الخطية وقد نبه الرب نبيه إيليا إلى هذه الحقيقة عندما هرب من وجه إيزابيل ملكة إسرائيل إلى جبل حوريب وبات في مغارته وكلمه الرب فقال له «أن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها» (امل ١٩:١٠) فرد عليه الرب «لقد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثوا للبعل وكل فم لم يُقبله» (امل ١٩:١٨) . يتضح من هذا أن إيليا لم ير هؤلاء وظن أنه الوحيد الباقي على ولائه للرب . فهناك دائما من ينتفع بمناداة من يرسلهم الله وامرأة هذا العدد كانت من هؤلاء .

وقبل أن نتحدث عن قصة المرأة جدير بنا أن نلقي ضوءا على أليشع النبي . يخبرنا الكتاب أنه كان خادم وتلميذ إيليا النبي الذي صاحبه في معظم الحوادث التي شاهد فيها عظمة العلاقة التي كانت له مع الله كما شاهد صعوده إلى السماء في المركبة النارية التي اختطفته . وفي هذه الواقعة نجد أن إيليا من محبته لأليشع سأله ماذا يريد قبل أن يأخذه الله فقال له أليشع أريد أثنين من روحك علي . وكان له ما طلب . ولهذا يعتبره الكثيرون أقوي أنبياء العهد القديم فقد قام بمعجزات أكثر من أي نبي آخر.

أما قصة المرأة الشونمية فقد حدثت بعد ذلك وقد جاءت في سفر الملوك الثاني . وكتب كاتب السفر أن يوما عبر أليشع إلى بلده تدعي شونم ، وكان في تلك البلدة امرأة عظيمة فدعته ليأكل معها خبزا ، فقبل الدعوة . إن بعض المؤرخين يرجحون أن هذه المرأة هي ابيشبح الشونمية التي أحضروها لتدفئ الملك داود عندما شاخ ولكنه لم يعرفها . وأنها بعد ذلك كوفئت وعادت إلى بلدها وتزوجت وعاشت في بحبوبه من العيش . وكانت قد سمعت عن إيليا وتلميذه أليشع وربما سمعت عن المعجزات التي جرت علي أيديهما فرأت أن تكرم أليشع عندما سمعت بزيارته لبلدها . وقبل أليشع دعوتها فدخل بيتها وأكل معها هي وزوجها خبزا . وقبل أن ينصرف أكدت عليه المرأة أن يعود كل مرة يكون قريبا من شونم . وقبل أليشع وتردد على منزلها مرات عديدة فتكونت بينه وبينها هي وزوجها علاقة صداقة ومحبة . ويخبرنا الكتاب أنه بعد ذلك اقترحت المرأة على زوجها أن يعدا له مكانا في منزلهما يأوي إليه عندما يأتي لزيارتهما . ووافق زوجها فأعدوا له علِّيه ووضعوا فيها سريرا ودولابا وكرسيا ومنارة . وسر أليشع من محبة المرأة وزوجها وكرمهما . وكان لأليشع غلاما يخدمه ويصاحبه أسمه جيجزي . ففي إحدى الليالي التي بات فيها أليشع وغلامه في

العلية وتمتعا بما قدمته لهما المرأة من طعام وخدمة ، كلّف جيجزي أن يدعوها . وعندما جاءت أعرب لها عن امتنانه لكل ما كانت تقوم به وطلب منها أن تطلب منه طلبا يلبيه مكافأة لها على صنيعها. وقد ذكر لها إن كانت تريد شيئا لا يقدر عليه إلا رئيس الجيش أو الملك فهو مستعد أن يتحدث إلى من كان بيده الأمر. فشكرته المرأة وقالت أنها لا تريد شيئا . وبعد أن انصرفت سأل أليشع خادمه عن رأيه فأخبره أنه ليس لها ابن وزوجها قد تقدم في أيامه. وكان بهذا يقترح على سيده أن يصلي إلى الله ليهبها ابنا . وأخذ اليشع بنصيحة خادمه فطلب منه أن يدعوها ثانية. ولما حضرت بادرها أليشع بأنها في مثل هذا الميعاد العام القادم سيكون لها ابن . وقد كانت هذه مفاجأة لم تنتظرها المرأة فقالت له «لا يا سيدي رجل الله لا تكذب على جاريتك» (٢ مل ٤:١٦) ولم يذكر الكتاب أن أليشع رد عليها وأغلب الظن أنه نفي عن نفسه تهمة الكذب وأكد لها وعد الله الصادق لها . المهم أن المعجزة حدثت وأنجبت المرأة أبنا حسب وعد أليشع . وهي بذلك تكون قد انضمت إلى مجموعة مختارة من نساء بني إسرائيل العقيمات اللاتي رزقهن القدير بذرية في خريف حياتهم منهن سارة وراحيل وحنة أم صموئيل وحنة أم العذراء مريم واليصابات أم يوحنا المعمدان. لا شك أن ما حدث قد قوى إيمان المرأة وزوجها وشكرا الرب مرارا من أجل عطيته كما قويت علاقتهما بأليشع الذي بصلاته تمت هذه المعجزة .

وملأ الابن حياة أمه وأبيه بالسعادة والشكر لله الذي أكمل نعمه عليهم عندما منحهما إياه ، ولكن بعد أن أصبح الابن قادرا على مصاحبة أبيه وكان أن خرج يوما إلى الحقل يشاهد الحصادين مع أبيه وهم يحصدون فإذا به يشعر بصداع . فذهب لأبيه يشكو من حدته فأرسله الأب في الحال إلى أمه مع أحد

الغلمان . وما كادت الأم تضعه في حجرها حتى فارق الحياة ، فمات على ركبتيها .

لم يخبرنا الكتاب ماذا فعلت الأم . هل صرخت هل بكت وولولت ؟ لا نعلم ولكنه يخبرنا بأنها صعدت بابنها إلى عُلّية أليشع ووضعته على سريره وأغلقت الباب . وبعد أن أخبرت زوجها بما حدث طلبت منه أن يرسل لها أحد الغلمان ومعه أتان فقد صممت أن تذهب لأليشع في جبل الكرمل. وعندما رآها أليشع من بعيد عرفها فأرسل جيجزي ليقابلها قبل أن تصل إليه وأن يسألها عن أحوالها ، فقد توقع أليشع أن شيئا قد أزعجها ودفعها أن تأتي إليه ولكن الرب لم يكشف له الأمر . وعندما قابلها جيجزي سألها «أسلام لك أسلام لزوجك» فلم ترد إلا بكلمة واحدة وقالت «سلام» فلم ترد أن تخبره بشيء وفضلت أن تحدث بها أليشع وحده . ويخبرنا الكتاب أنها عندما رأت أليشع أمسكت برجليه ولا ندري هل كانت هذه عادة متبعة في مثل هذا الظرف . ولكن جيجزي لم يعجبه ما فعلته فحاول أن ينحيها عن سيده ولكن أليشع شعر أن شيئا خطيرا قد حدث لها وأن نفسها مرة ولذلك جاءت تطلب شفاعته عند الله . فأشار إليه أن يتركها . عند ذلك بدأت المرأة تتكلم فقالت «ألم أقل لك لا تخدعني» (٢ مل ٤:٢٨) . وقد كانت بهذا تذكره أنها قالت له عندما بشرها بميلاد الطفل «لا تكذب على جاريتك» وقد حدث ما خشيته فقد أعطاها الرب ابنا ولكنه أخذه قبل أن يصبح رجلا . فأشار أليشع إلى جيحزي أن يأخذ عكازه ويذهب لبيت المرأة ويضع العكاز على وجه الصبي . فلم توافق المرأة وأصرت أن يذهب معها أليشع فقام معها . وكان جيحزي قد سبقه ووضع العكاز على وجه الصبي ولكن شيئا لم يحدث . ووصل أليشع إلى البيت وصعد إلى العلية فوجد الصبي على سريره جثه هامدة . فأغلق الباب

ولم يدع أحد معهما وصلي إلى الرب ثم أضطجع على الصبي فسخن جسده ، ثم تمشي في البيت فترة ثم عاد للعلية وتمدد عليه مرة ثانية فعطس الصبي ٧ مرات ثم فتح عينيه فدعي أليشع أمه وأعطاها أبنها . لم تقل المرأة شيئا بل سقطت على رجلي أليشع وسجدت إلى الأرض ثم حملت أبنها وخرجت . وعادت الحياة إلى ما كانت عليه واستمر أليشع في زياراته للمرأة وزوجها وابنها إلى أن حدثت مجاعة في الأرض . فذهب إليشع إلى شونم وقال للمرأة أنه ستكون مجاعة لمدة سبع سنين فانطلقي وتغربي أنت وابنك لأن زوجها قد توفي من قبل . فهاجرت هي وابنها إلى أرض الفلسطينيين . وعندما انتهت المجاعة عادت إلى أرضها فإذا بها وبيتها محتلان بقوم استغلوا عدم وجودها فاستولوا على البيت والأرض . وذهبت المرأة إلى قصر الملك لتشتكي مما حدث . وكان في ذلك الوقت جيحزي يقص على الملك بعض المعجزات التي أجراها الرب على يدي أليشع بناء على طلب الملك . وبعد أن قص عليه معجزة إقامته لأبن المرأة الشونمية من الموت إذا بالملك يسمع صراخها من أجل بيتها وممتلكاتها . عند ذلك أخبره جيحزي أنها هي المرأة التي حدثه عنها فأمر الملك أن تعود لها أملاكها وأن تُعطي جميع غلات الحقل في السبع سنين التي هاجرت فيها .

وعندما نتأمل في حياة هذه المرأة التي تلامست حياتها مع حياة أحد عظماء أنبياء العهد القديم نجد أن حياتها تأثرت بما قاله وفعله هذا النبي العظيم . وأن كل هذا بدأ برغبتها في إكرامه تقديرا له ولصلته القوية بالرب . وهي في ذلك تنضم إلى عدد من النساء اللاتي اختارهن الرب لهذه الخدمة الفريدة منهن مريم المجدلية ويونا وأم مرقس الرسول وغيرهن اللاتي أكرمن السيد المسيح وخدموه كذلك المرأة التي عالت إيليا النبي لمدة سنتين كانت السامرة فيها تعاني من الجفاف والقحط . أن ما فعلته

هؤلاء النسوة قد ضمن لهن مكانا في السماء فقد أعطين الفانيات وحصدن الباقيات وهنا ونتذكر قول أحد المبشرين الذين عاشوا مضحين بكل شيء في سبيل محبتهم للإله الذي أحبهم حتى الموت . فقد سأله أحد الصحفيين » هل تفكر أحيانا أنك أخطأت خطأ جسيما عندما تقارن بين حياتك التي تحياها في مجاهل أمريكا الجنوبية وحياة زملائك وكيف يعيشون متمتعين بكل ما يهبه لهم العالم من ملذات ونعم . أليس هذا هو الغباء بعينه ؟« فرد عليه المبشر الشاب قائلا «ليس غباء أن يضحي الإنسان بما لا يستطيع أن يحتفظ به في سبيل أن يكتسب هذا الذي لا يستطيع أحد أن ينزعه منه».

أن المرأة الشونمية قد ضحت ببعض ما كانت تملكه في العالم الحاضر لتكسب ما سوف تمتلكه في العالم الآتي وهي بهذا تكون قد نفذت كلمات السيد المسيح عندما قال «لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون بل أكنزوا لكن كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك يكون قلبك أيضا» (مت ٦:١٦) .

٢٢ - يهوديت

المرأة التي بإيمانها وشجاعتها أنقذت شعبها

امرأة هذا العدد هي يهوديت وهي المرأة التي انفردت بشجاعة وجهاد روحي وجسدي قل أن يوجد في كثير من الرجال . وقد اخترناها للأثر الذي تركته هذه الصفات في حياة بني إسرائيل في وقت كان غضب الله معلنا عليهم فأنقذهم على يديها من هزيمة ساحقة على يد ملك أشور .

وقصة يهوديت مكتوبة في سفر كامل مسمي باسمها مكون

من ستة عشر إصحاحا وهو أحد الأسفار القانونية التي حذفها اليهود من العهد القديم لأسباب غير واضحة ربما كانت صعوبة التحقق من أن ما جاء بها قد حدث فعلا أم أنه كان قصة ألفها بعض اليهود ليحسنوا صورة شعبهم في نظر الشعوب الأخرى . ولكن الكنيستان الأرثوذكسية والكاثوليكية تعترفان بهذا السفر وكذلك بقية الأسفار التي حذفها اليهود لاعتقادهما في صدقها واقتناعا بما تتضمنه من تعاليم تتلاءم مع باقي تعاليم العهد القديم .

يبدأ سفر يهوديت بوصف الأحوال السياسية في ذلك الوقت وكيف أن نبوخذ نصر ملك أشور أرسل جيشا قويا ضد ارفكشاد ملك الماديين ليخضعه لحكمه هو وجميع الشعوب التي كان يحكمها ومنها الشعب اليهودي . وكان قائد جيشه المسمي إلفانا الذي كان يرأس الحملة رجلا محنكا في الحرب فهزم قوات أرفكشاد حتى وصل إلى الحصن اليهودي، بيت فلوي، وضيق الحصار عليه حتى كاد يسقط . يخبرنا الكتاب أن رئيس الكهنة في ذلك الوقت كان إلياقيم وأنه أمر الشعب أن يحصنوا مواقعهم استعدادا للقاء العدو . ولكن عندما سمع الشعب بأخبار ما صنعه إلفانا بالشعوب الأخرى أنه «صرخ إلى الرب بابتهال عظيم وذللوا أنفسهم بالصوم والصلاة .. ولبس الكهنة المسوح وطرحوا الأطفال أمام هيكل الرب» (يهوديت ٤ . ٨:٩) .

وقبل أن نتحدث عن يهوديت والدور الذي لعبته جدير بنا أن نعرف شيئا عن هذه البطلة . يخبرنا الكتاب أنها من نسل جدعون وهو أحد أبطال وقضاة إسرائيل الذين استخدمهم الرب ليخلص شعبه من نير الكنعانيين . وكان جدعون من نسل شمعون بن رأوبين أول أولاد يعقوب . وقد تزوجت يهوديت رجلا من سبطها أسمه منسي وعاشت معه ثلاث سنوات ونصف مات بعدها وتركها

أرملة غنية فقد ترك لها ثروة كبيرة . ورغم أنها كانت رائعة الجمال وفي عنفوان شبابها وكان كثيرون من شباب إسرائيل يتهافتون عليها إلا أنها أبت أن تتزوج بعد موت زوجها وارتدت ثياب الترمل ووضعت على حقويها مسوحا وعبدت الرب بأصوام وصلوات فعاشت امرأة فاضلة تخاف الرب .

نعود لجيش نبوخذ ناصر وإلفانا قائده . يخبرنا الكتاب أنه عندما وصل إلى الحصن اليهودي ولم يجد اليهود في انتظاره مرحبين به مسلمين حصنهم ومدينتهم له كما فعلت عشرات البلاد التي خرج لتدميرها ، استشاط غضبا وسأل قواده عن السبب في شجاعة هؤلاء اليهود الذين يعلمون تمام العلم جبروت وقوة بطش جيشه . وعندما قالوا له أن السبب هو إلههم الذي يحميهم من أعدائهم ازداد غضبا وأنكر وجود آلهة أخرى بجانب نبوخذ نصر، وصمم أن يثبت ذلك لليهود . وبدأ حصاره بأن قطع المياه التي تغذي الحصن ومن فيه . وساءت حالة الشعب وثاروا على عزيا قائد الحامية وطلبوا منه أن يسلم الحصن حتى لا يموتوا هم وأولادهم عطشا . وعندما سمعت يهوديت هذا الكلام وعلمت أن عزيا قد دخله الحزن وانه طلب من الشعب أن ينتظر ٥ أيام ليري عمل الله من أجلهم فأن لم يحدث شئ سوف يسلم الحصن لإلفانا . وذهبت يهوديت إليه ووبخته على ما قاله قائلة «من أنتم حتى تجربوا الرب . فإنكم قد ضربتم أجلا لرحمة الرب وعينتم له يوما كما شئتم .. فلنندم على هذا ونلتمس غفرانه بالدموع .. إن مواعيد الله ليست كمواعيد الإنسان .. ولنسأل الرب أن يؤتينا رحمته حسب مشيئته لنفتخر بتواضعنا مثلما اضطربت قلوبنا بتكبرهم» (يهوديت ٨:١١-١٧).

وعندما سمع عزيا كلامها أعترف بخطئه وطلب منها أن تصلي لله من أجل الشعب. ويخبرنا الكتاب أنها ذهبت إلى معبدها

ولبست مسحا وألقت رمادا على رأسها وحزنت أمام الرب باكية وصرخت له في صلاة طويلة قالت فيما قالته «أيها الرب إله أبي شمعون الذي أعطاه سيفا لينتقم من الغرباء الذين بنجاستهم فضحوا وكشفوا عذراء للخزي .. أتوسل إليك أيها الرب إلهي أن تعينني أنا الأرملة .. وأنظر الآن إلى معسكر الأشوريين كما تنازلت فنظرت إلى معسكر المصريين حين كانوا يسعون في أثر عبيدك متكلين على مراكبهم وفرسانهم .. حيث نظرت فأزعجتهم الظلمة.. التصقت أقدامهم بالعمق وغطتهم المياه .. فأرفع ذراعك كما فعلت في البدء وحطم قوتهم (الأشوريين) بقوتك» (يهوديت ٩:٣-١١) . وبعد أن أتمت صلاتها ألقت عنها المسح ولباس ترملها واستحمت باطياب نفيسة وارتدت أجمل ثيابها وتزينت بكامل زينتها ووضعت تاجا على رأسها وامتطت حصانها تتبعها وصيفتها حاملة زق خمر وإناء زيت ودقيقا وتينا وخبزا وجبنا وانطلقت لتقابل إلفانا . وعندما وصلت إلى معسكر الأشوريين قبضوا عليها وسألوها عن هويتها وقالت لهم أنها يهودية وأنها أتت لتخبر إلفانا أنه يستطيع أن يأخذ المدينة دون حرب وأنها على استعداد لتريه المنافذ السرية للمدينة فأخذوها لإلفانا . وعندما رآها بهره جمالها واشتهاها وسألها لماذا عزمت أن تسلم شعبها له . فأخبرته أنه أمر الله لأن الشعب ترك عبادته وخالفوا وصاياه فحكم عليهم أن يعيشوا عبيدا للملك نبوخذ نصر . وبعد ثلاثة أيام قضتها في ضيافة إلفانا تصوم حتى المساء وتصلي وترفض أن تأكل من أكل الأشوريين بل من الطعام الذي أحضرته معها ، صنع إلفانا عشاء كبيرا وأرسل يطلب يهوديت تتعشى معه . ولما أخبروها بذلك وافقت وأظهرت خضوعا تاما لأمر إلفانا . وذهبت إلى العشاء ومعها طعامها كالعادة فلم تشرب مما قدم لها بينما شرب إلفانا كمية كبيرة من الخمر وسكر ونام على سريره . وعندما تقدم الليل

عاد عبيده كل إلى منزله وتركوه مع يهوديت . ونظرت هي إلى فوق مصلية لربها قائلة «أيدني أيها الرب إله إسرائيل وانظر هذا المساء إلى عمل يدى حتى تنهض أورشليم مدينتك كما وعدت وأنا أتمم ما عزمت عليه واثقة بأني أقدر عليه بمعونتك» (يهوديت ١٣:٧). بعد هذا نزعت خنجره وقطعت رأسه ثم خرجت لوصيفتها التي كانت عند الباب ، وعادتا للمدينة لتبشر أهلها أن الله قد خلصهم من إلفانا على يديها . ولما رأي الأشوريون قائدهم مقتولا خافوا وارتبكوا وفروا هاربين تاركين عتادهم وكل ما نهبوه من غزواتهم للشعوب التي قهروها قبل وصولهم إلى بيت فلوي. وطاردهم اليهود واستولوا على كل ما تركه الأشوريين .

وعندما نتأمل حياة هذه المرأة العظيمة نرى كثيرا من الفضائل التي نعجب بها . ولكن قبل أن نتحدث عن هذه لابد أن نعترف أن ما فعلته يهوديت قد لا تقبله حساسياتنا في عصر النعمة ولا يتفق مع تعاليم السيد المسيح الذي أوصي بالمحبة للجميع حتى الأعداء. وقد يلتمس البعض لها العذر لأن الله أمر بني إسرائيل أن يفنوا أعداءهم لأنهم كانوا عبدة أوثان . ولكن يشعر آخرون أن هذا الأمر كان موجها للرجال لا النساء . فرقة النساء لا تتفق مع هذا العمل الذي ينطوي على مقدار من القسوة والكراهية .. ولكن هذا لم يمنع الله من أن يكلف بعضهن بهذه المهمة الصعبة .. وقد كان هذا ما أوحي به الله ليهوديت .. ولكنها شعرت هي أنه عمل لن تقدر عليه بدون معونة الرب . وعندما طلبتها استجاب الرب لها وأعطاها الشجاعة والقوة لتنفذ ما أوصى به .

لقد كانت الشجاعة أبرز صفات هذه البطلة . وكان حبها لإلهها وشعبها من صفاتها الأخرى التي دعتها للعمل الذي عملته . ونراها هنا لا تبالي بسلامتها فقد كان ممكنا أن يقتلها الآشوريون . كما نجد أيضا أنها امرأة صلاة تعتمد على الرب

وتثق به وتطلب منه أن ينقذها من كل خطر . ولم يخيب الرب رجاءها فاستجاب لصلواتها وأنقذ على يديها بني إسرائيل من الخطر الذي كان يتهددهم .

ويخبرنا الكتاب أن يهوديت عاشت بعد ذلك لتتعدى المائة بخمس سنوات كانت في خلالها بمثابة النبية لشعبها تظهر في أعياده في أبهى حللها فيشكرها ويبجلها الجميع وظلت أرملة إلى أن ماتت مخلصة لزوجها الذي أحبته حبا عظيما . وبدأ الشعب يحتفل بعيد خلاص إسرائيل من الأشوريين على يديها ويتحدثون عنها وعن حياتها إلى يومنا هذا فقد كانت من أبطال الشعب القلائل الذين بلغوا القمة في الروحيات والجسديات .

٢٣ - المرأة التي من تقوع
التي نصحت ملكا

امرأة هذا العدد هي المرأة التي من البلدة المسماة تقوع وقد اخترناها لأن الكتاب المقدس وصفها بالحكمة وهي صفة لم يغدقها على نساء كثيرات ولأنها استعملت حكمتها في نصح أشهر ملوك إسرائيل وأكثرهم نسكا وهو الملك داود الذي وصفه الرب بأن قلبه حسب قلب الرب . وقد سجل كاتب سفر صموئيل الثاني قصتها تخليدا لذكراها وإكراما لها لأن داود الملك العظيم استمع لنصحها ونفذ ما اقترحته.

تبدأ قصة امرأة تقوع بعد ثلاث سنوات من نفي داود لابنه ابشالوم بعد أن قتل أخاه الغير شقيق أمنون لأنه اعتدي على أخته ثامار وأذلها . ورغم أن ما فعله أمنون كان بكل المقاييس خطية لا تغتفر عقابها الموت إلا أن داود رأي أن أبشالوم قد أخذ الأمور في يديه ونصب نفسه قاضيا وحكما فقتل أخاه متعديا القانون ومنفذه وهو الملك نفسه ولذلك أعتبر ما فعله إبشالوم

جريمة يجب أن يعاقب عليها . وكانت العقوبة التي يحتمها القانون هي الموت فمن قتل يقتل . ولكن كان داود يحب ابشالوم حبا عظيما فلم يحكم عليه بالموت بل إكتفي أن ينفيه وأن لا يري وجهه ما دام حيا . ولكن يوآب رئيس جيش داود رأي أن الملك كان حزينا حزنا عظيما بعد نفيه لإبشالوم . وكان يأمل أن مرور الزمن سوف يضمد جراح قلبه ولكن هذا لم يحدث . ومرت ثلاث سنوات وحزن داود مستمر على ابنه يلون بسماته القاتمة وجهه الحزين ويؤثر في كل تصرفاته . وكان يوآب يحب داود ويحب أيضا إبشالوم فبدأ يفكر كيف يمكن أن تُحل هذه المشكلة الصعبة . وكان يعلم أن في نفس داود صوتين كلاهما قوى أحدهما صوت العدل الذي يقول لقد قتل إبشالوم أخاه فلابد أن يعاقب والآخر صوت الرحمة والمحبة الأبدية الذي يقول لقد فقدت أمنون فهل أفقد إبشالوم أيضا ؟ كان هذا هو الصراع الذي عاش فيه داو الملك كل يوم من السنوات الثلاث التي مرت عليه منذ أن غادر أبشالوم أورشليم . وكان يوآب قد استقر على حل بعد أن فكر في عدة حلول واستبعدها جميعا . فقد فكر في أن الحل الوحيد لابد يكون موجها نحو قلب داود، وليس فكريا، موجها نحو عقله وأن يكون موجها كذلك نحو رغبته في خدمة شعبه . وبعد أن اكتملت في ذهنه الخطة رأي أن يسند الدور الرئيس فيها لامرأة حكيمة من تقوع كان يعرفها . فاتصل بها وشرح لها خطته وما ترمي إليه وطلب إليها أن تفكر في الأمر وترد عليه عما إذا كانت مستعدة للقيام بها أم لا . ووافقت المرأة. وهنا نجد أول دليل على عظمة هذه المرأة فقد وافقت أن تحكي قصة لم تحدث لملك البلاد الذي قد يعاقبها إذا اكتشف كذبها عقابا قد يصل إلى الموت. وهي بهذا كانت تعرض نفسها لخطر كبير دون أن يكون في ذلك أي ربح لها. فقد كانت امرأة شجاعة ومستعدة أن تضحي في سبيل

ملكها الذي كانت تحبه وتكن له كل الولاء . وكانت خطة يوآب تتلخص في أن تحكي المرأة للملك قصة خيالية بأنها أرملة وأنه كان لها ابنان تخاصما وقتل أحدهما الآخر (كما حدث في ابني داود إبشالوم وإمنون) وبعد أن عُرف الأمر أتت بقية عائلتها تطلب منها أن تسلمهم قاتل أخاه ليقتلوه . وأنها لذلك أتت تستغيث بالملك بأن يأمر من يريدون أن يقتلوا الابن الباقي أن يسامحوه من أجل أمه، وعندما يأمر الملك بهذا تذكره المرأة بأنه كذلك ينبغي أن يعفو عن إبشالوم ابنه فيسمح له بالعودة من منفاه. يخبرنا الكتاب أن المرأة لبست ثياب الحداد ولعبت دور الأم الحزينة بمهارة فائقة وذهبت لمقابلة الملك فقد كان الملوك في تلك الأيام يسمحون لأي شخص من الشعب أن يقابل الملك ما دامت عنده قضية يريد ان يعرضها على مسامعه . وعندما سمحوا لها أن تقابل الملك سجدت له قائلة: «أعن أيها الملك» وعندما استفسر منها داود عما تريد أن يعينها فيه قالت له «أني امرأة أرملة قد مات رجلي ولجاريتك ابنان تخاصما في الحقل وليس من يفصل بينهما فضرب إحدهما الآخر وقتله . وهوذا العشيرة كلها قد قامت على جاريتك وقالوا سلمي ضارب أخيه لنقتله بنفس أخيه الذي قتله فنهلك الوارث أيضا . فيطفئون جمرتي التي بقيت ولا يتركون لرجلي أسما ولا بقية على وجه الأرض» (٢ صم ١٤:٦ ، ٧) نلاحظ هنا أن المرأة كست خطة موأب بكلماتها المؤثرة وتمثيلها المقنع وحاولت أن تستثير شفقة الملك وعاطفة الأبوه التي كانت تعلم أنها قوية ليشاركها وجدانيا في محنتها فيحن عليها ويأمر أن يعفي عن الابن القاتل رغم استحقاقه للقتل حسب الشريعة التي أمر بها الرب . نلاحظ أيضا أنها استعملت بلاغتها وقدرتها في استعمال الكلمات الملتهبة عندما شبهت ما تريده العائلة عندما قالت أنهم بهذا «يطفئون جمرتي التي بقيت» وهي بهذا كانت تريد أن تُذكر

الملك بموقفه المماثل بفقد إبشالوم الذي كان حبه له أشبه بالجمرة التي تضئ حياته كذلك .

ونتساءل هل فهم داود مغزى ما قالته المرأة ؟ أغلب الظن أنه لم يفطن إلى ما قصدته ولكنه صدق قصتها وشعر بمحنتها كما حكتها له واقتنع أن الابن القاتل لابد أن يعيش من أجل أمه ؟ فأخبرها أنه سيحميها ممن يطالبوها بأن تسلم لهم الابن الباقي واقترح إن ضايقها أحدا منهم وأصر على طلبه أن تخبره بحكم الملك وإن لم يصدق طلبت منه أن يصحبها ليقابل الملك بنفسه . أدركت المرأة أنها نجحت في اقناع الملك بقضيتها ولكن لم يكن هذا كل ما تريده المرأة ، فلم تنصرف شاكرة الملك على حله لمشكلتها بل استمرت في حديثها تصور للملك خوفها على أبنها حتى أكد لها أن «شعرة واحدة من شعره لن تسقط» . هنا انتهي الجزء الأول أو الفصل الأول من التمثيلية التي مثلتها المرأة بنجاح أمام داود الملك وكان نتيجتها أن الملك تجاهل حكم القانون وعفي عن ابنها القاتل لأخيه . وكان الفصل الثاني أن يطبق الملك نفس المبدأ على ابنه إبشالوم وكانت المرأة تعلم أن مهمتها في هذا الفصل أصعب كثيرا من مهمتها في الفصل الأول . هنا نجد أن المرأة قد غيرت من لهجتها ووقفتها ونظرت إلى الملك نظرة خاصة حملتها كل ما كانت تكنه من حب واحترام وخاطبته قائلة «لتتكلم جاريتك إلى سيدي الملك» (٢صم ١٤:١٢) وكأنها كانت تقول له «إن كل ما قلته إلى الآن ليس مهما بل ما سوف أقوله هو المهم». ونظر داود لها وأدرك أن الموضوع لم ينتهي وأن ما قالته إلى الآن إنما هو مقدمة لموضوع آخر أخطر مما حدث لها في القصة التي روتها له فقال لها «تكلمي» فقالت له المرأة كلاما كثيرا معناه أن الشعب متألم من إبعاد إبشالوم وأنه جدير بالملك أن يعيده من منفاه ما دام قد حكم أن ابنها في القصة لن يعاقب على ما فعل.

ونلاحظ أنها لم تذكر يوآب بل ذكرت الشعب وألمه فلم ترد أن تفصح عن مصدر الخطة التي قامت بتنفيذها بحكمة ومهارة فائقتين . وفكر داود في الأمر واقتنع بكلام المرأة ولكنه أراد أن يعلم من أوعز لها بما فعلت فقد كان يعلم محبة يوآب له فسألها هل هو يوأب فأجابته المرأة بأنه هو الذي رسم الخطة وطلب منها أن تقوم بها .. وانصرفت المرأة بعد أن قامت بمهمتها على أكمل وجه . وشعر داود لأول مرة أن حملا ثقيلا قد رفع عن كاهله عندما استمع لكلام المرأة الحكيمة التي أرجعت الجمرة التي بقيت إلى حياته فصمم أن يستدعي ابنه ابشالوم من منفاه ، وبدأت الحياة تبتسم له من جديد .

إن ما فعله داود الملك في هذا الموقف يدلنا على تواضعه وعدم كبريائه فقد استمع لامرأة من الشعب . كذلك على عظم محبته لابنه إبشالوم . وتتضح هذه المحبة أكثر بعد أن ثار عليه ابشالوم وأراد أن يقتل أباه ويأخذ منه الملك فأضطر داود أن يهرب من أورشليم عندما علم أن جيش إبشالوم زاحف عليها . وكان داود قد أوصي يوآب خيرا إذا قابل ابشالوم في المعركة القادمة فلا يقتله . ولكن عندما انكسر جيش ابشالوم في الحرب وقتله يوآب، ناح داود عليه أياما كثيرة لدرجة أن الجيش كان على وشك الثورة عليه . وعندما حدثه يوآب في هذا وهدده بأن الجيش سوف ينقلب عليه رجع داود عن حزنه .

هذه قصة المرأة التي من تقوع وهي القصة التي سجلها كاتب صفر صموئيل الثاني لما فيها من دروس لنا اليوم ، دروس في الجرأة والشجاعة والتضحية والحكمة والولاء ألقتها علينا وعلى ملك إسرائيل امرأة لم يذكر الكتاب أسمها ولكن مجرد ذكر قصتها في الكتاب المقدس قد خلد حياتها وجعلها مثلا يحتذي به إلى الآن .

الباب الثاني : نساء العهد الجديد

٢٤- العذراء مريم

في أول هذا الكتاب تحدثنا عن أمنا حواء وكيف أن الرب خلقها من ضلع أدم لتكون معينه ومساويه له في الحقوق والواجبات. ورأينا أنه عندما دخلت الخطية إلى الجنس البشري عن طريقها ، فقدت مساواتها بالرجل كما تفوه الفم الإلهي عندما قال : «إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك» (تك ٣:١٦) . وقد حدث ما تنبأ به الله فتدهورت مكانة المرأة في العالم حتى وصلت إلى أن أصبحت لعبة في يد الرجل يلهو بها كما يشاء ويستغلها في إشباع رغباته الجنسية و الدنيوية . واستمر الحال حتى جاءت العذراء مريم أو حواء الثانية كما يلقبها البعض . وكان مجيئها إعلانا من الله أن انحدار مكانة المرأة يجب أن يقف. وعندما أكرمها بتجسده منها ، وأغدق عليها لقب «والدة الإله» تأكد بني البشر أن المرأة قد استعادت مكانتها الأولى في السماء، بل زادت عما كان لحواء من مكانه قبل السقوط . فالعذراء مريم الآن فوق الشاروبيم والسارافيم وهي السفير المفضل لابنها وإلهها، يرسلها للعالم لتهديه لمعرفته وتنذره بعواقب البعد عنه .

وعندما نقارن بين حواء والعذراء مريم نجد أن الأولى قد دخلت الخطية بواسطتها إلى العالم بينما الثانية دخل الخلاص والغفران بواسطتها إلى العالم. الأولى تعدت على وصية الله ضاربه بها عرض الحائط ، ناظرة فقط إلى الاستمتاع الذاتي وإرضاء الجسد بينما نجد العذراء مريم عاشت خاضعة لوصايا الله منذ طفولتها تعيش في نسك وتعبد محتقرة الجسد وكل ملذاته ، فقد نذرها أبواها للرب فعاشت منذ صغرها في الهيكل تخدم الله وتعبده وتتقيه في كل تصرفاتها . أما الفرق الكبير

بينهما فنجده في أهم صفة من صفات الإنسان وهى نظرته إلى نفسه . فنجد أن حواء بكبريائها تريد أن تكون مثل الله عارفة الخير من الشر بينما نجد العذراء ترفل في حلل التواضع وإنكار الذات رغم ما قاله لها الملاك «السلام لك يا ممتلئة نعمة .. لا تخافي يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيما وابن العلي يدعي، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه .. ولا يكون لملكه نهاية .. الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلي تظللك ، فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله» (لو ١:٢٨– ٣٣) .

تعالوا نتأمل فيما قاله الملاك . يا ممتلئة نعمة ، لأنك وجدت نعمة عند الله. هذا كلام ممكن أن يدير أكبر الرؤوس ويجعلها تتيه كبرياءً وعظمة . الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك والمولود منك يدعى ابن الله .. أي أنها ستصبح أم الله . ولا يكون لملكه انقضاء أي أنها ستصبح أم لملك الكون الذي لا نهاية لملكه .. فماذا كان رد فعل هذا في العذراء مريم ؟ لا كبرياء ولا انتفاخ ولا تعالي... بل نجد أنها بعد أن سمعت كل هذا تجيب الملاك بكل خضوع واتضاع «هوذا أنا أمة الرب ، فليكن لي كقولك » (لو ١:٣٨) .

وإذا تأملنا في حياة العذراء لوجدناها مثالا في القداسة و الطهر والمعاناة . لقد كان أبواها يواقيم وحنة بارين أمام الرب وكانت أمها حنة عاقرا ، وكان هذا سبب حزنها العميق الذي انعكس في صلواتها الحارة التي كانت تقدمها للقدير تسكب فيها نفسها الحزينة أمام الرب طالبة منه أن يعطيها نسلا . وكما فعلت حنة أم صموئيل قبلها نذرت حنة أن العذراء ثمرة بطنها له إذا استجاب الرب لها ، لتعيش أيام حياتها في هيكله المقدس . واستجاب الرب لصلواتها ورزقها ابنة سمتها مريم. وربت حنة

بنتها مريم إلى أن أصبح عمرها ٣ سنوات ثم أخذتها للهيكل لتعيش فيه . وعندما قدمتها لكهنة الهيكل أُسقط في يدهم فلم يسبق أن كان نذير الرب أنثى . وطبقا للشريعة لا يحل لها الخدمة داخل الهيكل . وكان أن قرروا قبولها على أن تخدم الرب خارج الهيكل وفي آخر النهار تبيت بداخله . وبدأت الصبية مريم في هذه السن المبكرة تخدم الرب بأن تساعد في تنظيف ما يترتب على ذبح الذبائح التي تُقدم في الهيكل . كان عملا شاقا مهينا ولكن العذراء مريم قامت به لمدة ١٢ سنة دون أن تشكو أو تمل . ويخبرنا السنكسار (في اليوم الثالث من شهر كيهك) أن الملائكة كانت تطعمها .. ولكنه لم يخبرنا عن نوع الطعام أو كيفية وصوله إليها . وعندما بلغت الخامسة عشر كان لابد أن تترك الهيكل . وتشاور الكهنة في مصيرها وأين ستقيم وقد توفي والداها . فاستقر رأيهم أن تخطب رسميا لأحد المشايخ يحفظها ويرعاها ويهتم بشئونها . فجمعوا من سبط يهوذا إثنى عشر رجلا أتقياء ليودعوها عند أحدهم . وأخذوا عصيهم ووضعوها في الهيكل . فأتت حمامة ووقف على عصا يوسف النجار ، فعلموا أنه هو الذي اختاره الله ليكون خطيبا للعذراء مريم وكان يوسف كهلا متقدما في أيامه ومنذ ذلك الوقت تسلمها وعاشت معه في بيته في الناصرة إلى أن بشرها الملاك جبرائيل بتجسد الابن منها . وكانت البشرى عظيمة لدرجة أن العذراء ربما ظنت أنها إيذانا بانتهاء بذلها وتضحياتها وأن الحياة ستبتسم لها بعد ذلك .. ولكن سرعان ما وجدت أن آلامها وتضحياتها وبذلها سوف تستمر. فعندما كملت أيام تطهيرها حسب الشريعة وأخذت الطفل يسوع للهيكل ليقدموا الذبيحة عنه وجاء سمعان الشيخ وأخذ الطفل على ذراعيه قال فيما قاله لها «وأنت أيضا يجوز في نفسك سيف» (لو ٢:٣٥) . وقد كان أول حدث لها قبل هذا الإعلان هو شك

يوسف النجار عندما ظهرت عليها علامات الحمل . لقد أدانها القديس يوسف وفكر في أن يطردها من منزله دون ضجة . وقد يكون هذا الشعور قد لوَن طريقة معاملته لها فرأت العذراء مريم الشك والإدانة في نظراته وسلوكه نحوها . ورغم هذا لم تدافع عن نفسها ولم تخبره بزيارة الملاك وما قاله لها ، بل احتملت شكه وإدانته حتى أنقذها الله عندما فسر ليوسف سر حملها في حلم. ثم يأتي بعد ذلك ميلاد السيد المسيح والرحلة من الناصرة إلى بيت لحم .. حيث لم يكن لها مكان في المنزل فولدت ابنها البكر في حظيرة البهائم ووضعته في مذود الأبقار . بعد ذلك يكتشف الملك هيرودس أن المسيح قد ولد في بيت لحم فيصمم على قتله ويرسل جنوده ليقتلوا جميع الأطفال سنتين فما دون .. وهنا يأتي أمر الله ليوسف النجار أن يأخذ الصبي والأم ويهرب إلى أرض مصر .. وهنا لا نستطيع أن نتجاهل شعور الأم وهى تتلقى نبأ عزم ملك البلاد قتل ابنها الوحيد .. وجاء أمر الله بالرحيل في منتصف الليل ولنترك للقارئ وخياله تصور ما حدث من جزع وهلع وما صاحب هذا من إعداد للرحلة الطويلة الشاقة ، إعداد على عجل لم يستوفي كل مستلزمات الرحيل .. ولكنه أيضا إعداد استند إلى الإيمان بالله وقوته وقدرته أن يعولهم ويحميهم خلال هذه الرحلة الصعبة .

وبعد الرحلة الشاقة تصل العائلة المقدسة إلى ارض مصر لتقابل صعوبات ومشكلات جديدة اضطرتها للانتقال من مكان لآخر . كل هذا وهذه العائلة المكونة من ثلاثة أشخاص تحاول أن تعيش في بلاد غريبة بدون مورد للرزق غير حرفة عائلها التي تعتمد على علاقاته بالناس وثقتهم فيه . وهذه أشياء لم تتوفر في الظروف التي كانت تعيش فيها . فقد عاشت العائلة تطاردها جموع الوثنين الذين أزعجهم تحطيم أوثانهم عندما تستقر بينهم

هذه العائلة الغريبة. واستمرت العائلة المقدسة في مصر ٣ سنوات نشرت فيها البركة في كثير من بقاع مصر لترحالها المستمر ، دعيت بعدها لتعود إلى أرض كنعان . وعادت لتسقر مرة أخرى في الناصرة ، المدينة المتواضعة التي وصفها أحد تلاميذ المسيح «أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح» (يو ١:٤٦) . وعاشت العائلة المقدسة في هذه المدينة ٢٧ سنة معيشة هادئة روتينية ، فقد كان عائلها نجارا بسيطا يعمل ساعات طويلة ليعول عائلته . وكان الابن مطيعا «لوالديه» مثالا للابن المحب الذي يعرف الله ويكرم أباه وأمه في كل شئ يفعله . وعندما اشتد ساعده تعلم من «أبيه» حرفة النجارة وعندما مات يوسف حل محله ليعول أمه الأرملة ... وسارت الحياة بهما بطيئة دون أي حدث يذكر سوى العلاقة القوية التي تكونت بين الأم العذراء وابنها الإله. وقد تكون العذراء فكرت أن هذه الحياة الهادئة سوف تستمر وتمنت لو أن هذا ما تخبئه لها الأيام . ولكنها كانت تعلم أن ابنها سوف يتحرك لينفذ رسالته التي ولد من أجلها . وقد حدث ما خشيته مريم فعندما وصل يسوع سن الثلاثين ترك دكانه وبدأ يدعو الناس للتوبة وأحاط نفسه باثنى عشر رجلا ليكونوا تلاميذه، معظمهم صيادي سمك محدودين في العلم والوزن الاجتماعي . وبعد قليل رفضه أهل الناصرة فاضطر لأن ينتقل وأمه إلى كفر ناحوم . لقد حز في نفس العذراء رفض الناصرة لإبنها الحبيب وانتقلت معه إلى كفر ناحوم وهى ترجو أن يكون استقبالها له أحسن من استقبال الناصرة . ولكن هذا لم يحدث فقد رفضت كفر ناحوم رسالته كما رفضتها الناصرة . فأدانها السيد المسيح عندما قال «وأنت ياكفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية لأنه لو صنعت في سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت إلى اليوم . ولكن أقول لكم أن أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالا

يوم الدين مما لك» (مت ١١:٢٣ ، ٢٤).

وكانت العذراء مريم تتبع أنباء ما يحدث لابنها الحبيب ، فسمعت عن عظاته وقد تكون استمعت لبعضها وسمعت عن معجزاته وقد تكون عاينت بعضها وعلمت أن كثيرين قد أحبوه وقبلوه . ولكنها علمت أيضا أن معظم ذوي النفوذ من الكهنة والفريسيين رفضوه ولقبوه بالمدعي والدجال وكاسر السبت وتمادى بعضهم فسموه صديق بلعزبول . لقد آلمها هذا الرفض ليس فقط لأنه موجه نحو ابنها الحبيب ، ولكن لأنها كانت تعلم أنه على حق وأن رفض شعبها له سوف يترتب عليه عواقب وخيمة . لقد عاشت مريم مع ابنها ورسالته ، تفرح عندما يفرح وتحزن عندما يحزن .. وقد كان حزنه أكثر بكثير من فرحه . فقد كتب عنه أشعياء النبي أنه «رجل أوجاع ومختبر الحزن» (أش ٥٣:٣) .

واستمر قلق وحزن السيدة العذراء وهى تتابع حياة ابنها الحبيب .. ونمى إليها عدم فهم الكثيرين لرسالته ومطالبتهم له بأن يكون زعيما سياسيا يقودهم إلى الحرية من عبودية روما كما قاد موسى آباءهم إلى الحرية من عبودية مصر . وفي يوم من الأيام سمعت ما قاله لتلاميذه أنه ينبغي أن يموت من أجل الشعب وأنه سوف يقبض عليه ويحكم عليه بالصلب .. لقد ذاب قلبها حزنا عليه وعلى المصير الذي اختاره .. وتساءلت : هل هذا هو مصير ابن الله الذي أتى ليخلص الإنسان من خطاياه . وفي ذلك اليوم الذي أكل فيه الفصح مع تلاميذه لآخر مرة سمعت ما قاله لهم . وشاهدت الجميع يتخلون عنه وسمعت أن أحدا من أقرب تلاميذه له خانه وباعه بثلاثين من الفضة . حتى بطرس أنكره أمام جاريه .. كل هذا أثر تأثيرا بالغا في العذراء مريم لأنها كانت تعلم أن ابنها لم يقترف أثما ولم يكن في فمه غش . ورغم هذا احتمل كل هذا بنفس حزينة راضية فتألمت وقاست كلما رأته يقاسى . ثم تلى

هذا القبض عليه ومحاكمته والحكم الظالم عليه . وعندما حمل صليبه كانت هناك وعندما وقع تحت ثقل الصليب كانت هناك وعندما سمروه على الصليب كانت هناك واستمعت إلى أنينه وهم يدقون المسامير في يديه ورجليه وسمعت كلماته على الصليب وملامحه التي تقلصت من فرط الألم .. ورأت وجهه المغطى بالدم وإكليل الشوك على رأسه .. لقد عاشت القديسة مريم كل هذه اللحظات وقلبها ينفطر من الألم على ما كان يعانيه ابنها الحبيب على الصليب . وأخيرا جاءت لحظة الفراق عندما أوصى يوحنا الحبيب أن يأخذها إلى بيته . وأخيرا صرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح ، فصرخت مريم صرخة مرة أودعتها كل عذاب روحها لما حدث لابنها الحبيب أثناء وجوده على الأرض .

وقد تكون العذراء مريم هي الشخص الوحيد الذي لم يشك في أن السيد المسيح سيقوم من الموت . فقد عرفته منذ أن كان طفلا واختبرت أن كلمته دائما صادقة ولا يمكن أن تعود إليه فارغة . وقد علمت وربما سمعته وهو يقول أنه سيقوم في اليوم الثالث . وأتصور أنه عندما أخذ يوسف من الرامة الجسد الطاهر ليدفنه أنها اشتركت مع المريمات الأخريات في مراسم الدفن والتكفين وأنها كانت تنظر إلى الجسد المقدس الذي فارقته الحياة عالمة تمام العلم بأنه سوف يقوم كما قال . وبقيامة السيد المسيح انتهت متاعب وأحزان العذراء ، فقد رأت أحزان ابنها الحبيب تتحول إلى أفراح. وقد أراد أن يعوضها عما قاسته في حياتها الطويلة من آلام بفرح يعم بقية أيامها على الأرض . فقد عاشت منذ صلبه مع يوحنا أحب التلاميذ إلى قلب ابنها ونالت احترام بل تقديس التلاميذ وكل من آمن برسالة الخلاص . وظلت موضع الاحترام والتبجيل من الجميع حتى حان موعد رحيلها من هذا العالم. ولم يرسل السيد المسيح ملاكا أو رئيس ملائكة لكي يتلقى

روحها الطاهرة بل حضر هو وملائكته لكي يصاحبوا روحها إلى الفردوس . وبعد ذلك بقليل أصعد جسدها إلى السماء .. وبذلك أكمل الله تكريمه لها فوق أي إنسان عاش على الأرض سواء كان رجلا أو امرأة وهو بهذا قد أعاد المرأة إلى مكانتها الأولى التي كانت لها قبل أن تدخل الخطيئة حياة البشر .

٢٥ - أليصابات

المرأة التي ولدت أعظم مواليد النساء

القديسة أليصابات أم يوحنا المعمدان آخر أنبياء العهد القديم وأول من بشر بالعهد الجديد. والذي كسر به الله الصمت الذي دام ٤٠٠ سنة لم يرسل فيها لشعبه المختار نبيا يحمل لهم كلمة واحدة منه.

وُلدت أليصابات في فترة الصمت التي أشرنا إليها. وكان هذا الصمت مؤلما لبني إسرائيل الذين اعتادوا أن يستجيب الرب لصراخهم كلما ساءت حالتهم فيرسل لهم من ينقذهم مما هم فيه. ولكن خلال هذه الفترة لم يستجب لهم رغم حالة المذلة التي كانوا فيها. فقد كانت إسرائيل محتلة ومحكومة بالحديد والنار ترزح تحت وطأة الحكم الروماني القاسي. وكان تأويل صمت الله وعدم إستجابته لصلواتهم إما أنه قد نسيهم أو قد رجع عن وعوده بإرسال المخلص الذي وعد به في أكثر من ثلثمائة نبوة أمتلآ بها العهد القديم. ولكن كانت هناك أقلية ممن يؤمنون به وبوعوده. وكانت أليصابات واحدة منهم.

أما قصتها كما سطرها الكتاب المقدس فلم يتعرض لتفاصيلها سوي القديس لوقا في إنجيله المسمي باسمه. والذي رأي فيه

بإيحاء من الروح القدس أن يحكي قصة الخلاص من أولها فيتحدث أولا عن ميلاد الرجل الذي سيسبق المخلص ليعد بني إسرائيل لاستقباله. ويتبع هذا بأن يتحدث عن ميلاد الرب يسوع المخلص الذي وعدهم به الرب. ففي ميلاد يوحنا المعمدان يقول «كان في أيام هيرودس الملك كاهن أسمه زكريا من فرقة أبيا وامرأته من بنات هارون وأسمها أليصابات. وكان كلاهما بارين أمام الله سالكين في جميع وصايا الرب وأحكامه بلا لوم. ولم يكن لهما ولد إذ كانت أليصابات عاقرا.. وكانا كلاهما متقدمين في أيامهما» (لو ١:٥-٧).

ونلاحظ هنا أن القديس لوقا لخص أهم النقاط التي أراد الله أن يعلنها عن الخلفية العائلية ليوحنا. وهي أن أباه كان كاهنا وهذا يجعله هو أيضا كاهنا. وأن أبويه كانا بارين أمام الرب وليس أمام الناس فقط فكان برهما برا حقيقيا وليس برا ظاهريا. وأن أمه كانت عاقرا وقد تجاوزت سن الحمل فقد كانت متقدمة في أيامها. ونعلم مما حدث بعد ذلك أن أليصابات كانت حزينة لأن الله لم يرزقها بنسل وأنها وزكريا كانا يصليان للرب لكي يرزقهما بذرية.

ويستطرد القديس لوقا فيحكي قصة زكريا عندما وقعت عليه القرعة ليدخل إلى هيكل الرب ليبخر. وكان هذا يحدث مرة واحدة في حياة كل كاهن وقد لا يحدث لأن عدد الكهنة في تلك الأيام كان أكثر من خمسة آلاف كاهن يؤلفون ٢٤ فرقة كل منها لها اسم. وكان زكريا من فرقة أبيا. وكانت كل فرقة تخدم في الهيكل شهرا واحدا كل سنتين. ولما كان عدد كهنة الفرقة أكثر كثيرا من الخدمات المطلوبة كانت القرعة هي الوسيلة التي يختارون بها الكاهن الذي يقوم بكل خدمة. وقد كان التبخير في هيكل الرب أعظم هذه الخدمات ولذلك كان اسم الكاهن الذي تقع عليه القرعة يشطب

من القائمة حتى يعطي بقية الكهنة فرصة معادلة لفرصته. ولقد اختار الرب زكريا لكي يقوم بهذه الخدمة فوقعت عليه القرعة. ويصف القديس لوقا ما حدث أثناء قيام زكريا بالتبخير فقد ظهر له ملاك الرب وبشره بميلاد يوحنا المعمدان (لو ١:١٢-١٧). ولكن زكريا لم يصدق فسأل الملاك «كيف أعلم هذا وأنا كهل وامرأتي متقدمة في أيامها» (لو ١:١٨). وكانت النتيجة أن الملاك جبرائيل عاقبه بالصمت إلى أن يتم ما بشره به.

وعاد زكريا إلى بيته في آخر الشهر وقص على امرأته بطريقة ما كل ما حدث. لم يحدثنا الكتاب عن وقع ما حدث على أليصابات. هل لامت زكريا؟ هل عاتبته على عدم إيمانه؟ هل صلت من أجله؟ لا نعلم. ولكن أغلب الظن أنها لم تلمه ولم تعاتبه بل صلت من أجله طالبة الغفران له. وكان صمت زكريا يذكرها طوال الشهور التسعة التي سبقت ميلاد يوحنا بصرامة الله وعدله. ولكن وعد الملاك أن يوحنا سوف يولد وأن زكريا سوف يسترد صوته أكدا لها رحمته ومحبته. وعندما تمت أيامها ولدت الابن الذي بشرهم به الملاك ولما أرادوا أن يسموه زكريا كما هي العادة في تلك الأيام أعترضت أليصابات واقترحت اسم يوحنا. ولما استنكروا اقتراحها ذهبوا لزكريا فطلب لوحا وكتب «اسمه يوحنا» وكان هذا هو الاسم الذي أعلنه الملاك. ونتساءل كيف علمت أليصابات باسم يوحنا؟ هل أخبرها زكريا؟ هل أعلنه لها الروح القدس؟ لا نعلم ولكننا نعلم أن قبل ميلاد يوحنا بثلاثة أشهر أمتلآت أمه من الروح القدس عندما سمعت سلام العذراء مريم عندما ذهبت لزيارتها. فكانت بذلك أول امرأة يذكر الكتاب المقدس امتلائها من الروح القدس. وكانت نتيجة هذا الامتلاء أنها علمت أن العذراء حبلي في الرب يسوع فصرخت بصوت عظيم قائلة« مباركة أنت في النساء ومباركة هي ثمرة بطنك. فمن أين لي هذا أن تأتي أم ربي إلي» (لو ١:٢٤، ٤٣).

ونلاحظ هنا أن أليصابات كانت أول من أعترف بألوهية المسيح رغم أنه لم يكن قد ولد بعد. وكانت هي أيضا أول من دعي العذراء بهذا اللقب «والدة الإله» الذي يعترض عليه إخوتنا البروتستانت فهم يزعمون أن هذا اللقب من تأليف الكنيسة الأرثوذكسية. وإذا لم نرجع إلى «التقليد» الذي لا يعترفون به بل رجعنا فقط إلى الإنجيل الذي يعترفون به نجد أن لقب «أم ربي» الموجود في الإنجيل والذي ورد على شفتي أليصابات هو نفس اللقب «والدة الإله» الذي تردده كنيستنا في كثير من المناسبات.

وكما ربت العذراء مريم الطفل يسوع عالمة انه ليس طفلا عاديا بل طفلا إلهيا، ربت أليصابات يوجنا المعمدان عالمة أنه ليس طفلا عاديا. فقد سمعت من زكريا ما قاله الملاك عنه «وأنه سيكون عظيما أمام الرب. وخمرا ومسكرا لا يشرب ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته» (لو ١:١٥). ولا شك أن أليصابات قد حفظت في قلبها كل هذا الكلام، وكانت تراقب ابنها وترعاه بكل العناية والحب الذي يستحقه أحد مختاري الرب.

لم يخبرنا الكتاب المقدس عن المدة التي مكثها يوحنا مع أبويه. ويرجح الكثيرون أن الملائكة أخذته للبرية لكي يعده الرب إعدادا خاصا وهو في الثالثة من عمره ونتساءل ماذا كان وقع هذا على أليصابات؟ هل حزنت على فراق ابنها الوحيد في هذه السن المبكرة؟ هل تألمت؟ هل خضعت؟هل هل .. لا يخبرنا الكتاب.. وأغلب الظن أنها قبلت ما حدث عالمة أن الأمر قد خرج من عند الرب. وأن هذا شرف عظيم لابنها وكل عائلتها. ولم تقلق على مصيره وما قد يحدث له في البرية، وكيف يعول نفسه أو يحمي نفسه من عوامل الطبيعية ومن الحيوانا المفترسة التي كانت البرية ممتلئة بهم. فقد كانت تعرف الله وتؤمن به. فسلمته فلذة كبدها

وهي تعلم علم اليقين أنه سوف يعتني به وسوف يعوله. فلم يدخل قلبها خوف بل ملآه السلام الذي يهبه الله لكل من سلم حياته وأموره له. ولم يذكر الكتاب أي شيء عن أليصابات وزكريا بعد ميلاد يوحنا. وقد يكونا قد امتد بهما العمر إلى أن خرج يوحنا من البرية في سن الثلاثين. وقد يكونا قد رأيا بأعينهما الدور الذي لعبه في إعداد الطريق أمام الرب يسوع فمجدا الله وشكراه على نعمته. وقد يكونا قد فارقا الحياة قبل ذلك تاركين ابنهما الوحيد وديعة في يد الرب.

٢٦- حنة النبيه

تُعتبر حنة النبيه أول من بشر بمجيء المخلص وقد اخترناها لصفاتها التي ذكرها الكتاب المقدس عنها ولحياتها التي قضتها في عبادة الرب مخلصة له منتظره في صبر الخلاص الذي وعد به البشرية ، هذا في الوقت الذي فقدت فيه الغالبية العظمي من بني إسرائيل الأمل في وعود الله المتكررة لهم .

يرجع الفضل في معرفتنا بهذه الشخصية العظيمة إلى القديس لوقا فقد كان هو الوحيد بين كتاب الأناجيل الأربعة الذي ذكرها عندما كتب عن زيارة السيد المسيح الأولي للهيكل عندما كان عمره ٤٠ يوما وأخذاه أبواه للهيكل ليقدماه للرب حسب الناموس. فبعد أن وصف ما حدث وما فعله وقاله سمعان الشيخ الذي كان الروح القدس قد أعلن له أنه لن يموت حتى يعاين المسيح الرب ذكر أنه »كانت (هناك) نبيه (اسمها) حنة بنت فنوئيل من سبط أشير وهي متقدمة في أيام كثيرة . وقد عاشت مع زوج سبع سنين بعد بكوريتها وهي أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام وطلبات ليلا ونهارا . فهي في تلك الساعة

وقفت تسبح الرب . وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في إسرائيل» (لو ٢ : ٣٦–٣٨) .

هذا كل ما كتبه القديس لوقا عن حنة النبيه . ورغم أنه ملخص مختصر إلا أنه يكشف عن حياة مثالية وعن صفات نادرة اجتمعت كلها في تلك المرأة التي لفتت أنظار القديس لوقا فاختار أن يتحدث عنها وعما فعلته وقالته عندما رأت الطفل يسوع على ذراع أمه القديسة مريم .

وأول ما نلاحظه في حياة هذه القديسة أنها كانت نبيه . والعهد الجديد لم يذكر نسوة عديدات كن نبيات . وكل من ذكرهن الكتاب كن خمسة ، أربعة منهن كن بنات لرجل واحد . وهو فيلبس المبشر وقال عنهم القديس لوقا في سفر أعمال الرسل أنهن كن يتنبأن (أ ع ٩:٢١) . أما الخامسة فكانت نبيه كاذبة اسمها إيزابيل تحدث عنها الوحي الإلهي ليوحنا الحبيب في سفر الرؤيا وكانت ضمن الرسالة المرسلة لملاك كنيسة ثياتيرا (رؤ ٢٠:٢) وعندما يطلق الكتاب هذا اللقب على أحد فمعني هذا أن حياة هذا الشخص كانت تدور حول الله وأن علاقته به علاقة قوية بحيث يصبح حلقة من حلقات الاتصال بينه وبين البشر . فكلمة نبي مشتقة من النبوة وهي القدرة المعطاة للنبي من الله والتي تمكنه من معرفة نوايا الله وتلقي أوامره في إيصال هذه المعرفة إلى من يريد الله أن يعلن لهم . وقد تكون حنة قامت بهذا في الماضي رغم أن القديس لوقا لم يذكر شيئا من هذا. وأغلب الظن أنها كانت تكرر للناس النبوات التي وردت في العهد القديم عن مجئ المخلص وتؤكد لهم قرب تحقيقها وتحثهم على الإيمان بها وبالتالي على ضرورة اتجاههم لله والحياة حسب تعاليمه .

ونعلم مما كتب عنها أنها كانت من سبط أشير وهو السبط الوحيد الذي لم يذكر في الكتاب المقدس إلا مرات قليلة لا تتعدى

عدد أصابع اليد الواحدة .. ولكن هذا لم يمنع أن تخرج منه قديسة عظيمة مثل حنة . ونعلم أيضا أنها تزوجت رجلا من سبطها حسب الشيعة وأنها عاشت معه ٧ سنين مات بعدها فترملت. ومثل يهوديت من قبلها رفضت حنة أن تتزوج بعد زوجها وكرست حياتها للعبادة . وانصرفت عن ملذات ومغريات العالم والتصقت بالرب ٨٤ سنة تعبده وتصلي وتصوم له ، تقرأ كتابه وتتأمل في وعوده وتنتظر مجيء «نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية». هذا التكريس والتسليم الكامل يتحدث عن حياة طويلة مقدسة في كنف الله . ففي هذه السنين الطويلة لم تترك حنة الهيكل الذي عاشت فيه فأصبح بيتها الذي تخدم وتسبح فيه الرب الذي أحبته .

وقد ربط القديس لوقا ما فعلته حنة عندما رأت الطفل يسوع بما فعله وقاله سمعان الشيخ عندما رأي أيضا الطفل يسوع لأول مرة . وكان هذا الشيخ الجليل قد علم بإيحاء من الروح القدس أنه لن يرى الموت حتى يرى المخلص فقد كان أحد العلماء الذين عهد إليهم ترجمة العهد القديم الترجمة السبعينية من العبرية إلى اليونانية. فلما جاء للآية التي يقول فيها أشعياء النبي «هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعوه عمانوئيل» (أش ١٤:٧) لم يصدق النبوة وكتب كلمة «الفتاة» بدل من «العذراء» وكان رد الله أنه أخبره أنه سيعيش حتى تتحقق النبوة أمام عينيه . وعاش سمعان سنينا عديدة، يقدرها البعض بأنها ثلثمائة، إلى أن ولد المخلص . فعندما أخذته العذراء مريم إلى الهيكل لتقدمه للرب حسب الناموس عرفه سمعان الشيخ في الحال وأخذه من أمه وحمله بين ذراعيه معلنا أن هذا هو المخلص الذي وعد الله به بني البشر . ولم يكن سمعان هو الوحيد الذي كان ينتظر المسيح الرب فقد كانت حنة تنتظره كذلك . فلما رأت وسمعت ما قاله سمعان الشيخ ، فرحت

وتهللت لأن الرب استجاب لطلبتها التي كانت تطلب منه فيها أن يحقق وعوده ويرسل المخلص. ولذلك عندما تحققت أن المخلص وصل للعالم بدأت تسبح الرب وتشكره على نعمته وعطيته ثم طافت في الهيكل تبشر كل من رأته بمجئ المخلص ووفاء الله بوعوده لنبي إسرائيل فكانت بذلك أول شخص بل أول امرأة تبشر الناس بالمسيح له المجد وعمره ٤٠ يوما فقط . وكانت حنة تعتبر هذا شرفا عظيما لها فقد عاشت كل حياتها تنتظر هذا اليوم وعلمت بإيحاء من الروح القدس التغير الكبير الذي سيتم في علاقة الله مع الناس وكيف أن العلاقة المؤسسة على الخوف سوف تنتهي وأن المحبة هي التي ستحكم العلاقة بين الله وخليقته .

ويخبرنا الكتاب أن سمعان الشيخ قد طلب من الله أن يسمح بانتقاله من هذه الدنيا بعدما عاين الطفل يسوع قائلا «والآن يا رب أطلق عبدك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك» (لوقا ٢:٣٠) ولكن لم يخبرنا عن عمره في ذلك الوقت . أما حنة النبيه فلم يخبرنا أنها طلبت الموت رغم أنها كانت قد تجاوزت المائة من عمرها . وأغلب الظن أن حياتها التي كانت تتسم بالتسليم الكامل امتدت إلى أن سمحت العناية الإلهية أن تنتقل هذه القديسة ، فقد سلمت حنة حياتها لرب المجد بما فيها موعد انتقالها. وعندما حان الوقت انتقلت وهي سعيدة يملأ السلام قلبها فقد رأت المخلص بعينها قبل أن تغادر هذا العالم .

إن موقف سمعان الشيخ وحنة النبيه في انتظارهما لمجيء السيد المسيح شبيه بموقفنا نحن الآن في انتظارنا لمجيئه الثاني. فنحن نعلم انه سيأتي ثانية لينهي الحياة على الأرض كما نعرفها ويخلق أرضا جديدة وسماء جديدة وأنه سوف يجازي كل واحد حسب أعماله . وقد ضرب لنا هذان القديسان المسنان مثلا رائعا

في كيف ينبغي أن ننتظر مجيء الرب .

إن الأغلبية لازالت منشغلة بالأرضيات بدل السمائيات . وحتى الذين يسمون أنفسهم مسيحيين كثيرين منهم لازالوا يحبون العالم والأشياء التي في العالم ، ظانين أنهم يستطيعون أن يجمعوا بين الإثنين . وقد فاتهم تحذير السيد المسيح عندما قال لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . بينما انشغل البعض بتتبع أقوال وتفسيرات مُفسري النبوات الذين يتكهنون بموعد نهاية العالم ومجيء الرب الثاني . وفاتهم أن السيد المسيح قد حذرنا أن الأب وحده هو الذي يعلم اليوم الذي سماه يوم الرب والذي وصفه بأنه سيأتي كلص . ثم أوصانا بالسهر والاستعداد حتى إذا جاء هذا اليوم نكون مستعدين له .

ماذا نحتاج لنكون مستعدين ؟ نحتاج حياة زاهدة ، حياة مكرسه لمعرفته والتقرب منه ، حياة تدور حوله وتخضع لإرادته ، حياة الصلاة والصوم ، حياة العطاء والبذل. حياة الزهد والتقشف، حياة احتقار لمباهج العالم ومسراته. هل هذه هي الحياة التي نحياها الآن ونحن ننتظر مجيئه الثاني؟ لا نعلم. ولكننا نعلم أن حنة النبيه الطاهرة قد عاشت هذه الحياة ، فاستحقت أن يذكرها الكتاب المقدس لتكون قدوة لكل واحد منا .

٢٧ - مريم المجدلية

المرأة التي كانت مسكنا لسبعة شياطين

مريم المجدلية هي المرأة التي كانت مسكنا لسبعة شياطين إلى أن شفاها السيد المسيح . وقد اخترناها لأنها كانت أول امرأة تحب يسوع حبا عظيما دفعها أن ترافقه في رحلاته وتخلص له إلى النهاية حتى في الوقت الذي تركه فيه تلاميذه الذين عاشوا

معه منذ بدء رسالته . ويعتبرها كثير من المؤرخين الذين كتبوا عن حياة المسيح أنها كانت بمثابة أحد تلاميذه ولم يكتبوا هذا عن نسوة أخريات كن يرافقن الرب كما رافقته هي . يخبرنا القديس لوقا أن يسوع أخرج منها سبعة شياطين عندما ألتقي بها أول مرة . والعدد سبعة يعني الكمال ولذلك يمكننا أن نقول أن مريم كانت ممتلئة تماما بهم فلم يكن لديها أي تحكم في ملكاتها العقلية، ولا في تصرفاتها . ويمكن للقارئ أن يتصور حالتها عندما قابلها المسيح له المجد . امرأة في عنفوان شبابها مهلهلة الثياب متجهمة الوجه مشعثة الشعر ، عيناها زائغتان لا تستقران على شئ ، تلتفت في ذعر إلى من حولها تهذي بكلمات غير مفهومة ، لا تعرف ما تريد ولا تعي ما تقول . وعندما رآها السيد المسيح عرف ما تعاني منه وتحنن عليها فأمر الشياطين الذين سكنوها أن يخرجوا منها بلا رجعة .

وجدير بنا هنا أن نوضح أن هذا ليس معناه أن مريم كانت شريرة أو خاطئة كما شاع عنها بعد ذلك وكيف أنها كانت عاهرة، فلم يأتي في الكتاب أي دليل على هذا . ولو كانت هكذا لوصفها الإنجيل الذي وصف أخريات بهذه الصفة . وقد يكون إخوتنا الكاثوليك هم المسئولون عن هذه الوصمة التي لصقت بهذه المرأة القديسة عندما أقاموا بيتا للنسوة الساقطات في نابولي عام ١٣٢٤م وسموه «بيت المجدلية» . يخبرنا الكتاب المقدس أن مريم المجدلية كانت غنية فبعد أن شفاها المسيح لازمته مع بعض النساء الأخريات يخدمنه ويوفرن حاجاته وحاجات تلاميذه من جيوبهن . ومن هذا نعلم أيضا أنها لم تكن متزوجة ولذلك استطاعت أن تكرس حياتها لخدمة الذي شفاها وأعطاها حياتها الجديدة .

لقد ذكر الإنجيل اسم مريم ١٤ مرة. وفي ثمانية منها ذكر اسمها مع نساء أخريات ولكن أسمها كان دائما في صدر الأسماء

الأخرى مما يدل على أنها كانت متقدمة على الآخرين في خدمتها وإخلاصها وحبها للمخلص . والمرة الوحيدة التي لم يذكر اسمها في المقدمة كان عندما كتب القديس يوحنا عن النساء اللاتي حضرن صلب المسيح فقد جاء اسمها بعد اسم مريم أمه ومريم خالته امرأة كلوبا . ولكنها كانت هناك تنظر إلى الذي أحبته وهو يتألم من أجل البشرية التي أحبها . يا تري ماذا كان يجول بخاطرها وهي تنظر إلى الصليب والمصلوب عليه . لم يخبرنا الكتاب إذا كانت صاحبته منذ أن قبض عليه. ولكن لأننا نعلم شدة حبها له نرجح أنها تبعته عندما أخذوه ليقف أمام قيافا وحنانيا وبقية المجمع وسمعت الذين ادعوا عليه ظلما وشاهدت حبيبها يسوع واقفا أمام رؤساء الكهنة كملك يستمع في هدوء إلى من اتهموه رافضا أن يدافع عن نفسه . وتبعته عندما أخذوه لبيلاطس وشاهدت غطرسة وكبرياء الكتبة والفرنسيين وهم يكيلون التهم الكاذبة ضده وسمعت الشعب يصرخ أصلبه أصلبه ... وعندما خيرهم بيلاطس بين يسوع وباراباس محاولا أن يفلت من الفخ الذي نصبه له الكتبة والفريسيون. أتصورها عندما نظرت مريم إلى من حولها وصرخت فيهم محاولة أن تقنعهم أن يطلبوا يسوع .. ولكن خاب ظنها . وصرخت الجموع تطلب إطلاق باراباس اللص وصلب رب المجد . لابد أن قلبها قد تمزق عند سماعها حكم الموت على من أحبته وكرست حياتها لخدمته.

وعندما نتأمل في حياة هذه المرأة العظيمة نجد أن هناك دروسا هامة يمكننا أن نتعلمها منها . أولا شكرها المستمر للسيد المسيح الذي شفاها . وقد يكون الشكر شفويا كالذي انتظره يسوع من العشرة البرّص الذين شفاهم فلم يعد ليشكره سوي واحد وكان سامريا . والشكر الشفوي هو أول وأقل درجات الشكر . ومريم المجدلية لم تكتف به ولكنها قفزت إلى الدرجة التالية وهي الشكر

العملي . فقد تركت بيتها في مجدل وتبعته حتى يوم صعوده إلى السماء. ولم تتبعه فقط بل ساهمت بنصيب كبير في توفير المعيشة له ولتلاميذه من أموالها كما ذكرنا من قبل . وقد كان هذا العطاء من جانبها تلقائيا فلم تذكر الأناجيل الأربعة أن الرب قد طلب شيئا من أحد ولكنه ذكر أن نساء قليلات منهن مريم المجدلية كن يتبرعن من أموالهن لسد حاجاته . وذكر أيضا أن يهوذا الاسخريوطي كان أمينا للصندوق وأنه كان يسرق بعض ما أؤتمن عليه ، ولعل هذه الأموال كان بعضها مصدره النسوة اللاتي ذكرنهن. أما الدرس الثاني الذي يمكن أن نتعلمه من حياة هذه القديسة فهو محبتها المتناهية للسيد المسيح ولا يمكننا أن نبالغ في أهمية المحبة في حياة من يتبعونه . فقد قبل أن الله يطلب منا شيئين أولا أن نحبه كما أحبنا وعندما نفعل هذا نجد أن محبته تفيض من قلوبنا فنحب الجميع حتى أعداءنا . ثانيا أن نكون مخلصين له كل أيام حياتنا فنحبه أكثر من أي إنسان أو أي شئ في هذا العالم . وقد أكد يسوع هذا المفهوم عندما قال «إن كان أحد يأتي إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته حتى نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا» (لو ١٤:٢٦) وقد أراد بهذا أن يجسم أهمية محبتنا له والمقصود هنا أنه لا يحبذ البغض بل يحبذ أن نضعه هو في أول قائمة من نحب ، فنحبه أكثر من الجميع ، ولا نفعل ما يفعله ملاك كنيسة أفسس عندما قال له الرب «عندي عليك أنك تركت محبتك الأولى فأذكر من أين سقطت وتب» (رؤ ٢:٤) . والمحبة ليست كلاما بل عملا . وواضح مما فعلته مريم المجدلية عظم محبتها للسيد المسيح فقد لازمته وخدمته وساهمت في نفقات معيشته . وحتى عندما تنكر له أقرب الناس إليه لم تتنكر له بل التصقت به من فرط محبتها .

ومن أجل محبتها العظيمة كافأها الرب بأنها كانت أول من

شاهده بعد قيامته وأول من بشر تلاميذه بأنه قام من الأموات . وكانت أول من أعلن لهم الرب قيامته فعندما شاهدته وحسبته البستاني وسألته عن جسد يسوع ناداها باسمها وكان هذا إعلانا لها بقيامته .

ولا يخبرنا الكتاب ماذا حدث لمريم بعد صعود الرب ولكن أغلب الظن أنها بشرت به من تعرفهم من النساء وبعد انتقالها صعدت للسماء لتكون مع بقية القديسين في الفردوس وهي الآن تتشفع لنا عند من أحبته وتنتظر قيامة الأموات لتعيش مع المسيح إلى الأبد .

٢٨- مارثا

المرأة التي عاتبت الرب

هذه كانت مارثا أخت لعازر صديق الرب يسوع والذي أقامه من الموت بعد موته بأربعة أيام . وقد اخترناها لأنها من النسوة القليلات اللاتي أحبهن الرب محبة خاصة وكان منزلها هو المكان المفضل عنده كلما ذهب لأورشليم . وقد قضي في هذا المنزل أيامه الأخيرة بعد رحلته إلى أورشليم يوم أحد السعف حتى قبض عليه يوم الخميس مساء ، وأيضا لأنها تمثل الإيمان في ذبذباته المألوفة والذي عندما يقابل احتمال الله وصبره ثم عمله من أجلنا يصبح إيمانا قويا عارما .

وتبدأ قصة مارثا في إنجيل القديس لوقا في الإصحاح العاشر عندما كتب «وفيما هم (يسوع وتلاميذه) سائرون دخل قرية (بيت عنيا) فقبلته امرأة إسمها مارثا في بيتها». (لو ١٠:٣٨) ونلاحظ هنا أن القديسين متى ومرقس لم يذكرا شيئا عن هذه العائلة التي أحبها الرب حبا خاصا واعتبرها من أقرب العائلات إلى قلبه . وعندما نتأمل فيما كتبه القديس لوقا عن استضافة مارثا له

ولتلاميذه ، نجد أنفسنا نتساءل هل كان هذا أول لقاء بينهما ؟ وإذا كان ، ما الذي دعاها أن تدعوه ليدخل منزلها ؟ لأن الكتاب لم يذكر أن الرب دعي نفسه ليدخل بيتها كما فعل مع زكا . أغلب الظن أن مارثا ومريم ولعازر قد شاهدوا الرب يسوع من قبل وربما استمعوا إلى بعض عظاته أو شاهدوا بعض معجزاته وأذهلتهم قداسته ووداعته وقوة شخصيته فأحبوه ويمكن أن يكونوا تبعوه من مكان لآخر . وفي ذلك اليوم كان قريبا من منزلهم فرأوا أن هذه فرصة نادرة ليتعرفوا عليه ويستضيفونه ليعبروا له عن محبتهم له .

لم يذكر الكتاب أي شئ من هذا لأن كاتبي البشائر الأربعة كان كل اهتمامهم أن يكتبوا عن السيد المسيح وأن يركزوا الأضواء عليه هو فلم يذكروا كثيرا من التفاصيل في القصص التي كتبوها عنه لأنهم اعتبروها غير مهمة .

نعود إلى قصة مارثا فنجد أن الرب يسوع لبي دعوتها دون تردد فقد أحس بمحبتهم (هي وإخوتها) وأراد أن يبادلهم محبة بمحبة . لقد وجد أخيرا مكانا يسند فيه رأسه بعد أن قال لأحد الذين أرادوا أن يتبعوه طمعا في ربح كان يمني نفسه به «للثعالب اوجرة ولطيور السماء أوكار ولكن ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه» (مت ٨:٢٠) . لقد أصبح بيت مارثا وأخوتها المكان المفضل للسيد المسيح الذي يرتاح فيه وهو بعيد عن منزله . يتضح مما تقدم أن مارثا وإخوتها كانوا يملكون المنزل الذي زاره يسوع ولو أن بعض المؤرخين يقولون أن مارثا هي التي كانت تملكه فقد كانت زوجة سمعان الأبرص وأنها ورثت منزلها عندما توفي زوجها وقد استنتجوا هذا مما كتبه القديس متى في الإصحاح السادس والعشرين عندما وصف ما صنعته مريم بيسوع في بيت سمعان الأبرص وكيف أنها سكبت قارورة طيب على رأسه (متى ٢٦:٦) .

ويرجح البعض هذا الاستنتاج فقد ذكر القديس لوقا أن مارثا قبلته في «منزلها» وبما أنها كانت أكبر من مريم ولعازر كان من الطبيعي أن تدعو إخوتها ليعيشوا معها بعد أن آل لها بيت سمعان زوجها وبما أنها أصبحت ميسرة الحال أصبحت المتكفلة بهما .

وعندما نقرأ ما كتب عن علاقة هذه العائلة بالرب يسوع نجد أن اسم مريم قد صاحب اسم مارثا في كل مرة فقد كانتا متلازمتين في كل شئ . ولكن ذكر الكتاب اختلافا جوهريا بين شخصيتهما ذكره كل من القديس لوقا والقديس يوحنا فقد كتب لوقا «وكان لهذه (مارثا) أخت تدعي مريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تستمع لكلامه . وأما مارثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة فوقفت أمام الرب وقالت له ، أما تبالي بأن أختي تركتني أخدم وحدي فقل لها أن تعينني ، فأجاب يسوع وقال لها مارثا مارثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى واحد فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها» (يو١٠: ٣٩-٤٢) . من هذا نري أن مارثا كانت هي حاملة المسئولية فهي التي دعت الرب وهي التي كانت تعمل لتوفر له ولتلاميذه ما سوف تقدمه لهم . ولكن يبدو أنها احتاجت لمساعدة مريم ونظرت فإذا بها قد نسيت العالم وكل ما فيه وجلست عند قدمي يسوع تستمع له فثارت وشعرت أن سلوك مريم ليس في محله وأن واجبها أن تنهض لمساعدتها . وعند ذلك ذهبت ليسوع وعاتبته لأنه سمح لمريم أن تنشغل معه بدلا من أن تساعدها . هذه هي المرة الأولي التي عاتبت فيها مارثا الرب يسوع . المخلوق يعاتب الخالق ولكن الخالق الطويل الأناه لم يغضب بل شرح في هدوء وعلّم في محبة. ولا شك أن مارثا كانت تنتظر أن يطلب من مريم أن تساعدها ولكن خاب ظنها عندما رد عليها مصححا أولوايتها . فقد كان واضحا أن اهتمامها الأول كان أن تعد لضيوفها ما سوف تقدمه

لهم من طعام بينما كان اهتمام مريم الأول أن تستمع له وأن تتعلم منه . ولذلك نراه يقول لمارثا أن هذا الاهتمام قد لا يكون بالأهمية التي تظنها وأن الاهتمام بالروحيات يفوق الاهتمام بالجسديات ، فقد قال لها انها تهتم بأمور كثيرة جسدية ولكن الحاجة أي حاجتها وحاجتنا الماسة إلى اهتمام واحد وهو أن نسمع كلام الله ونعمل به . وقد امتدح ما فعلته مريم قائلا أنها اختارت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها . لقد تحدث السيد المسيح عن هذا المفهوم مرات عديدة محاولا أن يصرف أتباعه عن اهتمامات الجسد فمرة يحدثهم عن طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع لمخازن ولكن الله يقوتها جميعا . ومرة أخرى يحدثهم عن زنابق الحقل وكيف أن سليمان في كل مجده لم يكن يلبس كواحدة منها .. ومرة أخرى أعلن لهم صراحة ألا يهتموا بما يأكلون أو يشربون لأن هذه كلها تطلبها الأمم ثم أردف قائلا «اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم» (مت ٦:٢٨) . وهنا نسأل هل معني ما قاله الرب لمارثا أن أعمالنا اليدوية في خدمته ليست مهمة؟ فالذين يبذلون جهودهم في بناء وتنظيف بيت الرب أو خدمة حاجات الكنيسة. هل هؤلاء يعملون هباء؟ والجواب أن الله يقبل كل هذه الخدمات إذا توفر فيها بعض الشروط أولها أن يكون الغرض منها خدمته هو وليس لغرض آخر وثانيها أن لا تكون مفضلة عندهم عن الاستماع لكلام الله والعمل به، لأن هذا هو الدليل على أن محبة الله هي التي تدفع هؤلاء إلى الأعمال التي يقومون بها مهما كانت يدوية أو بسيطة فقد ذكر السيد المسيح يوما أن الله يعطي أجرا لمن يعطي آخر كوب ماء بارد .

نعود لقصة مارثا فنجد أن القديس يوحنا هو الوحيد الذي كتب عن إقامة يسوع لأخيها لعازر . وتعتبر هذه المعجزة من أعظم المعجزات التي قام بها يسوع لأن لعازر كان قد انتن ولكن الرب

تحدي الموت وأرجع لعازر للحياة بعد أن بدأ جسده يتحلل. وعندما نقرأ ما كتب عن هذه المعجزة الفريدة نجد أن هناك عدة أمور تلفت النظر : أولا نجد أن الأختين أرسلتا رسالة للرب يسوع تخبرانه أن من يحبه مريض . وكان أملهما أن يسرع يسوع بمجرد سماعه للخبر فيذهب إلى بيت عنيا ليشفي صديقه ولكنه لم يأتي . ويخبرنا القديس يوحنا أنه أبطأ مجيئه لأنه كان يعلم أن هذا المرض ليس للموت بل لكي يتمجد الابن بواسطته . ولا شك أن الأختين قد شعرتا بخيبة أمل عندما إشتد المرض على لعازر ومات دون أن يحضر يسوع . وانتظرت الأختان أن يصل يسوع ليشاركهما في جنازته ولكنه خيب رجاؤهما مرة ثانية فاضطرتا أن تدفناه في غيابه ومضي يوم واثنان وثلاثة وأربعة ولم يحضر يسوع . ففي نهاية اليوم الرابع وصل هو وتلاميذه . ويبدو أنهم توقفوا عند حدود القرية حيث توجد المدافن . وعندما رآه بعض أصدقاء الأسرة أرسلوا الخبر للعائلة المجتمعة مع المعزين . وكانت مارثا أول من أسرع ليقابل يسوع ، وعندما رأته قالت له «يا سيد لو كنت ههنا لم يمت أخي». (يو ١١:٢١) . كان هذا عتابها الثاني للرب يسوع . ويمكننا أن نستنتج مما قالته أن إيمانها به لم يكن قويا في تلك اللحظة فقد كان في قدرته أن يشفيه قبل أن يموت ولكن لا فائدة الآن بعد أن مكث في القبر أربعة أيام وأنتن .

وعندما قال لها يسوع أن أخاها سيقوم ردت قائلة أنه سيقوم في اليوم الأخير عند ذلك نظر لها يسوع نظرة عتاب وقال لها «أنا هو القيامة والحياة» (يو ١١:٢٥) ثم اردف سائلا «أتؤمنين بهذا؟ فردت قائلة» أنا قد آمنت أنك أنت المسيح أبن الله الآتي إلى العالم» (يو ١١:٢٧) . بهذا أعلنت مارثا عن إيمانها الذي كان قد ضعف وتزعزع عندما أبطأ الرب مجيئه والذي ارتفع إلى آفاق جديدة عندما أقام الرب أخاها من الموت .

٢٩ - سالومة

المرأة التي ولدت اثنين من أقرب التلاميذ إلى قلب المسيح

هذه هي سالومة أم يعقوب ويوحنا وزوجة زبدى الصياد الثري الذي ذكر اسمه عدة مرات في الكتاب المقدس . وقد اخترناها لأن ولديها يعقوب ويوحنا كانا من أقرب التلاميذ إلى قلب السيد المسيح . وقد كونا مع بطرس الدائرة الصغيرة التي اختارها الرب يسوع كخاصة خاصته يأخذهم معه في المناسبات الهامة كإقامة ابنة يايرس والتجلي وصلاته في بستان جثماني قبل صلبه. وكان يُفضي لهم أحيانا بما ينطوي عليه صدره من أحاسيس . وقد كان يوحنا أحب التلاميذ إلى قلبه . ويخبرنا الكتاب أنه كان يتكئ على صدره . وكانت له دالة قوية على الرب يسوع ولذلك كان يوحنا يعتز بهذه العلاقة الخاصة ولكن تواضعه منعه من أن يذكر اسمه عندما تحدث في إنجيله عن مواقف معينة كانت له مع السيد المسيح فكان يكتب عن نفسه «التلميذ الذي كان الرب يحبه» ولاشك أن الرب كان يحب كل تلاميذه ولكن كان هناك شعورا بينهم أنه يحب يوحنا أكثر من الآخرين . ونحن لا نعلم السبب وراء هذا الحب الخاص ولكن قد يكون صغر سنه بالنسبة لبقية التلاميذ وقد يكون أن حب يوحنا وإيمانه به منذ البدء كان أقوى من بقية التلاميذ . وقد ظهرت هذه المحبة المتبادلة بينهما في تصرف ليوحنا وآخر ليسوع . فعندما قبض على يسوع لم يفارقه يوحنا كما فعل باقي التلاميذ . وكان حاضرا صلبه وقبل أن يسلم الروح طلب من أمه العذراء مريم أن تعيش مع يوحنا وأن تعتبره ابنا لها وطلب من يوحنا نفس الطلب.

أما يعقوب فكان الأخ الأكبر وقد اطمأن السيد المسيح له وعرف عنه الحكمة وقوة الشخصية مما جعله أول من استشهد من

الإثنى عشر بعد صعود السيد المسيح . ورغم أن بطرس كان أحد أعضاء الدائرة الخاصة التي تحدثنا عنها وكان أكثر التلاميذ كلاما واشتراكا في مجرى الحوادث إلا أنه لم يحظ بالثقة التي حظي بها يعقوب ومحبته للرب . ولم يعش يعقوب طويلا فقد قبض عليه وحكم عليه الملك هيرودس أجريبا بالموت فكان أول من أستشهد من تلاميذ المسيح . أما يوحنا فقد اختلف المؤرخون في مصيره فبعضهم يقول أنه عاني من الاضطهاد على يد اليهود محاولين أن يرغموه على إنكار المسيح وكان يرفض فيضعونه في زيت مغلي ثم يلقونه في السجن أقرب للموت من الحياة فيأتي المسيح ليلا ويشفيه فيلقونه في الزيت مرة ثانية وهكذا . ولما تعبوا نفوه إلى جزيرة بطمس حيث أكرمه الله بأن أراه نهاية العالم التي وصفها كما تراءت له في سفر من أشهر أسفار العهد الجديد وهو سفر الرؤيا . ولكن آخرون يقولون أنه بعد العذابات التي عاناها قتل وأستشهد من أجل الذي أحبه .

نعود إلى قصة سالومة فنجد أن ذكرها في الكتاب المقدس جاء في إنجيل القديس متى وإنجيل القديس مرقس . ولم يذكرها متى بالاسم بل أكتفى بأن دعاها أم ابني زبدي بينما ذكر مرقس أسمها . وأسم سالومة معناها Shalom أي السلام . ونحن لا نعلم عن نسبها ولا عائلتها شيئا إلا أنها كانت زوجة زبدي الصياد الذي أثرى من حرفته وكان يملك عدة سفن ويؤجر آخرين ليساعدوه في عمله. ولم يكف زبدي عن الاشتراك مع عماله في العمل بيديه فقد كان في السفينة مع ولديه يعقوب ويوحنا يصلح الشباك عندما دعاهما يسوع ليتبعاه . ولما سمعا الدعوة يقول الكتاب أنهما تركا الشباك وتبعاه .

وعندما نتأمل في هذه الطاعة وما كان سببها نجد أن هناك عددا من الاحتمالات فقد يكون قد سمعا عن المعلم الجديد الذي

بدأ صيته ينتشر في المنطقة . وقد يكونا قد انجذبا إلى شخصية المسيح التي لا تقاوم لأنه كان له سلطان وليس كالكتبة والفريسيين . وقد يكونا قد سمعا من والديهما كلاما عن المسيح وإحساسهما أنه هو المسيا الذي تحدثت عنه مئات النبوات التي وردت في العهد القديم . وأغلب الظن أن ما سمعاه كان مصحوبا بالحماس الذي يولده الإيمان فتشبعا به ولذلك لم يترددا عندما دعاهما يسوع ليكونا من تلاميذه ..

ويخبرنا الكتاب أن يعقوب ويوحنا كان غيوران على هذا العمل فأخبره يوحنا يوما أنه منع شخصا من أن يُخرج روحا شريرا باسم المسيح لأنه لم يكن تلميذا له . ومرة أخرى عندما رفض السامريون أن يستقبلوه قبل مقابلته مع المرأة السامرية طلب الأخوان إذا كان يسمح لهما أن يطلبان نارا من السماء لتبيدهم . ولذلك سماهما الرب «ابني الرعد» ولكن يبدو أن غيرتهم الزائدة قد هدأت بمعاشرتهم للرب فأصبحت غيرة مقدسة لا غيره مدمرة.

وعندما نتأمل حياة هذه المرأة التي أنجبت هذين التلميذين العظيمين نجد في حياتها عددا من الصفات التي تستحق التعليق ففيها دروس مفيدة لكل منا في حياتنا الروحية .

وأول هذه الصفات هي تدينها فقد كانت إحدى النساء القليلات اللواتي تتلمذن للسيد المسيح يتبعنه ويخدمنه من أموالهن . فقد ذكر القديس مرقس أنها كانت ضمن مجموعة مكونة من «مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى» (مر ١٥:٤١) وذكر أيضا أنهن كن معه عندما صلب فقال «وكان هناك أيضا نساء ينظرن من بعيد بينهم مريم المجدلية ... وسالومة» (مر ١٥:٤٠) . كذلك كانت من النساء اللواتي اشترين حنوطا وذهبن للقبر فجر الأحد وفوجئن عندما وجدن القبر فارغا فعلمن بقيامته . لقد كانت سالومة تعرف الرب وأغلب الظن أنها قرأت العهد القديم بإمعان

وآمنت بكل النبوات التي كتبت عن المسيح المنتظر وربما تساءلت متى سيأتي وهل ستراه أم لا . ولكنها أخطأت في تفسير تلك النبوات كبقية بني إسرائيل في ذلك الوقت فقد ظنت أن المخلص الذي وعد به الرب سيكون كموسى النبي الذي خلص إبائهم من نير فرعون وأنه عندما يأتي سوف يخلصهم من نير قيصر ويعيد إليهم استقلالهم وسيادتهم . ولذلك نراها قبل أن يصلب المسيح له المجد ببضعة أيام تجثوا أمامه طالبة منه أن يجلس أبنيها واحدا عن يمينه والأخر عن يساره في ملكوته (متى ٢٠:٢١) . ومما قالته يتضح أنها كانت مؤمنة إيمانا قويا أن الرب يسوع ملك وأن له مملكة وبأنه ليس أحق من يعقوب ويوحنا أقرب تلاميذه إلى قلبه أن يكونا رقم ٢ ، ٣ في ملكوته أو مملكته . كانت سالومة تتكلم كأم تريد أن ترى ولديها في قمة المجد . ولم تكن تتوقع من يسوع إلا الموافقة على ما طلبته ، ولكن يسوع لم يوافق ، وكان رده عليها شديدا . فقد نظر إلى يعقوب ويوحنا اللذان كانا معها عندما طلبت طلبتها وكانا بالطبع موافقان لها في الرأي . قال لهما «لستما تعلمان ما تطلبان» (متى ٢٠:٢٢) . وهو بهذا كان يريد أن يعلهم ويعلمنا دروسا روحيا هامة ، وهو عندما نطلب من الله شيئا في صلاتنا ، أنه في كثير من الأحيان لا يكون ما نطلبه في صالحنا لمعرفتنا الناقصة . ولذلك من المستحسن أن نختم صلاتنا بأن نطلب منه أن يعمل أرادته هو لا إرادتنا نحن . وكان الرب يسوع أيضا يقول لهما أنكما تفكران أن مملكتي من هذا العالم ولذلك تطلبان لأنفسكما أعلى مكانين في هذه المملكة ، ولكن مملكتي ليست من هذا العالم . وأنني لم آت إلى العالم لأكون ملكا أرضيا بل لأموت عن الإنسان الخاطئ لأخلصه من خطاياه . هذا هو ما سوف يحدث لي «فهل تستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا ؟»

(متى ٢٠:٢٢) وقد قال هذا عن موته على الصليب والمزمع أن يحدث بعد أيام قليلة . ويبدو أن الأخوين لم يتصورا أن الكأس والصبغة التي تحدث عنهما السيد المسيح هما كأس الآلام وصبغة الموت بل كأس التمتع وصبغة المجد العالي فردا عليه قائلين «نستطيع» وأمام هذا لم يكن أمامه إلا أن ينهي هذا الطموح الذي عبر عنه ثلاثتهم بجرأة أمام التلاميذ ودون حساب لما قد يثيره من غيره وحقد بأن قال لهم بصراحته المعهودة.

«أما الكأس فتشربانها وبالصبغة التي اصطبغ بها أنا تصطبغان ، وأما الجلوس عن يمني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبي» (متى ٢٠:٢٣) .

لقد قال السيد المسيح هذا الكلام لغرضين . أولا ليلقنهم درسا في إنكار الذات والتواضع دائنا في ذلك الكبرياء الذي دعاهما أن يطلبوا هذا الطلب الذي ينطوي على الأنانية وحب الذات . وقد واجه هذه المشكلة من قبل عندما سمع تلاميذه يتناقشون ويتشاجرون فيما بينهم على من هو أعظمهم وكذلك نراه يوم خميس العهد وهو عالم بما ينتظره بعد ساعات يأخذ وقتا لكي يغسل أرجل تلاميذه محاولا أن يعلمهم درسا في الاتضاع وإنكار الذات . وأيضا قال ذلك للاخين متنبئا بمصيرهما بعد صعوده بأنهما سوف يشربان من الكأس التي سيشربها هو فيضطهدوا ويستشهدوا كما أضطهد هو واستشهد . يا ترى ماذا كان أثر كلمات السيد المسيح في نفس سالومة وولديها ؟ هل فهموا قصده ؟ لا أظن ولكنهم أدركوا أن ما فعلوه كان خطأ وأن يسوع لم يقبله لحرصه على استمرار روح المحبة والوئام بين تلاميذه ولكراهيته للكبرياء، ومن المحتمل أنهم ندموا على ما فعلوه بعد ذلك .

ولم يخبرنا الكتاب شيئا بعد هذا عن سالومة أو زوجها زبدي

ولكننا نعلم أنهم علموا بقيامة المسيح وربما رأوه مرة أو مرات قبل صعوده وربما شاهدوا صعوده مع من شاهدوه . وأغلب الظن أنهما كانا نشيطين في الكنسية الأولى. وبعد شيبة صالحة تمتعا فيها بصداقة التلاميذ والعذراء مريم ، أُخذت أرواحهم إلى الفردوس وهم الآن مع بقية القديسين ومنهم ولديهما يعقوب ويوحنا منتظرين يوم الرب الذي فيه ينتقلون إلى أورشليم السمائية ليعيشوا مع الرب والملائكة والقديسين إلى أبد الآبدين .

٣٠- المرأة السامرية

من أشهر النساء الذين لم يذكر الكتاب أسماءهن المرأة السامرية، وقد اخترناها لأن في قصتها دروسا روحية نافعة ولأن ما حدث لها يعتبر نموذجا لتحول إنسان خاطئ إلى إنسان مؤمن، ليس هذا فقط بل إنسان يبشر الآخرين بإيمانه الجديد .

لقد كان القديس يوحنا هو الوحيد بين الإنجيليين الأربعة الذي سجل هذه القصة الفريدة . ولعله قد فعل هذا ليوضح أن يسوع لم يأت لليهود فقط بل جاء للعالم كله . فقد ضرب بتقاليد قومه عرض الحائط حينما ذهب لقرية سوخار السامرية وبشر أهلها بالخلاص المزمع أن يحدث فآمنوا به . وكان قبل ذلك قد حكي لليهود قصة السامري الصالح ومدح السامري الذي كان أحد العشرة الذين شفاهم يسوع من برصهم وكان الوحيد الذي عاد ليشكره .

وبدأ القديس يوحنا القصة عندما أراد السيد المسيح وتلاميذه أن يذهبوا من اليهودية إلى الجليل . وكان أقصر الطرق يمر بأرض السامريين ولذلك كان اليهود يأخذون طريقا أطول حتى يتفادوا مقابلة أحدا منهم . ولكن السيد المسيح أخذ الطريق القصير

لأنه كان على ميعاد ليقابل المرأة السامرية التي لم يذكر الكتاب أسمها ولكنها رغم هذا أصبحت من أشهر نساء العهد الجديد لما حدث بينها وبين رب المجد .

سار السيد المسيح وتلاميذه عدة أميال في حر النهار تعب بعدها فجلس على البئر ، بئر يعقوب ليستريح بينما ذهب التلاميذ للقرية ليبتاعوا طعاما . وعندما نتأمل في هذا يزيد حبنا وعجبنا بل إعجابنا بالسيد المسيح . فقد اختار أن يأخذ بشريتنا كاملة بقرفها وتعبها وعرقها وأحزانها ومسراتها فنراه هنا يتعب بعد رحلة سار فيها بضعة أميال ، ويسعى في طلب الضال كالراعي الصالح الذي يترك في الحظيرة تسعة وتسعين خروفا ويسعى في طلب الخروف الذي ضل . وقد يسأل البعض لماذا نجد بئر يعقوب في أرض السامرة وما علاقة السامريين باليهود لأننا نلاحظ أن المرأة قد لقبت يعقوب بأبيها . والحقيقة التي قد لا يعلمها الكثيرون أن السامريين أصلهم يهود . وقد بدأ الانفصال في أيام رحبعام ابن الملك سليمان عندما انشق عنه عشرة أسباط وتبعوا يربعام ابن نباط ليكونوا مملكة جديدة اسمها إسرائيل بينما سميت الأخرى يهوذا . وقد كان ملوك إسرائيل جميعا أشرارا . وعندما قهرهم الأشوريون تبعوا ديانتهم وعبدوا أصنامهم واختلطوا بالزواج منهم وفقدوا تدريجيا صفاتهم كيهود وأنكروا إلههم فقامت عداوة شديدة بينهم وبين مملكة يهوذا .

نعود لقصة المرأة السامرية . يخبرنا القديس يوحنا أن الرب يسوع جلس على البئر ينتظرها. وعندما جاءت لتملأ جرتها بالماء طلب منها أن تعطيه ليشرب . وإذا بها ترفض طلبه بوقاحة وتقول له «كيف تطلب مني لتشرب وأنت يهودي وأنا امرأة سامرية» (يو ٤:٩) .

لم يغضب يسوع بل أراد أن يوضح لها أنه طلب منها الماء

كوسيلة لبدأ الحديث معها وأنه في الحقيقة ليس محتاجا للماء الذي طلبه منها فقال لها بعطف «لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا» (يو ٤:١٥) . نلاحظ هنا أن يسوع أراد أن يساعد المرأة أن تنتقل في تفكيرها من المحسوس إلى غير المحسوس من المرئيات إلى غير المرئيات فأخبرها أن هناك ماءً حيا وأنه مستعد أن يعطيها هذا الماء . كان الشيطان حاضرا فأغلق فكر المرأة عن معنى الماء الحي حتى لا تتعدى في تفكيرها الأرضيات إلى السمائيات فأوحى لها أن تتحدى الرب بأن تقول له «يا سيد لا دلو لك والبئر عميقة فأين لك الماء الحي ، ألعلك أعظم من أبينا يعقوب» (يو ٤:١١) فرد عليها يسوع متابعا محاولته أن يلفت نظرها للروحيات قائلا «كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا .. ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد» (يو ٤:١٣) إن السيد المسيح بهذا قال حكمه على كل من يجرون وراء الماديات وكيف أنهم مهما حصلوا وجمعوا منها فلن يشبعوا .

طبعا لم تفهم المرأة أن يسوع كان يتحدث عن الخلاص المزمع أن يمنحه للبشرية فطلبت منه ذلك الماء حتى لا تأتي كل يوم إلى البئر لتستقي . وهنا سألها يسوع أن تذهب وتدعو زوجها قبل أن يلبي طلبها . وكان يقصد بهذا أن يذكرها بحياتها الخاطئة . وكانت هذه أحسن لمسة يمكن لأي إنسان أن يوجهها لامرأة خاطئة لكي تتذكر خطاياها. وقد استجابت المرأة بأن اعترفت بالحقيقة وهي أنه ليس لها زوج رغم أنها كانت تعاشر رجلا ليس زوجها .

وهنا نرى رب المجد يمدح المرأة على اعترافها بأن الذي معها ليس زوجها . فأخبرها أنها قالت الصدق وأنه كان لها خمسة أزواج والذي معها الآن ليس زوجها . لا شك أن المرأة فوجئت بهذا الغريب الذي كشف حياتها في جملة واحدة .. وفكرت فيمن

عساه أن يكون . ولم يطل تفكيرها فقد اعترفت بأنه نبي . وكان الشيطان يراقب ما حدث باهتمام عظيم فلم يسر لأن المرأة بدأت تعترف بحياتها الخاطئة ولقبت المسيح بأنه نبي. وعلم أنه إن لم يتدخل فسوف ينتهي الأمر بتوبتها الكاملة وما يلي ذلك من حياة جديدة طاهرة فانزعج . ورأي أن يصرفها عن هذا بأن أوعز إليها أن تسأله عن الخلاف الذي بين اليهود والسامرين فسألته هل السجود ينبغي أن يكون في جبل جرزيم حيث كان السامريين يعبدون آلهتهم أم في أورشليم ؟ فرد عليها المسيح أن مكان السجود ليس مهما لأن الساجدين الحقيقيين هم الذين يسجدون لله بالروح والحق . ويبدو أن المرأة قد أعجبها ما سمعته فسألته سؤالها الأخير قائلة «أنا أعلم أن المسيا الذي يقال له المسيح يأتي ومتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ» (يو ٤:٢٥) . وهي بهذا كانت تسأله هل أنت المسيح ؟ وهنا نجده يفصح لها عن هويته قائلا «أنا الذي أكلمك هو» (يو ٤:٢٦) وكانت هذه مرة من المرات القليلة التي أفصح فيها يسوع عن هويته لأحد. ونذكر أنه فعل هذا مع الرجل المولود أعمى بعد أن طرده الفريسيون من الهيكل ووجده يسوع في الخارج ، فأقترب منه وقال له «أتؤمن بابن الإنسان» (يو ٩:٣٦) ولما سأله الرجل من هو ياسيد حتى أؤمن به أجابه «أنا الذي أكلمك هو» (يو ٩:٣٧).

وبعد سماعها هذا التصريح الخطير من الرجل الغريب الذي رفضت في البداية أن تعطيه ماء ليشرب ، نجدها تنسى ما جاءت من أجله فتترك جرتها على البئر وتهرع إلى المدينة ربما جريا لتقول للناس بل تبشرهم بأن المسيح قد جاء . وكانت توقف كل من تقابله لتحكي له ما حدث وتنهي كلامها بقولها ألعل هذا هو المسيح ؟ لقد آمنت المرأة السامرية بأن يسوع هو المسيح التى ملأت نبوات مجيئه العهد القديم ، ودعت الناس ليؤمنوا به فكانت

بذلك أول من بشروا بالمسيح خارج حدود يهوذا وقبل أن يتجلي مجده . ونتعجب نحن عندما نقارن بين إيمان هذه المرأة الغريبة وعدم إيمان خاصته الذي جاء لهم أولا .. فنسمعهم يصرخون في وجهه «إصلبه إصلبه». حتى تلاميذه الذين عاشوا معه ثلاثة سنين يستمعون إلى حكمته كل يوم ويشاهدون مئات المعجزات التي صنعها أمام عيونهم ورغم هذا لم يؤمنوا به كالمرأة السامرية وبقية السامريين الذين لم يروا منه معجزة واحدة ولكنهم آمنوا.. كما يقول الكتاب ، بسبب الكلام الذي كلمهم به . لقد حز هذا في نفس السيد المسيح وتحدث عنه عدة مرات مبديا إعجابه بإيمان الغرباء بينما تنكر له أهله وعشيرته ولخص هذا عندما قال يوما «ليس لنبي كرامة في وطنه» (يو ٤:٤٤). لم يحدثنا الكتاب عما حدث في قرية سوخار بعد زيارة المسيح لها. ولكن يمكننا أن نتصور أنه مع التغيرات التي حدثت في المرأة وبقية الذين أمنوا معها، أن المرأة قد استعادت احترام الناس لها وأن بيتها الذي كانت تعيش فيه معيشة بعيدة عن الله أصبح المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون الجدد يتحدثون عن حياتهم الجديدة وعن المسيا الذي سار إليهم برجليه ليهديهم إلى حياة أفضل .. الحياة الأبدية.

٣١- مريم أم القديس مرقس

إحدى النساء الذين اخترناهم هي مريم أم القديس مرقس كاروز الديار المصرية . وقد أخترناها لأنها كانت من أوائل الذين آمنوا بالرب يسوع وفتحت بيتها له ولتلاميذه في مناسبات مختلفة. وقد وهبت بيتها بعد صعود الرب ليصبح أول كنيسة في العهد الجديد.

ومن الطريف أن اسمها لم يذكر في أي أنجيل من الأناجيل الأربعة حتى الذي كتبه أبنها القديس مرقس . ولكن ذكر اسمها لأول مرة في سفر أعمال الرسل عندما وصف القديس لوقا ما حدث لبطرس عندما أطلقه الملاك من السجن وكيف أنه لم يدرك في البداية إذا كان ما رأه حقيقة أم رؤيا . ولكن بعد أن تيقن أن الرب قد أنقذه من السجن «سار حتى جاء إلى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقس حيث كان كثيرون مجتمعين وهم يصلون» (أع ١٢:١٢) ويتضح من هذا أن مريم كانت أرملة لأن لو كان زوجها حيا لذكروا اسمه ونسبوا له البيت . ويبدو أيضا أنها كانت مرتاحة ماديا وإلا لما أستطاعت أن تستضيف هذا العدد من أتباع السيد المسيح . ونلاحظ كذلك أنها أستضافتهم رغم أنهم كانوا خارجين على سلطة رؤساء الكهنة وقادة الشعب ، وهي بهذا قد عرضت نفسها لخطر الاعتقال أو التنكيل . فقد بدأ رؤساء الكهنة والفريسيين في أضطهاد أتباع يسوع الذين ظنوا أنهم حلوا مشكلته بصلبه وموته . ومثل هذه الشجاعة التي أظهرتها مريم لم تكن نادرة في الذين عرفوه وأحبوه فقد تحول حبه في قلوبهم إلى شجاعة نادرة تقف معه شامخة معترفة به أمام كل العواصف والأنواء . وكانت مريم أم القديس مرقس واحدة من هؤلاء الذين لم يبالوا بالخطر الذي يهددهم لأنهم أحبوا الرب يسوع وأستعدوا أن يتألموا من أجله فقد شاهدوا كم تألم هو من أجلهم. وعندما نتأمل في هذا وننظر إلى العالم الذي يحيط بنا وكيف أن هموم العالم ومشاكله أو الإضطهاد تقضي على إيمان الكثيرين وتصرفهم عن محبته . لقد نوه الرب يسوع عن هذا في مثل الزارع الذي خرج ليزرع عندما تحدث عن النوع الثاني من التربة التي لم يكن لها عمق والتي نبتت فيها البذور بسرعة ولكن عندما أشرقت الشمس عليها احترقت. وقد فسر السيد المسيح ما حدث بأن

الشمس هي الصعوبات أو الإضطهادات التي سوف يتعرض لها من يتبعونه ولعدم عمق محبتهم نجد أن هذه الظروف تنجح في قتل الكلمة قبل أن تنمو في قلوبهم . والسؤال الذي ينبغي أن يسأله كل منا لنفسه : ما موقفي في مثل هذه الظروف؟ هل صمدت عندما مرت بي الصدمات؟ هل تزعزع إيماني عندما إضطهدت من أجل أسم الرب أم استمرت محبتي له قوية تتحدي الأنواء والعواصف ؟

نعود لقصة مريم فنجد أن علاقتها بالرب بدأت عندما اختار ابنها الوحيد مرقس ليكون أحد السبعين رسولا الذين أختارهم بعد أختياره للإثني عشر . ولا شك أن مرقس قد شارك أمه الذي كان يحبها في كل ما عاينه من أعمال المسيح وما سمعه من أقواله، خصوصا ما مر به من خبرات جديدة عندما أرسله السيد المسيح مع زميل من السبعين لبعض القري التي كان مزمعا أن يزورها .. ولا يستبعد أن يكون يسوع قد قابل مريم وتحدث معها عن الخلاص المزمع أن يحدث .. وربما زارها في بيتها وتمتع بكرمها وضيافتها . المهم أن مريم نتيجة لكل ما سمعته وما رأته آمنت بالرب يسوع قبل كثيرين ممن عاشوا معه .

ويرجح كثير من المؤرخين أن السيد المسيح قد أكل الفصح الأخير مع تلاميذه في بيت مريم وأنه هو الذي دعي نفسه لأنه كان يعلم عظم محبتها له . وأغلب الظن أن مريم فرحت فرحا عظيما عندما علمت برغبة الرب فأعدت الحجرة العليا (العلية) وجهزت كل ما يتطلبه هذا العشاء الخاص الذي كان يحتفل فيه الشعب اليهودي بعيد الفصح .. وهو العيد الذي كانوا يذكرون فيه صنيع الرب معهم ليلة خروجهم من أرض مصر وكيف أن ملاك الموت مر على بيوت المصريين ليهلك أبكارهم وعبر عن بيوت بني إسرائيل عندما رأي دم خروف الفصح على العارضة والقائمتين .

ولم يخطر على بال مريم أن هذا الفصح سيكون آخر فصح يأكله المخلص وتلاميذه ولم تكن تعرف أن خروف الفصح الحقيقي قد جاء ليُذبح عنا على الصليب من أجل خلاصنا من الموت الذي كتب علينا عندما قال لآدم وحواء أنهما في اليوم الذي يأكلان فيه من شجرة معرفة الخير والشر موتا يموتان .

ويخبرنا الكتاب أن الذين حضروا هذا العشاء الأخير هم يسوع والإثني عشر وأن أحدا من السبعين رسولا لم يدعي لأن يسوع أراد أن يكون هذا اللقاء الأخير لقاء خاصا بينه وبين أخصائه الأثني عشر الذين عاش معهم أغلب الثلاثة سنوات التي قضاها في التبشير بملكوت الله . ويخبرنا كذلك أن يهوذا الأسخريوطي كان موجودا في أول الإجتماع ولكنه لم يكن موجودا في العشاء الرباني عندما أسس الرب سر الأفخارستيا فقد خرج ليقابل رؤساء الكهنة ليساومهم عن الثمن الذي سيدفعونه له مقابل تسليمه ليسوع . هل نستطيع أن نتصور ما خلفته هذه المناسبة في فكر ونفسية مريم وفكر ونفسية القديس مرقس . لا شك أن تلك العلية التي رأت اللحظات الأخيرة من حياة رب المجد الهادئة مع تلاميذه أصبحت مكانا خاصا مقدسا يذخر بالذكريات في نفس مريم ومرقس . ويبدو أنها كانت كذلك بالنسبة للتلاميذ أيضا فقد أختبئوا فيها الأيام التي قضاها المسيح في القبر . وكانوا مجتمعين فيها عندما علموا بقيامته وأقاموا فيها في الأربعين يوما الذي تلت القيامة . وهي المكان الذي ظهر لهم فيه المسيح بعد قيامته مرة بدون توما ومرة أخري ومعهم توما .. وقد رأت العليا المسيح المقام وهو يُرى تلاميذه يديه ورجليه وجنبه ويقنعهم أنه هو وأن الذي في وسطهم ليس روحا بل هو معهم بجسده . وحتى بعد صعوده استمر التلاميذ يجتمعون في هذا المكان مع بعض الذين أعتنقوا الدين الجديد ولهذا سار بطرس إليهم بعد أن أطلقه

الرب من السجن .

إن العلاقة بين مريم وبين تلاميذ المسيح قويت وتوطدت بعد الصعود . فيحدثنا الكتاب عن المحبة الخاصة التي كان القديس بطرس يكنها للقديس مرقس وكيف أنه كان يدعوه ابنه . وقد يكون بطرس هو الذي هداه إلى معرفة الرب يسوع وأن يسلمه حياته ويتبعه . وبعد الصعود استمر مرقس في خدمة الرب فكتب الإنجيل الذي يحمل اسمه وبشر بمفرده في أماكن منها شمال أفريقيا حيث أدخل المسيحية إلى أرض مصر ورسم أول بطاركتها .. وقبل ذلك صاحب بولس وبرنابا في رحلتهما إلى إنطاكية وبافوس وبرجه وبمفيليه وهنا عاد مرقس إلى أورشليم لسبب لم يذكره الكتاب وربما كان لمحبته لأمه وغيابه عنها فترة طويلة . وكان هذا هو السبب الذي من أجله إختلف برنابا مع بولس فصمم بولس ألا يصحبهما مرقس عندما عاد من أورشليم بينما أصر برنابا على مرقس فافترقا وصاحب مرقس برنابا بينما أختار بولس سيلا ورحلا إلى سوريا (أع ١٥) .

ويرجح بعض المؤرخين أن برنابا كان خال القديس مرقس أي أنه كان أخا لمريم وقد كتب القديس لوقا في سفر إعمال الرسل أن برنابا شارك بولس في جهوده التبشيرية لمدة طويلة وكذلك عن بيعه لقطعة أرض كان يملكها وأعطي ثمنها للتلاميذ تلبية لما رأوه في أن حياة الشركة هي الحياة التي ينبغي أن يعيشها المسيحيون ، فكان الكثيرون يبيعون ما يتملكونه ويضعون الثمن عند أقدام الرسل . ويرجح هؤلاء أن مريم قد وهبت منزلها ليكون أول كنيسة في العهد الجديد .

وفي نهاية سيرة هذه القديسة الطاهرة التي ولدت وربت القديس مرقس كاروز الديار المصرية الذي أدخل المسيحية في أرض مصر فأعتنقها أباؤنا وأجدادنا منذ البدء لا يسعنا إلا أن

نعترف لها بالفضل علينا جميعا ونطلب منها أن تتشفع أمام المسيح الذي أحبته من أجل الكنيسة التي أسسها أبنها القديس لعله يفتقد شعبه ويرفع عنه الظلم الذي يعانيه .

٣٢ - مريم أخت لعازر

المرأة التي جلست عند قدمي يسوع

لقد اخترنا مريم أخت لعازر لأنها امتازت بروحانية عالية ولأنها تتلمذت على يد المعلم الأعظم في صمت فأعطتنا درسا نافعا في كيف تكون التلمذة.

لقد ذكر مريم وقصتها أثنان من كاتبي البشائر الأربعة هما القديسان لوقا ويوحنا وكان اسم مريم يقترن دائما بمارثا لأنهما كانتا أخوات لعازر الذي أقامه السيد المسيح من الموت بعد أن مضي له في القبر أربعة أيام.

يكتب القديس لوقا «وفيما هم سائرون دخل قرية فقبلته امرأة اسمها مارثا في بيتها. وكانت لهذه أخت تدعي مريم التي جلست عند قدمي يسوع وكانت تسمع كلامه. وأما مارثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة. فوقفت وقالت للرب أما تبالي أن أختي قد تركتني أخدم وحدي فقل لها أن تعينني. فأجاب يسوع وقال لها مارثا مارثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة. ولكن الحاجة إلى واحد. فاختارت مريم النصيب الصالح الذي لن ينزع منها» (لو ١٠:٣٨-٤٣).

وعندما نتأمل فيما كتبه القديس لوقا نجد أنفسنا نتساءل لماذا كانت مارثا هي الشخص الذي قبل المسيح ودعاه إلى البيت دون أخاها لعازر وهو الشخص الذي كان من مفروضا أن يدعوه؟

ورغم أن الكتاب يذكر أن البيت كان بيت مارثا ويرجح أنها ورثته عن زوجها الثري عندما توفي. ولما كان لعازر ومريم أقل ثراء جمعتهما مارثا في بيتها وتكفلت بهما. ولكن حتى في هذه الظروف لم تكن المرأة العادية لتسمح لنفسها أن تتعدى على حق اخيها في دعوة الرب يسوع. ولكن مارثا لم تكن امرأة عادية ويبدو أنها قد كانت رئيسة العائلة بحكم ثرائها وسنها فقد كانت أكبر الثلاثة. وقد قبل لعازر ومريم هذا الوضع فالمحبة كانت تربطهم جميعا برباط مقدس.

وعندما نتتبع ما حدث نجد أن يسوع وتلاميذه بعد أن استقروا في بيت مرثا أن مريم أخذت مكانا عند رجلي يسوع. فقد كانت العادة أن يجلس المعلم على مكان مرتفع ككرسي أو أريكة ويجلس الشعب على الأرض. ويبدو أن مريم وعائلتها كانوا قد سمعوا عن يسوع أو رأوه واستمعوا له فأحبوه. ولذلك عندما دخل بيتهم سارعت مريم فحجزت المكان الذي عند قدميه حتى لا يحتله أحد تلاميذه أو أحد أفراد الشعب الذين كانوا يتبعونه أينما ذهب. وأن دلنا هذا على شيء إنما يدلنا على حب مريم العظيم للرب يسوع.. الحب الذي أسرها فنسيت واجباتها المنزلية وأهملت مساعدة أختها مارثا في تجهيز ما سوف يقدم له هو وتلاميذه. هل يا تري فكرت مريم في هذا وقارنت بين واجبها نحو أختها ورغبتها في الوجود بالقرب من يسوع؟ أم أنها من فرط محبتها له فضلت أن تبقي بجواره وأن تستمع لأقواله. أغلب الظن أنها لم تفكر بل وجدت نفسها أسيرة للذي أحبته. ونلاحظ هنا أن مريم كانت صامتة طول الوقت تستمع إلى ما قاله الرب يسوع. وحتى عندما اشتكتها أختها مارثا لم تقل شيئا.. بل تركت يسوع يرد بالنيابة عنها.. والصمت من الفضائل التي يحبها الرب في أحبائه، لأن قلة الكلام يصحبها عادة قلة الخطأ. وإن شهوة الكلام شهوة

تصيب الكثيرين وتتبعها كثرة الخطأ. وقد نبه يعقوب الرسول في رسالته إلى الصمت وخطورة اللسان في حياة الإنسان عندما قال «ليكن كل إنسان مسرعا في الاستماع بطيئا في التكلم» (يع ١٩:١) ثم عندما قال «إن كان أحد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضا.. واللسان هو عضو صغير ويفتخر متعظما» (يع ٢:٣-٥) وأيضا عندما قال «أما اللسان فلا يستطيع أحد أن يذله. هو شر لا يضبط نفسه مملوء سما مميتا. به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس.. من الفم الواحد تخرج بركة ولعنة» (يع ٨:٣). لم يذكر الكتاب أن مريم قالت شيئا غير الجملة التي قالتها ليسوع عندما قابلته عند قبر لعازر فقالت له «لو كنت هنا لما مات أخي» (يو ٣٢:١١).

وعندما نقارن بين الاختين نجد أن مارثا اختارت أن تخدم الرب بأن توفر له ما يحتمه عرف الضيافة من حاجات جسدية. وقد يكون الدافع وراء هذا محبتها له وقد يكون رغبتها في أداء الواجب الذي ينعكس عليها ويصفها في نظر الحاضرين بالكرم والعطاء .. أما مريم فقد أختارت أن تجلس عند قدمي المخلص تستمع إلى أقواله وتستمتع بحبه. هذا اهتمام روحي وذاك اهتمام جسدي. ولذلك عندما عاتبت مارثا الرب وشكت له أختها لم يتردد يسوع أن يوضح لها أن اختيارها لم يكن الاختيار الصحيح وأن اهتمامها بالأمور العالمية التي يهتم بها أغلب الناس ليس الاهتمام المطلوب. ومدح مريم لأنها اختارت «النصيب الصالح» فقربنا من الله وجلوسنا تحت قدميه واستماعنا لما يقوله في نظره أفضل من تقديم أجمل وأشهي المأكولات له فقد كُتب أن الله يريد رحمة لا ذبيحة. إنه يريدنا معه نجلس عند قدميه نستمع له ونتمتع بمحبته.. نلاحظ أيضا أنه قال «إن مريم أختارت النصيب الصالح الذي لن ينزع منها» (لو ٤٢:١٠) وهو بهذا قد تنبأ بأن مريم لن ترتد عن

الإيمان به، ولن يستطيع العالم بمادياته وملذاته ان ينزع من قلبها محبتها له.

يخبرنا الكتاب أيضا عن موت لعازر ودور الأختين في هذه المعجزة الفريدة فقد مرض لعازر وأرسلت الأختان للسيد المسيح يخبرانه أن الذي يحبه مريض. ولم يهرع يسوع إلى بيت عنيا ليشفي لعازر بل مكث في الموضع الذي كان به يومين، وبعد ذلك ذهب إلى اليهودية ومكث بها بضعة أيام كان لعازر قد مات في أثنائها وأخيرا ذهب هو وتلاميذه ليقيمه من الموت. لا شك أن الاختين كانتا متحيرتين في السبب الذي من أجله تأخر يسوع في المجئ فقد كان أملهما قويا أن يأتي قبل موته ليشفيه. ولكنه لم يأت. وقد يكونا شعرا أن هذه إرادة الله فقبلاها. ولكن عدم حضوره الجنازة حز في نفسيهما، وقد أنعكس في تصرفاتهما عند حضوره. وهنا نرى فرقا آخر بين مريم ومرثا. يخبرنا الكتاب أنه عندما علمت الأختان بأن يسوع في طريقه إليهما قامت مارثا لتقابله قبل أن يصل بينما بقيت مريم في المنزل. ما السبب؟ لا نعلم نحن نعلم أن روحانية ومحبة مريم كانت أقوى من روحانية ومحبة مارثا فلماذا بقيت في المنزل بينما هرعت مارثا لمقابلته؟ هناك احتمالان أولهما أن مارثا بحكم مركزها كرئيسة للعائلة رأت أن من واجبها أن تقابل يسوع وأن تعاتبه على تأخيره.. والثاني أن محبة مريم العظيمة ليسوع علمتها أن تتقبل كل ما يفعله وأن هناك سببا قويا وراء تأخيره ومن هي حتى تعاتب الرب؟ فتركت مارثا تقوم بهذه المهمة الثقيلة ولم ترد أن ترى هذه المواجهة. يخبرنا الكتاب أن مارثا عندما رأت يسوع بادرته بقولها «لو كنت هنا لما مات أخي» (يو ١١:٢١) وبعد أن أكد لها يسوع أن أخاها سيقوم سأل عن مريم فأرسلوا يستدعونها. فلما جاءت قالت ليسوع نفس ما قالته مارثا ولكنها قالته راكعة ساجدة فقد

خرت عند رجليه. بينما كلمته مارثا دون أن تركع أو تسجد. بعد ذلك أقام يسوع لعازر من الموت وكان سببا من الأسباب التي أسرعت تفكير رؤساء الكهنة وقادة الشعب في التخلص من يسوع لأن كثيرين آمنوا به عندما علموا بإقامته لعازر.

يذكر الكتاب أيضا واقعة أخرى عن مريم وعلاقتها بالسيد المسيح. فقد ذكر القديس يوحنا أنها سكبت قارورة طيب كثيرة الثمن على رجلي يسوع ومسحتهما بشعر رأسها وأن يهوذا الإسخريوطي قد انتقد ما صنعته وقال إن هذا الطيب كان يمكن أن يباع ويعطي ثمنه للفقراء. ولكن يسوع مدح ما فعلته وقال لهم إنها ليوم تكفيني صنعت هذا. وقد ورد في اثنين من الأناجيل الأخرى واقعة أخرى مماثلة لهذه حدثت في بيت سمعان الأبرص عندما صبت امرأة الطيب الثمين على رجلي المسيح وأنتقد الحاضرون عملها أما يسوع فمدح ما فعلته, وقد استنتج بعض دارسي الكتاب أن الحادثتين غالبا حادثة واحدة. أما القديس لوقا فقد كتب عن حادثة مماثلة حدثت في بيت فريسي أسمه سمعان (ولم يكن هذا أبرصا). وكان سمعان قد دعي يسوع ليتعشي معه ودعا عددا من الفريسيين ليستمعوا من المعلم الجديد لعلهم يستطيعون أن يصطادوه بفخ من فخاخهم. وبينما هم على مائدة العشاء إذا بامرأة تدخل وتسكب قارورة طيب على قدمي المسيح وتمسحهما بشعر رأسها. هذه المرة لم يذكر أن أحد التلاميذ اعترض على ما فعلت ولكن ذكر أن سمعان وأصدقائه حكموا على يسوع أنه ليس نبيا لأنه لو كان لعلم أن المرأة التي لمسته خاطئة. وعندما علم الرب أفكارهم علمهم درسا في المحبة والغفران. المهم أن بعض المفسرين يرجحون أن تكون هذه المرأة هي مريم المجدلية وهو زعم لا ترجحة الأدلة فلم يذكر الكتاب ان المجدلية كانت امرأة خاطئة بل ذكر أنه كان بها أرواح شريرة وأن

يسوع قد أخرجهم منها. ويرجح آخرون أن هذه المرأة هي مريم أخت لعازر. ولكن هذا الزعم أيضا غير صحيح فمريم لم تكن امرأة خاطئة. ويرجح العلامة أوريجانوس أن ثلاثة نساء سكبن الطيب على السيد المسيح واحدة خاطئة هي التي تحدث عنها القديس لوقا في بيت سمعان الفريسي ومريم أخت لعازر في منزل مارثا أختها وأخرى لم يسمها الكتاب في بيت سمعان الأبرص. على أي الحالات من الثابت أن مريم أخت مارثا قد فعلت هذا بالرب بعد إقامته لأخيها من الموت فأحبت أن تشكره على ما صنع بهذه الطريقة فاستحقت أن تمدح من الرب وأن يوصي أنه «حيثما يكرز بالإنجيل في كل العالم يخبر أيضا بما فعلته تذكارا لها» (مر ١٤:١٩).

هنيأ لك يا مريم بمحبة الرب يسوع الذي له المجد والكرامة من الآن وإلى الأبد آمين.

٣٣ - المرأة الكنعانية

المرأة الكنعانية كانت من أوائل النساء الأمميات اللاتي آمن بالسيد المسيح رغم أنها لم تعرف الله قبل إيمانها به . وقد ذكر قصتها كل من القديسين متى ومرقس ، فقد جاء في إنجيل مرقس أن «يسوع مضي إلى تخوم صور وصيدا ، ودخل بيتا وهو يريد أن لا يعلم أحد . فلم يقدر أن يختفي لأن امرأة كان بابنتها روح نجس سمعت به فأتت وخرت عند قدميه. وكانت المرأة أممية وفي جنسها فينيقية سورية . فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها» (مر ٧:٢٤-٢٦). أما القديس متى فيروي القصة قائلا «ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا ، وإذا امرأة

كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة «ارحمني يا سيد يا ابن داود. ابنتي مجنونة جدا» (مت ١٥:٢١ ، ٢٢).

ونلاحظ أن القديس مرقس وصفها بأنها فينيقية سورية بينما وصفها القديس متى بأنها كنعانية. وقد يبدو لأول وهلة أن هناك تناقضا بين القصتين ولكن الحقيقة أنه ليس هناك تناقض لأن المرأة كانت من أصل فينيقي سوري ولكنها كانت تعيش في منطقة صور وصيدا ، وهي من المناطق التي أطلق عليها الشعب اليهودي أسم كنعان ولذلك سماها القديس متى المرأة الكنعانية ، المهم أن السيد المسيح وتلاميذه جاءوا لهذه المنطقة طلبا للراحة وكانوا يريدون الاختفاء عن الجماهير فترة والسبب أنهم عندما كانوا في كفر ناحوم أمضى الرب يوما كاملا يشفي أمراض الذين أحضروهم له. وبعد ذلك جاء إليه عدد من الكتبة والفرنسيين من أورشليم ليسألوه عن بعض تصرفات تلاميذه التي أعتبروها خاطئة. وقد ذكر القديس متى أنهم سألوه «لماذا يتعدي تلاميذك تقليد الشيوخ فأنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزا» (مت ١٥:١). وقد رد عليهم السيد المسيح قائلا أن تقليد الشيوخ ليس دائما حسب وصايا الله لأن الله «أوصى قائلا أكرم أباك وأمك ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا. أما أنتم فتقولون من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذي تنتفع به مني فلا يكرم أباه أو أمه . فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم» (مت ١٥:٦) . وكان الرب يقول لهم أن الشيوخ قد أفتوا أن من يقدم قربانا أو ذبيحة ليس عليه أن يكرم أباه وأمه . وطبعا طالت المناقشة بين المسيح وسائليه وانتهت بعدم إقتناعهم . فبعد هذا اليوم المشحون بالعمل والمناقشات الغير مجدية رأى المسيح أن يذهب إلى مكان يستجم فيه فرحل هو وتلاميذه إلى منطقة صور وصيدا. ولكن المرأة الكنعانية سمعت أنه هناك فذهبت إليه طالبة منه أن يشفي ابنتها . إلى هنا لا نجد

شيئا غير عادي في قصة هذه المرأة التي طلبت من الرب يسوع أن يشفي ابنتها شأنها في هذا شأن المئات الذين طلبوا منه نفس الطلب . ولكن عندما نتابع ما حدث بعد ذلك نجد أن ما حدث لم يكن عاديا بل وقد يدعونا إلى العجب والتساؤل . نتابع القصة فيما كتبه القديس متى فنجد أنه بعد أن طلبت المرأة من يسوع أن يشفي ابنتها من جنونها ، أنه لم يعرها إنتباهه . وقبل أن نتابع بقية ما حدث جدير بنا أن نذكر أن المرأة خرت عند قدميه ، وأنها خاطبته يا سيد يا أبن داود ، وهي بهذا قد أظهرت خضوعها واحترامها وكذلك معرفتها بأنه المسيا المنتظر . ونسأل من اين جاءت بكل هذا ؟ لا يحتمل أنها قرأت العهد القديم وما جاء به من نبوات عن المسيا المنتظر وأنه سوف يأتي من نسل داود . أغلب الظن أن صيته كان قد وصل إلى المنطقة وأن لقب ابن داود كان من الألقاب القليلة التي التصقت به. ولكن ما يلفت النظر فيما قالته أنها كانت تؤمن بما قالته وإلا لما لجأت إليه ليشفي ابنتها .. وقد اعترف السيد المسيح بإيمانها في النهاية وشفي ابنتها.

نعود للقصة فنجد أن السيد المسيح لم يجبها بكلمة . وكان هذا تصرفا غريبا من رب المجد الذي لم يرفض أحدا طلب منه الشفاء من قبل . فلماذا تجاهل طلب هذه المرأة ولم يعرها إهتماما؟ ولكن يبدو أن المرأة لم تقتنع أنه لا يريد شفاء أبنتها فألحت وتوسلت وطلبت عدة مرات ولما لم تجد من يسوع قبولا ذهبت لتلاميذه تكرر طلبها مرات عديدة لدرجة أنها أزعجتهم فذهبوا للسيد يرجونه أن يصرفها وأن يشفي ابنتها . يخبرنا الكتاب أنه رد عليهم قائلا : «لم أُرسل إلا إلى خراف بني إسرائيل الضالة». (مت ١٥:٢٤) . وكانت المرأة تنتظر نتيجة شفاعة التلاميذ من أجلها وسمعت ما قاله السيد . ولم يثبط هذا من عزيمتها ولم يثنها عن طلبها فأتت وسجدت له وقالت له يا سيد أعني. فرد

عليها الرب يسوع «ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب» (متى ١٥:٢٦) وهنا نقف ونتساءل لماذا قال الرب ما قاله لهذه المرأة ؟ وقد يحكم البعض أن ما قاله ينطوي على قسوة لم نتصورها من رب المجد رغم أن اليهود كانوا يطلقون على الأممين لقب «كلب» بدون أن يعنوا ما تعنيه الكلمة اليوم . يبدو أن الرب فعل هذا ليختبر إيمان المرأة . ويرد البعض على هذا بأنه كان يعلم قوة إيمانها فلماذا اختبرها . والرد على هذا أن الرب أراد أن يظهر لتلاميذه قوة إيمان المرأة ليعطيها حقها كاملا ولكي يعطينا نحن درسا في الإيمان . لقد كان امتحانا صعبا جازته المرأة بنجاح فائق فقد ردت عليه قائلة : «نعم يا سيد والكلاب أيضا تأكل من الفتات التي تسقط من مائدة أربابها» (مت ١٥:٢٧) .

نلاحظ في ردها الرائع عدة نقاط . أولها أنها لم تناقشه فيما قاله بل وافقت عليه وكان هذا راجعا لعدة عوامل منها تواضعها الذي لا ينكر ، ثم ألمها الشديد لما تعانيه ابنتها وكذلك محبتها القوية التي دعتها إلى احتمال ما قاله السيد المسيح بنفس راضية. كذلك إيمانها العظيم فقد كانت واثقة أنه الوحيد الذي في استطاعته أن يشفي ابنتها . كل هذه دروس نافعة تعلمنا إياها هذه المرأة الأممية .

فالمحبة والتواضع والإيمان من الصفات المحببة لله وقد تحدث عنها الرب يسوع عشرات المرات للشعب الذي أحبه ولكنهم لم يستمعوا وها هي امرأة غريبة من شعب يعبد البعل والعشتاروت تظهر هذه الصفات النادرة في تصرفاتها . إن حكمة هذه المرأة أكسبتها اعجاب المخلص ولذلك عندما نظرت إليه بعد أن قالت ما قالته لم تجد في وجهه القسوة التي اقترحتها كلماته ولم تجد الرفض الذي أعلنته وفاه به ، بل رأت في وجهه أشراقة المحبة وابتسامة الإعجاب والتقدير . وأخيرا سمعت ما أثلج صدرها

وأعاد لها سلامها «يا امرأة عظيم إيمانك ليكن لك كما تريدين». (مت ١٥:٢٨) .

أخيرا إن قصة هذه المرأة تعلمنا درسا مهما في الصلاة الغير مستجابة وكيف نتعامل معها. إننا جميعا قد أختبرنا هذه الظاهرة في صلواتنا . فالله لا يستجيب لكل ما نطلب . وليس هذا المجال لشرح الأسباب التي يمكن أن تتسبب في هذا . ولكننا نود أن نقول أن لجاجة هذه المرأة رغم رفض السيد المسيح في البداية هو الحل الذي ينبغي أن نلجأ إليه عندما نشعر أن بعض صلواتنا لم يستجيب لها الرب فقد أوصانا أن نصلي كل حين ولا نمل .

٣٤ - المرأة التى بكت على قدمي يسوع

لقد اخترنا المرأة التي بكت على قدمي يسوع لأنها قدمت لنا مثالا يحتذى في التوبة الحقيقية والمحبة التي تصحبها نحو ذلك الذى يغفر الخطايا. ومن الطريف أن القديس لوقا هو الوحيد الذي كتب قصة هذه المرأة ولم يذكر أسمها ولكنه عرفها بكلمة «الخاطئة» .. وقد يفكر البعض أن هذا اللقب يمكن أن يطلق على أى امرأة وأي رجل فالكل ولد في الخطيئة والكل أخطأ . ولكن ما قصده القديس لوقا أن هذه المرأة كانت خاطئة وأن خطيتها كانت أهم صفاتها أي أن خطاياها كانت كثيرة وأنها عاشت في الخطية فقد كانت عاهرة وضحاياها كثيرين وكان كل من سكن في ناين يعلم بسيرتها .

وقد بدأ لوقا البشير القصة بأن ذكر أن واحدا من الفريسيين سأل يسوع أن يأكل معه فدخل بيت الفريسي واتكأ (لو ٧:٣٦)

كان هذا في بدء خدمته وكان قد بدأ صيته ينتشر وبدأ الكتبة والفريسيون ينتبهون إلى أعماله وتعاليمه ويتساءلون عن هويته . ولذلك دعاه سمعان أحدهم ودعى معه عددا من زملائه الفريسيين ليستمعوا له بأنفسهم حتى يستطيعوا أن يحكموا عليه .. هل هو من الله أم لا . فقبل يسوع الدعوة ، رغم علمه بما ينتظره من فحص أو محاولات لاصطياده بكلمة فقد كان له غرضان من هذه الزيارة أولها أن يمنح المرأة الخاطئة الغفران الذى كانت تتوق نفسها إليه. ثانيا أن يبكت ضمير هؤلاء الفريسيين المتكبرين لعلهم يتوبون عن خطاياهم ويتنكرون لكبريائهم . لقد انتقده هؤلاء لاختلاطه بالخطاة وعندما دخل ليجتمع معهم لم يشعر أحدا منهم أن يسوع يختلط مرة أخرى بالخطاة ولكن عندما دخلت الخاطئة وصنعت ما صنعته اشمئز الجميع وحكموا عليه أنه ليس نبيا لأنه لم يعلم أن التى لمسته امرأة خاطئة . إن يسوع قال مرارا أنه جاء لينقذ الخطاة ولذلك كان لابد له أن يختلط بهم وأن يذهب إلى حيث هم .

نلاحظ أيضا أنه دُعى لعدة ولائم منها هذه الوليمة والوليمة التى أقامها له القديس متى بعد أن دعاه .. وكذلك التى أقامها له زكا رئيس العشارين والتى أقامتها مريم أخت لعازر . ورغم أنه لم يكن يسعى وراء هذه الولائم إلا أنه أيضا لم يرفض أياً منها .. فكان يحب أن يأكل مع الخطاة ويتحدث إليهم ويدعوهم للتوبة .. وعندما انتقده الكتبة والفريسيون لم يبالي فقد كان يحب الخطاة ويدعوهم للتوبة رغم كراهيته الشديدة للخطيئة وكان إختلاطه بهم دليلا على تواضعه فلم يتعالى عليهم كما تعالى الكتبة والفريسيين.

نعود لقصة المرأة الخاطئة .. ويستأنف القديس لوقا القصة بأن يقول : «وإذا امرأة في المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكئ في بيت الفريسي جاءت بقارورة طيب ووقفت عند قدميه من ورائه

باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب» (لو ٧:٣٧–٣٩) إن أول ما يلفت النظر فيما حدث هو جرأة المرأة ، فقد دخلت غير مدعوة إلى بيت أحد الفريسيين وهي امرأة خاطئة ومعروفة للجميع وهى تعلم جيدا أن هؤلاء القادة المتكبرين يحتقرون من كان خاطئا مثلها ومن الممكن أن تتعرض لإهانات كثيرة منها الأزدراء والشتم والأذي الجسدي والطرد ولكنها لم تبال . فقد كان كل ما فكرت فيه هو توبتها وإعلانها للسيد المسيح بالطريقة التى وصفها القديس لوقا لإيمانها لأنه هو الوحيد القادر أن يغفر لها وأن يفتح صفحة جديدة في حياتها .. ولكن لم يحدث لها شيئا مما فكرت فيه ولا عجب فقد كانت في حماية الرب الذى أتت لتتوب على قدميه .

إن هذه التوبة التى أعلنتها المرأة لجميع الحاضرين في هذه الوليمة لم تكن وليدة الساعة بل كانت نتيجة لتأملات كثيرة وربما جلسات عديدة مع نفسها . فقد استعرضت حياتها السوداء وقارنتها بحياة يسوع الطاهرة وتمنت لو أن طهارته نضحت عليها فتغيرها إلى طهارة تملأ قلبها فرحا وسلاما. وكما قام الأبن الضال وذهب إلى أبيه عائدا إلى حضنه كذلك صممت هذه المرأة أن تقوم وأن تذهب إلى يسوع لتخبره عن توبتها ولم تبالي أنه في بيت سمعان الفريسي فاقتحمت بيته حيث كان يسوع متكئا .

وعندما رأته على أحد الأرائك جاءت من خلفه وركعت عند قدميه وبدأت تخاطبه وتحدثه عن اسفها لما أرتكبته من خطايا .. لم تقل كلمة واحدة بل دعت دموعها تنقل ليسوع كل ما أرادت أن تقوله عن حياتها .. وكلما بكت كلما شعرت أن دموعها تقربها شيئا فشيئا إلى الطهارة التى كانت تتمناها وأن هذه الدموع قد غسلت ضميرها وماضيها المشين من خطاياها وأحلت محلها سلاما عجيبا ملأ كيانها .. ذلك السلام الذى وعد السيد المسيح

به أولاده في كل مكان وزمان .

أغلب الظن أن هذه المرأة قد سمعت عن يسوع أو قد رأته وهو يتحدث عن حب الله للبشر واستعداده للصفح عن خطاياهم إذا هم تابوا عنها .. وبما أنها كانت من قرية نايين فقد تكون سمعت عن أبن الأرملة الذي أقامه يسوع دون أن يسأله أحد وكيف أنه تحنن على أمه وقد تكون تبعته وسمعته يحكي مثل الابن الضال والدور الذى لعبه الأب في ذلك المثل وكيف أنه سامح ابنه عندما عاد إليه وأرجعه إلى رتبته الأولى وقد تكون تأثرت كثيرا بما قاله الابن عندما قابل أباه «أخطأت في السماء وقدامك ولست مستحقا أن أدعي لك ابنا» وصممت أن تذهب هي الأخرى إلى ربها المتكئ في بيت سمعان لتعترف بخطاياها ولتقول له بطريقتها الخاصة «أخطأت في السماء وقدامك ولست مستحقة أن أكون لك ابنه».

وعندما نتأمل فيما صنعته هذه المرأة الخاطئة نجد أن توبتها كانت كاملة فقد بدأت بأن سكبت قلبها أمام الرب وعبرت دموعها الكثيرة عن ندمها الحقيقي عما ارتكبته من خطايا فبكت على رجليه ثم مسحتهما بشعر رأسها .. هذا الشعر الذى كان من أهم أسلحتها لإغراء ضحاياها عندما كانت تغسله وتمشطه وتصنع منه تاجا جميلا يتوج رأسها .. استعملته في توبتها استعمالا جديدا .. فقد مسحت به قدمي المخلص . كذلك عيناها التى كانت تجملهما بالكحل لإغراء الرجال استعملتهما لتبكي بهما على خطاياها وبدلا من الكحل الأسود الذي كان يظهر جمالها ، أصبح الحَمار لونهما والحزن يملأهما ندما على حياتها الماضية. وقد توجت هذا بأن سكبت قارورة طيب على قدمى المخلص ، هذا الطيب الذى كان وسيلتها الأخيرة في إيقاع الرجال في حبالها قدمته هدية متواضعة للرب يسوع عربانا لتوبتها وإعلانا عن أسفها لنوع المعيشة التي عاشتها.

نلاحظ أن يسوع قبل كل هذا بصدر رحب ولم يعترض عليه فالسماء تفرح بخاطئ واحد يتوب . وليس أحب إلى الله من رؤيته لخاطئ يرجع عن حياته الخاطئة ويعود إلى حضن الآب . فهو الراعي الصالح الذي يفرح برجوع أحد خرافه الضالة فيقبله ويحمله على منكبيه فرحا . ولكن كان وقع هذا على سمعان الفريسى وأصحابه الذين دعاهم ليختبروا يسوع مختلفا اختلافا تاما. فقد نظروا إلى المرأة الخاطئة وهى تقتحم المنزل غير مدعوة وشاهدوها وهى تلمس يسوع دون أن ينتهرها أو يأمرها بالابتعاد عنه فاشمئزوا لما رأوا وحكموا دون أن يسألوه سؤالا واحدا أنه ليس من الله لأنه لو كان يعلم أن التى لمسته امرأة خاطئة لما سمح لها بأن تفعل ما فعلت .

كان ممكنا أن تنتهي القصة عند هذا وأن ينصرف يسوع بعد أن يغفر للمرأة خطاياها .. ولكنه رأي أن يضع لها نهاية أخرى ، فقد كان يعلم أن أجيالا كثيرة سوف تقرأها ورأى أن هذه فرصة لكي يعلم هذه الأجيال درسا في التوبة وفي نفس الوقت يعلم سمعان وأصدقائه الفريسيين الدرس ذاته فالتفت إلى سمعان بعد أن علم بحكمهم عليه وقال له «يا سمعان عندى شئ أقوله لك» فنظر سمعان إلى رفاقه وكأنه يقول لهم «ها هو المذنب يحاول أن يدافع عن نفسه .. فما عساه يستطيع أن يقول» فرد عليه سمعان قائلا «قل يا معلم» فقال له الرب «كان لمداين مديونان على الواحد خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسين .. وإذ لم يكن لديهما ما يوفيان به سامحهما جميعا فقل أيهما يكون أكثر حبا له» (لو ٧:٤٢) .

هنا يُرجح أن سمعان نظر إلى رفاقه مرة ثانية وكأنه يقول لهم وما علاقة هذا بما فعلته المرأة وقبوله لها . ونظر سمعان إلى يسوع وقال «أظن أن الذي سامحه بالأكثر» (لو ٧:٤٣) . وهنا نظر

يسوع إلى المرأة التى أدانها سمعان ورفاقه وبررها لتوبتها فقال «اتنظر هذه المرأة . إني دخلت بيتك وماء لرجلي لم تعط . وأما هي فقد غسلت رجلي بالدموع ومسحتهما بشعر رأسها . قبلة لم تقبلني. وأما هي فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلي . بزيت لم تدهن رأسي . أما هي فقد دهنت بالطيب رجلي . من أجل ذلك أقول لك قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا . والذى يغفر له قليل يحب قليلا . ثم قال لها مغفورة لها خطاياك» (لو ٧:٤٤-٤٩) .

لقد غضب سمعان مما سمعه من المخلص فقد أتهمه هو وأصدقائه بالبر الذاتي الذي يترتب عليه شعورهم بعدم حاجتهم إلى التوبة وعدم محبة الله ، أما المرأة فقد أسعدها ما سمعته وأثلج صدرها أن توبتها قد قبلت وأن خطاياها قد غفرت . وعندما ختم السيد المسيح القصة بقوله «إيمانك قد خلصك إذهبي بسلام» (لو ٧:٥٠) انصرفت المرأة التى بدأت ليلتها وهى تعيش في ظلام الخطية وأنهتها وهى تتمتع بنور النعمة الذى لم تعرفه كل حياتها .. والذى عاشت فيه بقية أيامها على الأرض .

إن المسيح له المجد تحدث عن هذا عندما قال يوما للجموع أن الزناة سوف يدخلون ملكوت السماوات بينما لن يدخلها الفريسيون. وقد كانت هذه المرأة من أوائل من انطبق عليهم كلام رب المجد فقد دخلت السماوات بينما لم يدخلها سمعان ورفاقه.

٣٥ - يونا
المرأة التي أحبت الرب فخدمته ولازمته حتى الصليب والقيامة

يونا التي اسمها هو المؤنث لاسم يوحنا ومعناه الله الحنون هي السيدة الثرية التي آمنت بالرب يسوع فخدمته ولازمته حتى

رأته مصلوبا وعاينت قيامته وبشرت بها . وقد اخترناها لأنها من النساء القلائل اللاتي ألتصقن بالمخلص أثناء حياته على الأرض حتى في أحلك ساعاته فأعطتنا مثالا يحتذى للإيمان القوي والمحبة التي لا تفتر في حياة من يعرفون الله .

وقد ورد ذكر يونا في إنجيل القديس لوقا ثلاث مرات . أولها عندما كتب «أنه بينما كان الرب يسير في مدينة (لم يذكر لوقا اسمها) أن بعض النساء (اللاتي) كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض . مريم المجدلية التي أخرج منها سبعة شياطين ، ويونا أمراة خوزي وكيل هيرودس (الملك) وسوسنة وآخر كثيرات كن يخدمنه من أموالهن» (لو ٨:٢ ، ٣) . من هذا يتضح لنا أن الرب أخرج من المجدلية سبعة أرواح شريرة أما يونا فلا نعلم إذا كان قد شفاها من مرض عادي أو أخرج منها أرواح شريرة . على أي حال يبدو أن يونا كانت تعاني من مرض خطير حار في علاجه أحسن الأطباء الذين حاولوا علاجها فقد كانت كما قلنا غينة وقادرة أن تدفع لهم . ولذلك عندما شفاها الطبيب الأعظم آمنت به وتبعته في بعض تنقلاته واشتركت مع أخريات في توفير حاجاته هو وتلاميذه من أموالها . ويرجح بعض المؤرخين أن هذه لم تكن المرة الأولي التي يمس فيها السيد المسيح حياة هذه العائلة الارستقراطية فهؤلاء يقولون أن قصة الشفاء التي تحدث عنها القديس يوحنا في الأصحاح الرابع من الإنجيل المسمي باسمه كانت لابن يونا رغم أن الكتاب لم يذكر أسمها ولا أسم زوجها بل وصفه أنه خادم الملك عندما كتب «وكان خادم للملك ابنه مريض في كفر ناحوم . هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل إنطلق إليه وسأله أن ينزل ويشفي ابنه لأنه كان مشرفا على الموت» (يو ٤:٤٦ ، ٤٧) . وقد لبي يسوع طلبه وأخبره أن ابنه حي . إلى هنا ليس هناك ما يدل على أن هذا الأب ليس إلا خادم

في قصر الملك ولكن عندما نقرأ ما كتبه القديس يوحنا يتضح لنا الأمر فقد كتب «وفيما هو (الأب) راجع إلى بيته استقبله عبيده وأخبروه أن أبنه حي» (يو ٤:٥١) وهذا يدل على أن الأب كان ذو مركز كبير في قصر هيرودس الملك ويرجحون أنه هو خوزي زوج يونا وأن الابن الذي شفاه يسوع هو ابنهما . ويخبرنا القديس لوقا أن خوزي كان وكيل هيرودس الملك وأنه كان المتصرف الأول في قصره فقد كان الملك يثق فيه وفي نزاهته وقدرته فوكله على كل أعماله . وطبعا كان يجزل له العطاء وقد يكون هذا هو السبب في ثراء يونا وقدرتها المالية . وعندما نتأمل في مركز زوجها في قصر هيرودس الملك الذي كان معروفا بعدائه ليوحنا المعمدان وليسوع أيضا ، وحقيقة إيمان زوجته بيسوع وغالبا بيوحنا من قبله تعجبنا وسألنا ماذا كان موقفها هي وزوجها عندما قبض هيرودس على يوحنا وأودعه السجن ؟ وماذا فعلا عندما أمر بأن تُقطع رأسه ؟ كيف استمر خوزي في منصبه بعد ذلك ؟ هل كان يشارك زوجته في إيمانها أم لا ؟ فإذا كان موقفه مختلفا عن زوجته في هذه الأمور، هل اتخذ هذا الموقف خوفا من هيرودس أو تملقا له أم أنه كان مؤمنا كزوجته ولكنه أخفى هذا عن الملك لأنه فهم أن هيرودس كان يخشي يوحنا وأنه قتله عندما تورط في وعده لسالومة بنت هيروديا عندما رقصت في عيد ميلاده وكانت الخمر قد لعبت بعقله . وقد يكون هيرودس علم بإيمان يونا وعلاقتها بالرب يسوع ولكن خوفه الذي أظهره في حياة يوحنا وبعد موته منعه من أن يتخذ أي إجراء ضدها أو ضد زوجها . ومن الأسئلة الحائرة التي نسألها هنا كذلك هل جاهرت يونا بإيمانها في قصر هيرودس؟ لم يخبرنا الكتاب شيئا عن هذا . ولكن عندما نستعرض حياة عددا كبيرا من الذين أمنوا بالرب يسوع نجد أنهم جميعا تحدثوا عن إيمانهم بحماس وقوة أدت في كثير من الأحيان إلى

إستشهادهم ولذلك نرجح أن يونا غالبا تحدثت مع كثيرين ممن عملوا في القصر عن يسوع ومحبته ومعجزاته وتعاليمه . وقد يكون هذا وصل إلى مسامع هيرودس وعمَق خوفه من المسيح . لقد اوصى الرب تلاميذه وأوصانا جميعا أن نبشر بكلمة الخلاص بكل وسيلة لدينا عندما قال «أنهم لا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيئ لجميع الذين في البيت» (متى ٥:١٥) والسؤال الذي ينبغي أن يسأله كل منا : هل نحن نفعل هذا؟ هل نحدث الآخرين عما فعله الرب في حياتنا؟ هل نبشر الآخرين الذين لا إيمان لهم ونشرح لهم ما صنعه الرب من أجلهم؟ هل ننقل لهم معنى محبته لنا وتضحايته من أجلنا بمحبتنا وتضحايتنا من أجل الآخرين حتى لو كانوا أعداءنا؟ إن يونا هنا تعلمنا درسا في الشجاعة بإعلان إيمانها بالذي أحبها فقد بشرت بالرب يسوع في بيئة معادية ، في قصر هيرودس الذي كان يكرهه ولا يجد غضاضة في الاستهزاء به عندما أرسله بيلاطس له بعد القبض عليه .

نعود لقصة يونا فنجد أن ذكرها يأتي مرة ثانية في أنجيل لوقا عندما حكي القديس عن صلب المسيح فقد كتب «وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وضع جسده. فرجعن وأعددن حنوطا وأطيابا» (لو ٢٣:٥٥) ورغم أنه لم يذكر يونا بالاسم إلا أنه ذكر أسمها عندما كتب عن قيامته قائلا «أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذي أعددنه» (يو ٢٤:١) ثم أضاف أنه لما قال الملاك لهن أنه قام من الأموات كما قال «فتذكرون كلامه ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله . وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن قلن هذا للرسل» (لو ٢٤:٨– ١٠) .

من هنا نرى أن محبة يونا للسيد المسيح لم تفتر حتى بعد أن

رأت يهوذا يخونه ويسلمه وبطرس ينكره وبقية تلاميذه يتركوه خوفا من اليهود . وهنا يجب علينا أن نشير إلى أن الذين لازموه وكانوا معه حتى النهاية بجانب يوحنا الحبيب والعذراء مريم هم مجموعة النساء اللاتي أحببنه ومنهن يونا زوجة خوزي وكيل الملك هيرودس . إنها المحبة القوية التي لا تنفصل ولا تتخلى عمن تحبه حتى وهو في أضعف حالاته وأحلك ساعاته . ورغم أن السيد المسيح حذر تلاميذه ليلة الجمعة العظيمة وهم يأكلون الفصح ألا يفقدوا إيمانهم به عندما يرونه مقبوضا عليه مهانا من الجميع وأخيرا مصلوبا كأحد المجرمين ، إلا أنهم هجروه ولاذوا بالفرار في الساعة التي كان من الواجب أن يكونوا حوله فتركوه وحده ولكنه لم يكن وحده فقد كان الآب معه . ولم يذكر الكتاب أن يسوع حذر هؤلاء النسوة كما حذر تلاميذه ولكنهم إلتصقوا به معلنين محبتهم له أمام الجميع . لا شك أن يسوع قد قدر لهن شجاعتهن وصمودهن فذكرت أسمائهن في الإنجيل أعترافا بما صنعن ولكن أهم من هذا أن أسماءهن قد كتبت في سفر الحياة . إن حزن هؤلاء النسوة عندما عاين كل ما تعرض له السيد المسيح من ألم وعذاب لا يحتمل قد أنقلب إلى فرح عندما أخبرهن الملاك أنه قد قام . وذهبن بفرح ليخبرن تلاميذه . لقد بشرن التلاميذ بأهم خبر في تاريخ البشرية ، أن المسيح غلب الموت وانتصر على الشيطان وأرجع البشرية إلى حضن الأب. يالها من مكافأة ويالها من فرحة لونت الباقي من حياتهن . لم يخبرنا الكتاب عما إذا كان الرب قد ظهر ليونا والأخريات كما ظهر لمريم المجدلية . وليس مستعبدا أن يكون قد كافأهن بظهوره لهن فقد مكث على الأرض أربعين يوما يظهر لرسله وتلاميذه ولا أظن أنه حرم من هذه الرؤية النسوة اللاتي وقفن معه في محنته وأحببنه حتى النهاية وقبل أن نختم قصة هذه المرأة ومحبتها للرب جدير بنا أن نذكر أن بعض المؤرخين

يقولون أن خوزي قد فقد مركزه في قصر هيرودس بسبب إيمان امرأته وربما إيمانه هو أيضا بيسوع ولأنهما حاولا نشر هذا الإيمان في القصر. وهما بهذا قد استحقا أن يستمتعا بالتطويب الذي وعد به السيد المسيح كل من يضطهدون من أجله عندما قال في الموعظة على الجبل «طوبي لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين . أفرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات . فأنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم» (مت ٥:١١ ، ١٢) .

٣٦ - طابيثا

المرأة التي أقامها الرب بعد الموت

هذه هي طابيثا وقد أخترناها لأنها عاشت حياة الخدمة الصامتة وقد أحبها الرب فأقامها من الموت لتستأنف خدمتها له. وقصة طابيثا سطرها القديس لوقا بأسلوبه الجميل في سفر أعمال الرسل فقال «وكان في يافا تلميذة أسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة» (أع ٩:٣٦). ونسأل ماذا قصد لوقا عندما ذكر أنها تلميذة للسيد المسيح فكل تلاميذه كانوا رجالا. ولكن يخبرنا الكتاب أن عددا من النسوة منهن مريم المجدلية ومارثا أخت لعارز ويونا كن من أخصائه المقربين يتبعنه وينفقن عليه وتلاميذه من أموالهن الخاصة. ولكن لم توصف أحداهن بأنها تلميذة. وقد يكون السبب أن الرب يسوع كان لازال معهم فلم يصفوا أحد بالتلمذة غير الذين عينهم هو. أما بعد صعوده فنجد أن كلمة «تلميذ» أطلقت على عدد من الذين آمنوا وأظهروا حماسا غير عادي في خدمة الكلمة فلم يجد القديس لوقا حرجا في أن يدعو

طابيثا تلميذة. وهو في هذا يصفها بأنها كانت كتلاميذ المسيح في القداسة والأعمال الصالحة فقد تتلمذت للروح القدس كما تتلمذوا له هم أيضا.

وعندما نبحث نجد أن عددا قليلا بجانب طابيثا سماهم القديس لوقا تلاميذ أولهم حنانيا الذي أرسله الرب ليقابل شاول بعد أن ظهر له في طريق دمشق وفقد بصره. وقد أمره الرب ان يضع يديه عليه فيعود له بصره (أع ٩:١٠) وكذلك تيموثاوس الذي وجده بولس في دربة ولسترة وكانت أمه يهودية وأبوه يونانيا فختنه بولس وأقامه أسقفا وكتب له رسالتين. وثالثهم رجل اسمه مناسون كان يسكن في أورشليم ونزل بولس عنده. وقد وصفه لوقا بأنه قبرصي وتلميذ قديم (أع ٢١:١٦). أما قبل هذا فقد أطلق لقب تلميذ على يوسف الذي من الرامة وهو الذي طلب من بيلاطس جسد الرب وكفنه ووضعه في قبره الجديد.

نعود لقصة طابيثا فيذكر الكتاب أن القديس فيلبس هو الذي بشر في منطقة يافا وأن كثيرين هناك قد اعتنقوا الدين الجديد ومن ضمنهم طابيثا. لم يخبرنا الكتاب هل كانت قبل اعتناقها المسيحية أممية أم يهودية. وأغلب الظن أن القديس لوقا لم يجد هذا مهما فالمهم أنها أصبحت مسيحية وأمتلآ قلبها بمحبة الله. وقد تكون سمعت أن الله ينتظر من كل من يتبعه ألا يقف عند الإيمان بل يعبر إلى ثمار إيمانه بممارسة الأعمال الصالحة. وفكرت طابيثا فيما يمكنها أن تقوم به وهي امرأة لا تستطيع أن تقوم بما يقوم به الرجال من سفر وتبشير ووعظ. ولم يحبط عزمها فقد كانت متيسرة في معيشتها ومن ضمن مهاراتها التي تعلمتها أنها كانت تجيد حياكة ملابس السيدات. ولذلك رأت أن الطريقة الوحيدة التي في متناولها لخدمة الرب أن تشتري أقمشة وأن تصنع منها ملابس للأرامل والأيتام المسيحيات المحتاجات. فقد

شعرت أن الديانة النقية عند الله هي إفتقاد الأرامل والأيتام وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس في العالم. فكرست طابيثا حياتها للرب فلم تتزوج بل ظلت تخدمه بأمانة وإخلاص إلى أن ناداها صوته فغادرت الدنيا لتلبي نداء من أحبته.

يصف القديس لوقا هذا فيقول «وحدث في تلك الأيام أنها (طابيثا) مرضت وماتت فغسلوها ووضعوها في علية. وإذ كانت لدة قريبة من يافا وسمع التلاميذ أن بطرس فيها أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتواني أن يجتاز إليهم» (أع ٩:٣٧ ، ٣٨).

وهنا نتوقف لحظة لنستمع لهمس البعض ، لماذا سمح الرب بموت طابيثا وما ترتب عليه من هلع وحزن للجميع عليها وهو يعلم أنه سيقيمها من الموت بعد ذلك؟ ونحن نعلم أن كثيرا ما يتساءل الناس عندما تحل كارثة بأحد أولاد الله لماذا سمح الله بهذا وهو الإله المحب الحنون؟ ونعلم أيضا أن هذا حدث مرات عديدة في تاريخ البشرية مع كثيرين ممن أحبهم الله فيسمح بضيقه وبعد فترة قد تطول وقد تقصر نجده يتدخل لتنتهي الضيقة. وأشهر من مروا في هذا الامتحان العسير هو أيوب الصديق. ولكن نفس الشيء حدث مع إبراهيم وإسحق في عدم إنجابهم ويعقوب في مشكلاته مع عيسو ومع أولاده. وحتى مع تلاميذ الرب عندما كانوا معذبين بالأمواج تعصف بسفينتهم وهم في طريقهم لكفر ناحوم وكيف تركهم الرب حتى الهزيع الرابع حين أتي ماشيا على الماء وأنقذهم. إن كلاً من هذه الحالات لها ظروفها الخاصة وقد سمح بها الرب لسبب لم يُفسر عنه لأحد. ولكن في كثير منها نجده يضع أولاده في أختبار وعندما يفشلون لأنهم اتكلوا على أنفسهم يأتي هو وينقذهم، فيتقوي إيمانهم ويتعلمون الاعتماد عليه في كل ما يقابلهم من مشاكل. ولا شك أن إقامة طابيثا من الموت كان له نفس التأثير على محبيها الذين انزعجوا عند موتها،

رغم أنه كان واضحا مما حدث أن إيمانهم لم يكن ضعيفا فهم لم يدفنوها عندما ماتت وهو الأمر الطبيعي والمنتظر بل وضعوها في علية ورفضوا دفنها وأرسلوا لبطرس أن يأتي ليافا. وقد عولوا أن يسألوه أن يصلي من أجل حبيبتهم لعل الله يتحنن عليهم ويرد لها الحياة. ولم يخبر الرسولان القديس بطرس بالمهمة التي تنتظره. ولا نعلم إذا كان هو قد سألهم أم لا. وهناك احتمال أن الروح القدس قد أخبره ولو أن الكتاب لم يذكر هذا. المهم أن بطرس استجاب للدعوة دون إبطاء. وعندما وصل صعدوا به إلى العلية التي كانت بها طابيثا. ووجد بطرس العلية ملآنة فقد كان معها جميع الأرامل التي كانت تخدمهم وكن يبكين عليها ويُرين بطرس عينات مما كانت طابيثا تصنعه لهن. ولم يذكر الكتاب أن أحدا طلب منه أن يقيمها. فقد تركوا ذلك لإرشاد الروح القدس. وعندما تلقى الأمر أن يصلي من أجلها تميهدا لقيامتها من الموت نجده يطلب من الجميع أن يغادروا العلية. ولعله تذكر ما فعله الرب يسوع عندما طلبوا من أجل ابنة يايرس وكيف أنه أخرج الجميع من العلية وأمسك بيد الصبية قائلا «طاليثا قومي» فقامت في الحال. وعندما خرج الجميع من العلية صلي بطرس وكرر نفس الكلمات التي قالها السيد المسيح عندما أقام طاليثا فناداها «طابيثا قومي» فقامت طابيثا وفرح الجميع لأن الله أستجاب لطلباتهم بأن وهب طابيثا عمرا ثانيا لتستمر في خدمته بالطريقة التي أختارتها.

لم تكن هذه هي النتيجة الوحيدة للمعجزة التي تممها الله علي يد تلميذه بطرس بل ترتب عليها أمران أولهما أن الله أكرم خادمة أمينة من خدامه المخلصين وثانيهما أن كثيرين قد آمنوا بسببها إذ يقول القديس لوقا «فصار هذا معلوما في يافا كلها فآمن كثيرون بالرب» (أع ٩:٤٢).

ولم يخبرنا الكتاب عن عدد السنين التي أضافها الرب لعمر

طابيثا. وأغلب الظن أن إيمانها ومحبتها الله وللجميع قد زادت بعد قيامها من الموت وأنها بعد أن كانت خادمة من خادمات الرب اللاتي لا يسمع عنهن أحد أصبحت معروفة للجميع وأصبح بيتها مزارا للكثيرين تعقد فيه الاجتماعات لجذب آخرين للإيمان فعاشت طابيثا بجانب عملها من أجل الأرامل والأيتام تشهد لكثيرين عما صنعه الرب معها وكيف أنه أقامها من الموت لتستمر في خدمته. وبعد حياة مليئة بالخير والعمل الصالح ناداها الله للمرة الثانية فلبت نداءه بنفس راضية لتلحق بالقديسين والتلاميذ الذين سبقوها إلى فردوس النعيم بركة صلواتهم تكون معنا أمين.

٣٧ - ليدية بائعة الأرجوان

ليدية بائعة الأرجوان وقد اخترناها لأنها كانت أول من اعتنق المسيحية في آسيا . وكذلك لمجهوداتها في نشر الدين الجديد في العالم الوثني بتعضيدها لبولس الرسول وخدمتها له ومن كان معه . وتبدأ قصتها في الكتاب المقدس في سفر أعمال الرسول عندما كتب عنها القديس لوقا كاتب السفر قائلا «ومن هناك «نيا بوليس» إلى فيلبي .. فأقمنا في هذه المدينة أياما. وفي يوم السبت خرجنا إلى خارج المدينة عند نهر حيث جرت العادة أن تكون صلاة، فجلسنا وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن . فكانت تسمع امرأة ليدية بائعة الأرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس» (أع ١٦:١٢-١٤) .

مما تقدم يتضح أن ليديه كانت من مدينة ثياتيرا التي جاء ذكرها في سفر الرؤيا وأرسل الرب لملاك الكنيسة التي فيها رسالة على يد يوحنا الحبيب . وكانت كنيسة ثياتيرا أحد الكنائس السبعة الرسولية التي انتشرت فيها المسيحية في آسيا الصغرى

نتيجة للعمل الكرازى الذي قام به بولس الرسول . ولا نستبعد أن تكون ليدية ممن ساعدوه في تأسيس هذه الكنيسة .

إن ما وصفه القديس لوقا كان أول اجتماع يحضره بولس في آسيا الصغرى وكانت ليدية أول من آمن برسالته وأعتنق المسيحية في ذلك الاجتماع ، ونعلم أيضا أن مكان الاجتماع كان خارج مدينة فيلبي وأنه كان اجتماعا للنساء ضم وثنيات وإسرائيليات وقد نظمن هؤلاء هذا الاجتماع ليناقش بعض عاداتهن ومعتقداتهن الدينية . وقد يكن قد سمعن عن السيد المسيح وما حدث له أو وصلت إليهن شائعات عن تعاليمه وأعماله فنما في عقولهن شك في صحة ديانتهن فرأين أن يجتمعن لمناقشة الأمر . ونعلم أيضا أنهن كن يمارسن الصلاة . ونتساءل إلى من كانت هذه الصلوات تُرفع ؟ ولم يذكر الكتاب المقدس شيئا عن هذا ولكنه ذكر أن ليديه كانت متعبدة لله . ومعني هذا أنها كانت تصلي لله وأنها قد اعتنقت اليهودية من قبل وأغلب الظن أنها كانت في تلك الاجتماعات تحاول أن تقنع بقية النسوة بأن يحُذن حذوها . وعندما وصل بولس الرسول إلى فيلبي لم يكن يعرف شيئا عن هذه المجموعة ولا عن اجتماعها، ولكن عندما سمع بالاجتماع وجد أن هذه فرصة هيأها له الرب فذهب ليحدثهم عن السيد المسيح ويبشرهم بالخلاص الذي أتمه على الصليب . ولمس الروح القدس قلب ليديه فآمنت وقبلت المخلص واعتمدت هي وأهل بيتها وأصبحوا مسيحيين . وليس هذا فقط ، بل يخبرنا القديس لوقا أنها قالت له ولبولس «أن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب فأدخلوا بيتي وامكثوا . فألزمتنا» (أع ١٦:١٥) . وإن دل هذا على شئ فيدل على أن ليديه كانت ثرية ، بعكس ما يوحى به لقب «بائعة الأرجوان» فقد يتصور السامع أنها كانت تبيع تلك المنسوجات بعد شرائها من مصانعها وتكسب من بيعها القليل

الذي يكاد يكفي لها وعائلتها ليعيشوا عليه . فالحقيقة أن ليديه كانت من صاحبات الأعمال الناجحات ، فقد كانت تملك مصنعا وربما مصانع لصباغة المنسوجات الغالية باللون المفضل في ذلك الوقت وهو اللون الأرجواني . وقد أثرت من تجارتها لأن بضاعتها كانت رائجة لإقبال النساء الغنيات عليها . ويبدو ثراءها واضحا من دعوتها لبولس ولوقا ومن معهم ليدخلوا بيتها ويمكثوا فيه مدة بقائهم في المنطقة. ورغم أن بولس لم يكن يرتاح إلى أن يعوله أحد إلا أنه قبل دعوة ليديه كما كتب القديس لوقا ولكنه أضاف أنها ألزمتهم أي أنها كانت مصرة على دعوتها فلم يستطيعوا أن يرفضوا كرمها . ويخبرنا أن بولس قد إقتدي بربه وسيده يسوع الذي قبِل أن توفر له بعض النسوة كمريم المجدلية ومارثا أخت لعارز وأخريات بعض ما يحتاج إليه . وعندما قبل بولس الرسول كرم وضيافة ليديه توطدت الصداقة بينهما .

وقد ظهرت هذه الصداقة عندما قبض على بولس وسيلا . فقد أخرج بولس روحا شريرة من عرافة كانت تدر على أصحابها أرباحا طائلة . فلما رأوا أن مصدر رزقهم قد انتهي قبضوا على بولس وسيلا واشتكوا عليهما فألقيا في السجن . وبينما هما يصليان ويسبحان الله إذا بزلزلة عظيمة تضرب السجن فاهتزت أساساته وتفتحت أبوابه . ولما علم حافظ السجن استل سيفه وكان مزمعا أن يقتل نفسه . ولكن بولس ناداه وأخبره أن أحدا لم يهرب .. وكان أن الولاة أطلقوهما دون عقاب . وكان بيت ليديه هو المكان الذي لجئوا إليه. ولا شك أن ليديه كانت تعلم بما حدث وتتبع التطورات وتصلي هي وصاحباتها من أجلهما . وقد أستمع الرب لهم فاستقبلتهم ليديه في بيتها فرحة شاكرة الرب .

وعندما نتأمل في حياة هذه القديسة نجد بعض الأمور التي تستحق التوضيح والتعليق لما فيها من عظات لحياتنا الروحية .

أولا نلاحظ أن ليديه كانت وثنية لا تعرف الله .. ولما كانت كذلك بالوراثة فقد وُلدت في وسط وثني وفي عائلة وثنية وكان ممكنا شأنها في ذلك شأن الملايين أن تتبع تقاليد عائلتها وتستمر في وثنيتها . ولكن ليديه لم تكن امرأة عادية فلم تتردد في رفضها لعبادة الأوثان بل فكرت بعقلها الذي وهبه لها الله وما حباها من ذكاء أن هذه الأوثان المصنوعة بالأيادي لا يمكن أن تكون آلهة . وعندما نقارن هذا الفكر بالفكر الذي حدا ببني إسرائيل إلى عبادة هذه الأوثان نتعجب . كيف وجدت ليدية الحقيقة التي غابت عن شعب الله المختار؟ كيف عرفت ليديه أن الأوثان ليست آلهة وهي لم تر آية واحدة من الإله الحقيقي بينما يصنع بنو إسرائيل عجلا ذهبيا بعد أن ضرب الله مصر بعشرة ضربات قوية وشق لهم البحر الأحمر لينقذهم من جيش فرعون ؟ يتبين لنا من هذا جانب مهم في شخصية ليديه عندما رفضت أن تنحني للأوثان وصممت على البحث عن الإله الحقيقي وهو عدم انجرافها مع التيار إذا ظنت أنه خاطىء . وكان أول خطوة خطتها نحو هذا الهدف الذي كرست له حياتها أنها نظمت مع غيرها من النسوة العاقلات اجتماع السبت يبحثن فيه حياتهن الروحية . وقد تكون قد اعتنقت اليهودية في أحد هذه الاجتماعات .. وأغلب الظن أنها كانت تطلب من الباقيات أن يعتنقن اليهودية لكي يعرفن الرب . يشير هذا إلى صفه أخرى من صفات ليديه وهي عدم انشغالها انشغالا كليا كغيرها من أصحاب الأعمال بعملها ومشاريعها ومكاسبها . ولم تنغمس في حياة الترف وشهوات العالم ومسراته شأن الأغنياء ولكنها طلبت أن تعرف الله وأن تقترب منه ولذلك عندما سمعت كلام بولس الرسول لمس الروح .القدس حياتها فآمنت ورأت النور وعاشت فيه بقية حياتها. والصفة الثالثة التي نراها في حياتها أنها لم تؤمن فقط بل تبعت إيمانها بالأعمال .

فدعت بولس ورفاقه واستضافتهم في بيتها ووفرت لهم أسباب الراحة وخدمت الكلمة باذلة وقتها وما لها فيما تتطلبه هذه الخدمة. وعندما فتحت ليديه باب بيتها للمؤمنين صار مركزا للمسيحيين في ثياتيرا وبذلك أصبح بيتها أول كنيسة في تلك المنطقة . لم يذكر الكتاب عما إذا كانت ليديه قد ساعدت بمجهوداتها في نشر رسالة الخلاص بعد مغادرة بولس وسيلا ورفاقهما المنطقة. ولكن المرجح أنها استمرت في عقد اجتماعها الأسبوعي بعد أن غيرته من السبت إلى الأحد، وتابعت خدمتها مع الأخريات اللاتي لم يؤمنَ في وجود بولس الرسول .

وأكملت ليديا عملها من أجل الرب وبعد حياة حافلة بالعمل من أجل الإله الذي وجدته انتقلت إلى الأمجاد السمائية لتكون مع الإله الذي أحبته وأخلصت له .

٣٨- بريسكلا

المرأة التي آمنت بالرب فخدمته واستشهدت من أجله

هذه هي بريسكلا وقد اخترناها لأنها كانت من أوائل النساء اللاتي آمنَ على يد معلمنا بولس الرسول، ولأنها لم تؤمن فقط بل اختارت أن تخدم الرب وأن تبشر به فلعبت دورا هاما في نشر المسيحية وأنهت حياتها بأن استشهدت في سبيل الرسالة التي آمنت بها . وتبدأ قصة بريسكلا في سفر أعمال الرسل فقد كتب القديس لوقا كاتب السفر أن بولس عندما وصل إلى كورنثوس أنه «وجد يهوديا أسمه أكيلا بنطي الجنس كان قد جاء حديثا من إيطاليا وبريسكلا امرأته لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليهود من روميه» (أع ١٨:٢) . كان هذا بدء الصداقة

القوية التي توطدت بين بولس وهذين الزوجين . ويبدو أن ما جمعهم معا هو أن الثلاثة كانوا صانعي خيام . وأغلب الظن أن بولس قد أختارهما بناء على إرشاد الروح القدس . وعندما اكتشف فيهما معرفتهما التامة بالعهد القديم وإيمانهما بما جاء فيه خصوصا النبوات عن مجيء المسيا ، كان من السهل عليه أن يبشرهم بالخلاص الذي تممه أبن الله المتجسد والذي مات من أجلهم على الصليب وبقيامته من الأموات وصعوده إلى الأب . وليس هناك شك أن بولس حكي لهم عن تاريخه في اضطهاد الكنيسة وظهور السيد المسيح له في طريق دمشق والتغير الذي سببه هذا الظهور في حياته .

وعندما نتأمل فيما قاله القديس لوقا أن أكيلا كان بنطي الجنس أي أنه جاء من نفس الإقليم الذي جاء منه بيلاطس البنطي وهو الجزء الأعلى من آسيا الصغرى المجاور لأرمينيا . ويرجح هذا رأي من يقولون أن بريسكلا كانت رومانية ولذلك كان أسمها يسبق أسم زوجها في بعض كتابات القديس لوقا ومعلمنا بولس، ولكن لا يوجد ما يثبت هذا الرأي تاريخيا . وأغلب الظن أن بريسكلا لم تكن أقل من زوجها في حماستها وخدمتها للرب وربما فاقته ، فاحترمها المسيحيون وانعكس هذا في كتابات الرسولين .

وعندما نفكر في أن بولس وأكيلا وبريسكلا كانوا صانعي خيام نتعجب أن لا يستنكف هؤلاء الذين كانوا ذوي قامة روحية عالية من العمل اليدوي الذي تعودنا ألا نحترمه احترامنا للعمل الذي يعتمد على الفكر . ولكن نعود فنتذكر أن رب المجد نفسه كان واحدا من الذين عملوا بأيديهم فقد احترف حرفة النجارة منذ حداثته وعلمه إياها القديس يوسف الذي كان نجارا وهي الحرفة التي مارسها بعد انتقال يوسف ليعول نفسه وأمه العذراء

مريم . فلم يستنكف الرب يسوع أن يعمل بيديه ، وهو بهذا قد بارك العمل اليدوي ورفعه إلى أعلى درجات الاحترام . ولم يكن هذا قصده الوحيد ولكنه كان يود أن يعلمنا كذلك التواضع الذي تحلي به في كل تصرفاته . وعندما لاحظ أن تلاميذه لم يتعلموا الدرس فكانوا يتجادلون فيمن فيهم أعظم من الآخرين في ملكوت السماوات لفت نظرهم على أهمية التواضع عندما قال لهم «تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب» (مت ١١:٢٩) . ولذلك نجد بولس الرسول لا يخجل من عمل يديه . بل نجده يفتخر في إحدى رسائله فيقول إن يداه قد أغنتاه عن أن يعتمد على كرم المؤمنين لكي يعولوه فقد عال نفسه ومن معه من عمل يديه .

نعود إلى قصة بريسكلا فنجد أن بعد أن بشرهم بولس بالسيد المسيح أنهما اعتنقا المسيحية وقامت بينهما صداقة قوية. فأقام معهما المدة التي قضاها في كورنثوس وأصبحا زميلين له في الخدمة هناك . فكانا يذهبان معه إلى المجمع ويساعدانه في إقناع اليهود بصدق رسالة الخلاص التي كان بولس يبشرهم بها. وقد فتحا منزلهما ليكون المكان الذي يدعو إليه بولس البعض ليتابع معهم عمله في نشر الكلمة . ولم يخبرنا الكتاب عن المدة التي قضاها بولس الرسول في كورنثوس ولكن بعض المؤرخين يقدرونها بعامين . فالكتاب يحدثنا عن أنه بعد مدة واجهته صعوبات من بعض اليهود الذين رفضوا الإيمان لدرجة أنه نفض ثيابه وقال لهم «دمكم على رؤوسكم . أنا بريئ من الآن أذهب للأمم» (أع ١٨:٦) ولكن الرب ظهر له في رؤيا وقال له «لا تخف تكلم ولا تسكت لأني أنا معك . ولا يقع بك أحدا ليؤذيك لأن لي شعبا كثيرا في هذه المدينة» (أع ١٨:٩) فمكث بولس بعد ذلك سنة وستة أشهر في كورنثوس فاستمر يبشر بالإنجيل ولكن قبض عليه بعض اليهود وقدموه إلى الوالي غاليون واشتكوا عليه . ولكن

الوالي لم يستمع منهم وطردهم من دار الولاية . فرأي بولس أن يرحل . وعندما رحل صاحبه أكيلا وبريسكلا وأستقر بهم المقام في أفسس فأقاموا فيها مدة لا نعلمها يبشرون اليهود في أفسس . وعندما عزم على الرحيل طلب منه المؤمنون أن يمكث معهم زمنا أطول ولكنه أخبرهم أنه يريد أن يعيد العيد القادم في أورشليم فرحل . ولكن أكيلا وبريسكلا مكثا في أفسس ليتابعوا العمل الذي بدأه بولس .

ويتابع القديس لوقا قصتهما فيصف بعض الأحداث التي حدثت بعد رحيل بولس فيقول «ثم اقبل إلى أفسس يهودي أسمه أبلوس إسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب . كان هذا خبيرا في طريق الرب وكان وهو حار بالروح يتكلم ويُعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفا معمودية يوحنا فقط » (أع ١٨:٢٤) . ويبدو من هذا أن هذا الرجل الذي نشأ في الإسكندرية ربما كان مصريا وقد كان عالما في العهد القديم وقد رأي يوحنا المعمدان واعتمد منه وآمن برسالته ولكنه بسبب ما لم يكن عالما بيسوع وحياته وربما كان غائبا عن اليهودية في السنوات الثلاثة التي بشر فيها الرب يسوع برسالته . المهم أنه عندما سمعاه أكيلا وبريسكلا وأدركا أن أنباء الخلاص لم تصل إليه «أخذاه وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق» (أع ١٨:٢٦) ويتضح من هذا الدور القيادي الذي لعباه بعد رحيل بولس ، فقد أخذا على عاتقهما مهمة شرح طريق الرب كما تعلموه من بولس. وقد أخذ أبلوس بعد ذلك مهمة نشر الإيمان الذي تعلمه وبدأ يرحل لبعض الأماكن المجاورة ليبشر اليهود فيقول الكتاب عنه «أنه كان باشتداد يفهم اليهود جهرا مبينا بالكتب أن يسوع هو المسيح» (أع ١٨:٢٨) ويعتقد بعض المؤرخين أن أكيلا وبريسكلا قد عادا إلى روما بعد موت كلوديوس وأنهما صنعا من منزلهما هناك كنيسة يجتمع

فيها المؤمنون . ويبنون اعتقادهم على أن رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية كان بها تحيات خاصة لبعض المسيحيين الذين كانت لبولس علاقة خاصة بهم وفي مقدمة الذين وردت أسماءهم لتلقي هذه التحية كانا أكيلا وبريسكلا . ويعتقد هؤلاء المؤرخين أيضا أنهما كانا قد اعتنقا المسيحية قبل رحيلهم من روما ووصولهم إلى كورنثوس وأن القديس بولس قد أحبهما لإيمانهما القوى وقدرتهما في إقناع الآخرين بما آمنوا به .

وعندما نتأمل حياة هذين الزوجين نجد أنهما عاشا متحدين في الفكر والعمل والحماس للرب . فعاشا في سعادة الفرح بالخلاص ... ولم يخبرنا الكتاب عما إذا كانا أنجبا أي ذرية . وأغلب الظن أنهما لم ينجبا ولم يؤثر هذا في سعادتهما كما كان يحدث في بعض العائلات اليهودية فقد كانت المرأة التي لا تنجب تشعر أن الله صنع هذا لأنها لا تستحق وكانت تشعر بالعار وتطلب من الله أن يعطيها ذرية وينزع عارها . ولكن أكيلا وبريسكلا لم يشعرا بالعار بل ملأا حياتهما بخدمة الرب الذي أحباه .

وأكيلا وبريسكلا يقدمان لنا اليوم مثلا رائعا للعائلة التي تخدم معا وتسلم حياتها للرب معا فيشملها الرب ببركته وينعم عليها بسلامه. لقد كان كل منهما يشعر بأنه والأخر جسدا واحدا يعيش ويتحرك نحو هدف مشترك وهو خدمة الإله الذي أحباه وأخلصا في خدمته إلى النهاية . ونلاحظ أن الكتاب لم يخبرنا عن هذه النهاية . ويرجح بعض المؤرخين أن بعد رجوعهما إلى روما قبض عليهما واستُشهدا وارتفعا إلى المكان الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد في أحضان القديسين إبراهيم واسحق ويعقوب بركة صلواتهما تكون معنا آمين .

القسم الثاني : النساء اللاتي اخترن الطريق الخاطىء

في الصفحات السابقة كتبنا عن عدد من الشخصيات النسائية في الكتاب المقدس كأمثلة لجهود الله لإنصاف المرأة في عالم ساده الرجل نتيجة لدخول الخطية العالم ، تلك الجهود التي توجها رب المجد عندما ولد من امرأة هي القديسة العذراء مريم . وحتى الآن كانت جهودنا منصبة على النسوة اللاتي حباهن الرب بمواهب نادرة ساعدتهن بقوة الروح القدس في الوصول إلى درجات من المجد الذي كان وقفا على الرجال . وقد رأينا أن نسرد قصص نساء أخريات أعطاهن الله مواهب نادرة أيضا ولكنهن لن ينصتن لصوت وإرشاد الروح القدس بل أنصتن لصوت الشيطان فكانت النتيجة أنهن نبغن في الشر بدل أن ينبغن في الخير .

الباب الثالث: نساء العهد القديم

٣٩ - امرأة لوط

المرأة التي تحولت إلى عمود ملح

هذه هي امرأة لوط وقد اخترناها لقرابة زوجها لإبراهيم أب الآباء الذي كان لإيمانه تأثيرا كبيرا في حياة كثيرين وكان وعد الله له أن بركته سوف تنتشر وتعم كثيرين ولكن حياة ابن أخيه وعائلته لم تدركها هذه البركة رغم جهود عمه ومعاملته الممتازة له.

تبدأ قصة لوط عندما قال الرب لعمه أن يترك أهله وعشيرته ويتبعه إلى الأرض التي سيريه إياها ووعده الرب أنه سيجعله أمة عظيمة . وأطاع إبراهيم الرب ولكنه أخذ معه أباه تارح ولوط ابن

أخيه . لماذا ؟ لا ندري . وقد يكون أن لوط عندما مات أباه ألتصق بعمه وتكونت بينهما علاقة قوية . ولأن إبراهيم لم يكن قد رزقه الرب بذرية بعد ، اعتبر لوط كابنه فلم يرد أن يتركه . ورحل الكل إلى حاران وأقاموا هناك حتى مات تارح فرحلوا إلى كنعان .

يخبرنا الكتاب أن إبراهيم ولوط عاشا في سلام ومحبة إلى أن أصبحا غنيين فلم تحتملهما الأرض أن يسكنا معا . فقد حدثت مخاصمة بين رعاة إبراهيم ورعاة لوط من ناحية العشب والماء فقد كانت ثروتهما في الماشية التي أقتنياها . لا شك أنهما حاولا أن يحلا المشكلة بجيث لا يفترقان ولكنهما لم يستطيعا . فما كان من إبراهيم أن حسم المشكلة بحل بسيط يدل عل محبته وتواضعه بل أيضا على أبوته للوط فقال له «لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك لأننا نحن إخوان» (تك ١٣:٨) . يتضح من هذا أن إبراهيم كره أن تكون هناك مخاصمة بينه وبين لوط الذي كان يعتبره ابنا له . ولكنه لم يتعالى باعتباره أبا ولكنه أتضع واعتبر لوط أخا له أو ندا له . ثم أضاف ابرهيم بعد هذه المقدمة الرائعة الحل الذي عرضه لحل المشكلة فقال «أليست الأرض كلها أمامك . إعتزل عني . إن ذهبت شمالا فأنا يمينا وإن يمينا فأنا شمالا» (تك ١٣:٩) .

وهنا نرى عظم أخلاق إبراهيم فهو يعطي لوط الأولوية في اختيار الأرض التي يراها مناسبة له . هذه هي الأخوة وعدم الأنانية التي كانت من صفات إبرهيم الواضحة . فقد كان من فرط محبته للوط يقدمه على نفسه متنازلا عن حقوقه كأب . يخبرنا الكتاب أن لوط رفع عينيه ونظر إلى الأرض التي أمامه فرأي أن دائرة الأردن متوفر فيها الماء أكثر مما حولها من الأرض فاختارها ورحل شرقا ونقل خيامه إلى سدوم . وكان أهل سدوم أشرارا وخطاه لدي الرب جدا . هل كان لوط يعلم هذا ؟ أم أن اختياره

تصادف أن وقع على تلك الأرض التي يسكنها هؤلاء الأشرار ؟ لقد أختار لوط لنفسه فكان اختياره سيئا . يدلنا هذا إننا نحن أيضا لا نعرف كيف نحتار لأنفسنا . فكم منا أختار وظيفة لم ينجح فيها أو شريكة حياة لم يتفق معها أو أصدقاء تنكروا له . أننا نختار ولا نعتمد على محبة الله لنا والجدير بنا أن ندعه يختار لنا . صحيح أن الله قد أعطانا هبة وهي أن نختار ما نحب ولكننا نعلم أن آدم أول إنسان أعطاه الله هذه الهبة فأساء الاختيار وكان مصيره الطرد من جنة عدن والحياة بعيدا عن الله . ولكن الله قال لنا أيضا أننا بدونه لن نستطيع أن نفعل شيئا . وهذا معناه أننا لن نستطيع أن نختار في كثير من المواقف لعدم معرفتنا ولذلك حسنا أن نقول للرب أنت وهبتنا حرية الاختيار ونحن نسألك أن تختار أنت لنا ولتكن مشيئتك لا مشيئتنا نحن .

نعود لقصة لوط . يخبرنا الكتاب أنه بعد انفصاله عن إبرهيم واستقراره في سدوم أن أربعة ملوك غاروا على المنطقة وهزموا ملك سدوم وسبوا لوط وعائلته وأخذوا أملاكه . ولما علم إبرهيم بما حدث قام للحال مع غلمانه وكان عددهم ٣١٨ رجلا وهجم هو ورجاله على الملوك الأربعة وهزمهم وأخذ لوط وأملاكه وعائلته وعاد بهم إلى سدوم حيث استقبله ملك سدوم وأكرمه . وعندما نتأمل فيما فعل إبرهيم نجد أنه أخذ رجاله القليلين الذين لا يوازي عددهم ولا عتادهم جزء من الجيوش الأربعة ولكنه لم يتردد . هل شعر أن الله سوف يدفع هذه الجيوش ليده ؟ كان سلاح إبرهيم هنا بجانب عنصر المفاجأة عنصر الإيمان . يخبرنا الكتاب أن الله قوَي يد إبرهيم فانتصر على الملوك الأربعة وأرجع لوط وأمواله . بعد هذا لم يخبرنا الكتاب شيئا عن لوط وأغلب الظن أنه عاش في سدوم وتزوج من بناتها وأنجب منها بنتان . وقد يكون وصل إلى مركز مرموق في سدوم لغناه وقرابته لإبرهيم الذي كانت شهرته

قد انتشرت في المنطقة كلها لغناه وقوته . لقد كان لوط بارا ولكن لم تقلقه شرور سدوم فعاش فيها سنينا عديدة . لم يشترك لوط في شرورهم فقد كان متأثرا بعمه إبرهيم وسيرته العطرة .

بعد ذلك يخبرنا الكتاب أن الرب وملاكين زاروا إبرهيم وقد أكرمهم إبرهيم وصنع لهم طعاما . وبعد أن أكلوا قال له الله أنه في مثل هذا الوقت العام القادم سيكون لك ابن . وأرسل الرب الملاكين إلى سدوم وعمورة وقبل أن يمضي صنع شيئا لم يصنعه من قبل فقد أخبر إبرهيم أنه أرسل الملاكين ليهلكا سدوم وعمورة لأن شرهم قد عظم جدا . وفزع إبرهيم فلوط وعائلته يعيشون في سدوم فبدأ حوارا مع الله من أطرف ما ورد في الكتاب المقدس. بدأ إبرهيم بأن سأل الرب «أتهلك البار مع الأثيم» (تك ١٨:٢٣) وكأنه كان يقول له هل ستهلك لوط البار مع سكان سدوم الأثمة . ولم يشأ إبرهيم أن يذكر لوط بالاسم بل قال للرب «عسي أن يكون هناك خمسون بارا . أديان كل الأرض لا يصنع عدلا ؟» (تك ١٨:٢٤ ، ٢٥) . وهنا تتضح دالة إبرهيم على الله وصراحته معه. لا عجب فإن الله أعطاه لقب صديقه . فالصديق له دالة على صديقه ويقول له ما في خاطره دون خوف وهذا ما فعله إبرهيم . وأجاب الله قائلا «إن كان هناك خمسون بارا أصفح عن المكان». وبدأ إبرهيم يساوم الله على عدد الأبرار في المدينة فاقترح أنهم ربما كانوا خمسة وأربعين فرد الله أنه مستعد أن يصفح من أجل الخمسة وأربعين . وعاد إبرهيم يقترح أنهم ربما كانوا أربعين ثم ثلاثين ثم عشرين ثم عشرة وفي كل مرة كان الله يرد بأنه مستعد أن يصفح من أجلهم . وبعد أن نزل العدد إلى عشرة صمت إبرهيم فقد علم أن لوط ربما كان البار الوحيد في المدينة وتأكد أن الله سوف يجد طريقة لينقذه.

يخبرنا الكتاب أن الملاكين وصلا إلى سدوم في المساء . وكان

لوط جالسا عند باب المدينة وعندما رآهما قام لاستقبالهما وسجد لهما وأدخلهما بيته . وأحاط رجال المدينة ببيت لوط وطلبوا منه أن يخرج الملاكين لكي يعرفونهما . وخرج لوط إليهم وعرض عليهم أن يعطيهم ابنتيه ليفعلوا بهما ما يشاءون ولكنهم رفضوا . هنا نجد لوط لا يجد غضاضة في تعريض ابنتيه لهذا المصير لينقذ ضيفيه منه . لقد تأثر لوط بعشرته للخطاة فاختار أن يضحي بابنتيه بهذا الشكل المشين . أين كانت أبوته ومحبته لابنتيه وأين ثورته على الخطية التي أرادوا ارتكابها . هل هذا تصرف رجل بار ؟ كان المنتظر منه أن يغادر سدوم بعد أن اكتشف شرها ولكنه آثر البقاء فيها وكانت النتيجة تصرفه المشين . يخبرنا الكتاب أن الملاكين أدخلا لوط وأغلقا الباب ثم ضربوا رجال سدوم بالعمى . وسألا لوط عن عائلته ولما علموا أنهم ثلاثة ، زوجته وابنتيه أخبراه أن يترك المدينة لأنهما سوف يهلكانها . وعندما طلع الصباح كان لوط وأسرته لازالوا في سدوم رغم طلب الملاكين أن يرحلوا عدة مرات . ولما تباطئوا أمسكهم الملاكان وقادوهم إلى خارج المدينة محذرين إياهم إلا يتوقفوا وألا ينظروا وراءهم . وخرج لوط وعائلته من المدينة ولكن امرأة لوط نظرت وراءها فتحولت إلى عمود ملح .

إن هذه المرأة التي كانت من أهل سدوم قد عاشت في هذا المكان الشرير المملوء بالفجور . ويبدو أنها قد أحبت حياتها هناك رغم أن الكتاب لم يذكر عنها أنها شاركت في حياة الخطية التي كانت تسود المدينة . ولكن تباطؤ العائلة في الخروج ووصية الملاكين ألا ينظروا إلى الوراء وتعديها هذه الوصية لدليل قاطع أن امرأة لوط لم ترد أن تغادر سدوم وأنها فعلت ذلك مُرغمة ولكن قلبها كان مملوءا بسدوم . وعندما نظرت إلى الوراء إنما كانت تتحسر على حياتها التي عاشتها فيها فأرادت أن تملأ عينيها للمرة الأخيرة بتلك الحياة التي أحبتها . مثلها في ذلك مثل شعب بني

إسرائيل الذي غادر مصر تلبية لنداء موسى ولكن قلوبهم لازالت في مصر . ولذلك عندما غاب عنهم موسى أربعين يوما صنعوا لأنفسهم تمثالا من ذهب وعبدوه وثاروا على موسي عدة مرات متحسرين على حياتهم في مصر . لقد هلك منهم كثيرون لأنهم احتقروا خطة الله في إنقاذهم من نير فرعون كما هلكت زوجة لوط لأنها احتقرت خطة الله في هلاك سدوم وعمورة . لقد تحولت هذه المرأة الشريرة إلى تمثال من الملح يحكي لكل من رآه قصة امرأة كان ممكنا لو أحبت ما صنعه الله الرب من أجل نجاتها هي وعائلتها أن تعيش بعد ذلك في كنفه وحمايته حياة فاضلة مملوء بركة وسلام ولكنها اختارت الطريق الخاطئ فاستحقت ما حدث لها . وعندما نتتبع القصة نجد أن لوط وابنتيه استمروا في هربهم وأنهم سكنوا في مغارة بعيدة قليلا عن بلدة إسمها صوغر . وهنا حدث ما لم يسجل التاريخ مثله منذ خلق الله الأرض وما عليها إلى وقتنا هذا . فقد تآمرت البنتان فسقتا أباهما خمرا ثم أضجعتا معه الواحدة بعد الأخرى وحملوا منه . إن ما فعلته هاتان البنتان يدل على أن لوط وخاصة زوجته لم يحسنا تربيتهما فقد تطبعا مثل أمهم بقيم وأخلاق أهل سدوم .

لم يخبرنا الكتاب ماذا كان رد فعل كل ما حدث على لوط . هل تمادي في الخطية أم عاد إلى الله ؟ هو وحده الذي يعلم .

٤٠- امرأة فوطيفار

المرأة التي حاولت إغراء يوسف الصديق

هذه هي زوجة فوطيفار رئيس شرطة فرعون وقد اخترناها لأنها أول امرأة يذكرها العهد القديم تتملكها شهوة الجسد فتطارد

رجلا من أطهر رجال بني إسرائيل وتحاول أن تدفعه إلى خطية الزنا ولكن يوسف القديس والبطل استطاع أن يغلبها ويحتفظ بطهره وولائه لإلهه .

تبدأ القصة عندما صمم إخوة يوسف أن يقتلوه لغيرتهم منه فقد كان يعقوب أباه يحبه أكثر منهم جميعا . ولكن أخاه الأكبر رأوبين أقنعهم ألا يقتلوه بل أن يلقوه في بئر جاف لكي ينقذه فيما بعد ويرده إلى أبيه، ولكن لسبب ما غير الإخوة رأيهم فباعوه إلى قافلة من الإسماعيليين ذاهبة إلى مصر وقبضوا ثمنه عشرين من الفضة .

وعندما وصلت القافلة إلى مصر باعه الإسماعيليون لفوطيفار خصى فرعون رئيس شرطته . ووجد يوسف نعمة في عيني سيده فقد أحس أن الرب معه وأن كل ما يصنعه ينجح فيه . ولذلك وكله على بيته ودفع إلى يده كل ما كان له فأصبح يوسف المتصرف الوحيد في كل ما يملكه فوطيفار . يخبرنا الكتاب أن الله بارك بيت فوطيفار من أجل يوسف ومحبة الله له . لقد علم مبلغ حزنه على قساوة قلوب إخوته وقدر غربته بعيدا عن أهله وعشيرته ووجوده في هذه الأرض التي لا تعرف الله فأراد أن يعوضه وأن يقول ليوسف بمعاملته الحسنة أنه لم ينساه وأنه معه ولن يتخلي عنه رغم أن إخوته لم يتخلوا عنه فقط بل أرادوا أن يقتلوه .

لقد شعر أن الله رفعه من الحضيض إلى المجد فالعبد الذي يُشتري ويُباع لا تكون له حقوق بل يعيش في ذل سيده إلى الأبد ولكنه رأي سيده يرفعه ويعطيه التصرف في كل بيته حتى أصبح الآمر الناهي في كل الأمور . وكلما زاد نفوذ يوسف في بيت فوطيفار كلما زاد الرب بركته وكلما زادت ثقة ومحبة فوطيفار له. ولكن عدو الخير لابد أن يتدخل لكي يقلب حياة يوسف رأسا على عقب . فلم يكن فوطيفار الوحيد الذي كانت عينه على يوسف فقد

كانت هناك زوجته الجملية المدللة فهي الآخرى كانت عينها على يوسف . ولكنها كانت تنظر ليوسف نظرة مختلفة عن نظرة فوطيفار . فقد رأت فيه عشيقا لها يشبع نهمها الجنسي وشهوة جسدها . وكان يوسف جميل الصورة وفي عنفوان شبابه . وظنت هذه المرأة الفاجرة أنها بمجرد أن تدعوه ليضطجع معها لن يتردد ولن يستطيع أن يقاوم إغراءها . ولكنها لم تعلم أن يوسف قد جاء من عالم غير العالم التي كانت تعيش فيه . فقد عاشت هذه المرأة الشريرة في جو من الإباحية التي كان الأغنياء أمثالها يعيشون فيها ويعتبرونها من حقوقهم . بينما عاش يوسف في جو من القداسة والطاعة لإله يكافيء من يطيعه ويعاقب من يعصاه . ولذلك عندما دعته زوجة سيده ليرتكب معها الخطية رفض . يعلم الله وحده كم مرة حاولت هذه المرأة معه وكم مرة رفض محاولاتها . وكلما رفضها يوسف كلما أتقدت فيها نيران الشهوة وصممت أن تخضعه لإرادتها مهما كلفها الأمر . وعندما نتأمل في هذا الموقف نرى أن المرأة كانت مسوقة من الشيطان لتوقع في حبائلها رجلا قد قطع على نفسه عهدا ألا يخالف ربه مهما كانت الظروف ، يضاف إلى هذا أنه قدر ما صنعه من أجله فوطيفار الذي رفعه من عبد إلى سيد متسلط على كل أمواله ، فكان من الصعب أن يخون سيده . فكان ولاء يوسف في هذا الموقف لسيدين سيده السماوي وسيده الأرضي . ولم يجد صعوبة كبرى في هذا رغم نداء الجسد الذي قهر كثيرين . يخبرنا الكتاب ان يوسف دخل بيت سيده مرة ولم يكن هناك أحد غير الزوجة التي انتهزت هذه الفرصة فرمت نفسها عليه طالبة منه ما طلبته من قبل عشرات المرات . وحاول يوسف أن يفسر لها سبب رفضه ولكنها لم تقتنع بل تشبثت بثوبه محاولة أن تُجبره . أمام هذا لم يكن أمامه إلا أن ترك ثوبه في يدها ولاذ بالفرار . وحدث ما كان منتظرا فقد شعرت المرأة أن

كرامتها قد جُرحت فتحولت إلى وحش كاسر يبغي الانتقام ممن احتقر جمالها ورفض إغراءها ، فانقلبت عليه وحاولت أن تطيح به فاخترعت قصة قلبت فيها الموائد وادعت أن يوسف هجم عليها محاولا الاعتداء عليها . وعندما رفضته هددته بالصراخ لأحد العبيد ليقبض عليه متلبسا بالجريمة فترك ثوبه الذي كان قد خلعه وهرب . لقد قالت هذه القصة التي ابتدعها خيالها لزوجها عندما عاد في المساء من عمله . لقد قصت قصتها على فوطيفار باكية ومثلت دور الزوجة الوفية لزوجها واتهمت يوسف بأنه العبد الذي لم يحفظ جميل سيده فخانه أشر خيانة . لا نعلم إذا كان فوطيفار قد واجه يوسف بما قالته زوجته أو أنه صدقها ولم يجد سببا لمواجهته فألقي به في السجن . لم يخبرنا الكتاب ماذا كان رد فعل يوسف . هل حاول الدفاع عن نفسه ؟ هل أخبر أحداً بالحقيقة؟ أغلب الظن أنه لم يفعل فقد شعر أن أحدا لن يصدق كلمته ويكذب ما قالته زوجة سيده فآثر الصمت وأسلم أمره لله الذي رفض أن يخونه .

ربما شعر يوسف أن الله هو الذي أرسله للسجن لينجو من إغراء هذه المرأة الشريرة . المهم لقد انتقل يوسف إلى حياة جديدة ولكن ولاؤه لربه لم يتغير نتيجة للعقاب الذي ناله دون أن يقترف إثما . ولم يتركه الله فقد وجد نعمة في عيني رئيس بيت السجن فولاه على بقية المساجين . مرة أخرى يرفع الرب يوسف من الحضيض إلى المجد ، ويستمر يوسف في كنف الرب حتى يخرج من السجن ليتولى حكم مصر .

لم يخبرنا الكتاب شيئا عن زوجة فوطيفار بعد ذلك . هل حاولت أن تؤذي يوسف بعد ذلك . وبعد أن أصبح المتصرف في أرض مصر ماذا كان شعورها؟ هل رأت يد الرب الذي أطاعه يوسف فيما حدث له ؟ لا ندري .

أن قصة يوسف مع زوجة فوطيفار تعتبر من أقوى القصص في الكتاب المقدس التي تعلمنا كيف يكون الصمود أمام التجربة القاسية فقد كانت هذه التجربة التي مرت بيوسف من أقسى التجارب التي مرت على أحد أولاد الله . فالعادة أن الرجل هو الذي يطارد المرأة . وبما أن يوسف قد قطع على نفسه عهدا إلا يمس امرأة كان من المنتظر ألا يتعرض لهذا النوع من التجربة .. أما في هذه الحالة فالمرأة هي التي طاردته وأغرته فكان الموقف صعبا وخطيرا وخصوصا أن المرأة التي فعلت هذا كانت جميلة ومن طبقة أعلى اجتماعيا ممن حاولت إغراءه . ولكن يوسف تذكر خالقه في أيام شبابه ورفض أن ينزلق إلى مستوى هذه المرأة الشريرة فترك ثوبه وهرب . يعلمنا هذا أيضا أن في كثير من التجارب يكون الهرب هو الوسيلة الوحيدة للنجاة من الخطية .

٤١- دليلة

المرأة التي باعت رجلها من أجل المال

هذه هي دليلة امرأة شمشون الجبار وقد اخترناها لأن الله وهبها صفات لم يهبها لكثير من النساء فقد حباها بجمال نادر وذكاء لماح ولكنها استعملتهما استعمالا خاطئا فقد باعت رجلها وخانت عهدها معه حبا في المال ولأنها تسببت في موت واحد من أشهر القضاة الذين عينهم الرب لينقذوا بني إسرائيل من طغيان أعدائهم الفلسطينين.

وقصة دليلة مدونة في سفر القضاة. يذكر كاتب السفر أنه بعد موت يفتاح الجلعادي قضي لإسرائيل عدة قضاة ولكنه لم يكتب عنهم شيئا كثيرا فلم تكن في حياة أحد منهم مايستحق

الذكر . ثم ذكر أن بني إسرائيل عادوا يعملون الشر في عيني الرب فدفعهم ليد الفلسطينيين أربعين سنة يذلونهم ويغيرون عليهم من وقت لآخر فيقتلون من يقتلون ويسرقون ما يسرقون إلى أن فاض بشعب الله فصرخوا إليه ليخلصهم مما يعانونه . فاستجاب الرب كعادته ورزق امرأة عاقر متزوجة من رجل أسمه منوح من عشيرة دان ابنا أسمته شمشون . وكبر الصبي وباركه الرب بقوة جسدية لم يبارك بها أحدا من قبله أو من بعده فقد كان شمشون أقوى رجل خلقه الرب . وبدا روح الرب يحركه ليحقق به الخلاص الذي ولد من أجله . وكان عمله أو رسالته أن يُفني أكبر عدد من الفلسطينيين فيدخل الرعب إلى قلوب الباقين فينصرفوا عن إذلال الشعب . لا يخبرنا الكتاب إذا كان أبواه قد أخبراه بقصة ميلاده وما قاله ملاك الرب عنه . والمرجح أنهم أخبروه فعلم منهم أنه نذير للرب ولذلك لا تعلو موسى على رأسه وأن هذا هو سر قوته. يخبرنا الكتاب بعد ذلك أن شمشون هام بحب امرأة فلسطينية وطلب من أبيه أن يطلبها من ذويها لتكون زوجة له وقد أبدى اباه وأمه عدم ارتياحهم أن يتعدى ابنهم على وصية الرب فيأخذ لنفسه زوجة من الفلسطينيين بينما هو نذير الرب . ولكن شمشمون أصر ويخبرنا الكتاب أن هذا كان من الرب فقد سمح له بهذا حتى يتخذ من علاقته بالفلسطينيين عن طريق امرأته ذريعة لكي يفني منهم ما يستطيع. وتزوج شمشون من الفلسطينية .. وحدث أنه قتل شبل أسد بالقرب من بيتها وعندما عاد لنفس المكان بعد أيام رأي رِمة الأسد وإذا بالنحل قد صنع عسلا في جوفها فأخذ منه شمشون وأكل وأعطي والديه . وصنع وليمة لغلمان الفلسطينيين وتحداهم بأن حاججهم بلغز لو حلوه في مدى سبعة أيام يعطي كلا منهم قميصا وحلة ثياب وكانوا ثلاثين وإلا فهم يعطونه ثلاثين قميصا وثلاثين حلة ثياب. أما اللغز فكان «من الآكل خرج أكل

ومن الجافي خرجت حلاوة» ولما لم يعرفوا هددوا امرأته بحرق بيتها وبيت أبيها فبكت لشمشون فأخبرها بالحل وخسر الرهان. وكان عليه أن يفي بما عليه فنزل إلى أشقلون وقتل من الفلسطينيين ثلاثين رجلا وأعطي ما سلبه منهم للغلمان الذين حاججهم . وكان هذا أول دليل أن شمشون الجبار أكثر الرجال بأسا كان ضعيفا أمام امرأة خصوصا عندما تبكي أمامه .

أما قصة دليلة فحدثت بعد هذا ولعلها قد عرفت عن ضعفه عندما سمعت قصة اللغز وكيف انتهت . ويقول كاتب السفر أنه أحب امرأة أسمها دليلة وكان يتردد عليها فزارها أقطاب الفلسطينيين وقالوا لها أنهم سيعطونها كل منهم ألف ومائة شاقل فضة إذا استطاعت أن تستدرج شمشون فيخبرها بسر قوته . وعندما نسأل ما مقدار الفضة التي وعدوها بها نجد أنها كانت مقدارا كبيرا فإذا فرضنا أن أقطاب الفلسطينيين كانوا ثلاثة أو أربعة وكل منهم سيعطيها ألف ومائة شاقل فضة يكون المجموع حوالي خمسة آلاف من الفضة . وعندما نقارن هذا بما باع به يهوذا الأسخريوطي رب المجد وهو ثلاثين من الفضة أتضح لنا جسامة المكافأة التي وعدوا بها دليلة إن سلمت لهم شمشون . وكانت دليلة تعلم أنها لو فعلت ما يطلبون سوف يكون في هذا نهاية الرجل الذي أحبها . ولكنها كانت محبة للمال شأنها في ذلك الكثيرين فوافقتهم وبدأت تخطط خطتها وماذا ستفعله لكي تحصل على ما يريدونه . ولم يُطل بها التفكير فقد كانت تعلم تأثير جمالها على شمشون الذي عرفت عن ضعفه أمام زوجته من قبل .

وعندما نفذت خطتها وسألته عن سر قوته لم يجبها شمشون بالحقيقة بل خدعها ثلاث مرات ، فقد كان يعلم أنه إذا نكث عهده مع الرب تخلي عنه وغادرته قوته فيقتله الفلسطينيون في الحال

أي أن إفصاحه عن سره هو بمثابة الحكم بالإعدام على نفسه . لذلك لم يرد في البدء أن يخبرها فخدعها ثلاث مرات .

وأخيرا استعملت سلاحها الأخير فذكرته بحبه لها وعاتبته على كذبه وقالت له كيف تقول أنك تحبني وقلبك ليس معي . يخبرنا الكتاب في محاولة التماس بعض العذر له فيما فعل أن شمشون ضاقت نفسه إلى الموت فقد كان يحب دليلة ولكنه كان يحب الرب أيضا وحار بين ولائه له والولاء لدليلة وبعد صراع دام أيام تغلب ولاؤه لها فأخبرها بسر قوته فتركه الرب . وهو في هذا لم يكن فريدا . ففي الكتاب المقدس قصص أخرى راح ضحيتها رجال عظماء بسبب إنبهارهم بحب نساء جميلات . وأكبر وأشهر هؤلاء سليمان الملك أحكم من عاش على الأرض فبرغم هذه الحكمة التي أنتجت ٣ كتب من التعاليم النادرة في العهد القديم والتي فيها حذر الرجال من سطوة وتأثير النساء عليهم نجده في آخر أيامه يضعف أمام النساء اللاتي تزوجهن فيميل قلبه ويعبد آلهة أخرى غير الأله الواحد الذي وهبه هبات لم يهبها لأحد غيره . قال سليمان الحكيم في سفر الأمثال «الآن أيها الأبناء أسمعوا إلى وأصغوا لكلمات فمي . لا يمل قلبك إلى طرقها ولا تشرد في مالها لأنها طرحت كثيرين جرحي وكل قتلاها أقوياء». (أم ٧:٢٥ ، ٢٦).

وعندما ضعف شمشون وأخبر دليلة بسره أنتظرت حتى نام على ركبتيها ودعت رجلا فحلق سبع خصل من رأسه ففارقته قوته. ودخل أقطاب الفلسطينيين وقبضوا عليه . وقبضت دليلة الفضة ثمنا لخيانتها وثمنا لدم شمشون الجبار كما قبض يهوذا الاسخريوطي الفضة ثمن دم رب المجد. والفارق الوحيد هنا أن يهوذا ندم على فعلته ، لم يتب ولكنه ندم ، فحاول أن يعيد الفضة إلى رؤساء الكهنة بعد أن رأي ما فعلوه في رب المجد . ولكن لم يخبرنا الكتاب أن دليلة قد ندمت على ما فعلت . وأغلب الظن أنها

تمتعت بما أعطوه لها وعاشت في عيش رغد متمعة بما أحرزته من شهرة بين الفلسطينيين وزعمائهم فهي التي سلمت لهم عدوهم الأكبر شمشون. وكان الفلسطينيين قد صمموا ألا يقتلوا عدوهم بل فقأوا عينيه ودعوه يعيش في وسطهم في مذلة يكفر فيها كل يوم عما صنعه فيهم فقد كان يطحن في بيت السجن بدلا من الدواب التي كانوا يستعملونها لهذا الغرض . لقد تحول شمشون الجبار إلى ألعوبة في يد أعدائه وبعد أن كانوا يرهبونه ويخافونه أصبحوا يلعبون به ويتشدقون بقوة آلهتهم التي أذلت عدوهم الذي دوخهم سنينا طويلة . أما شمشون فعاش في وسطهم صامتا لا يقول شيئا. يا ترى فيما كان يفكر كل هذه الفترة التي قضاها في سجن أعدائه ؟ هل أحس بالندم ؟ هل أحس أنه خان إلهه وشعبه؟ أغلب الظن أنه كان يفكر كل يوم فيما فعله فلا يلوم أحدا إلا نفسه . وكلما أمعن الفلسطينيون في إذلاله كلما زاد شعوره بالحسرة والألم يعصرانه لأنه فرط في عطية الله من أجل امرأة لا تستحق حبه . ومضت الأيام وشمشون يقترب تدريجيا من الله . ومع عودته إليه وندمه علي ما فعل بدأ شعره ينمو. ولم ينتبه الفلسطينيون لهذا وإلا كانوا حلقوا شعره مرة أخرى ولكنهم لم يتصوروا أن الله سيرد له قوته الخارقة. ولكن الرب عفا عنه وأعاد له قوته . يخبرنا الكتاب أنه كان عيد لآلههم داجون فذبحوا له ذبائح كثيرة واجتمعوا في هيكله ليشكروه لأنه دفع لأيديهم شمشون الذي خرب أرضهم وكثر قتلاهم . فلما طابت قلوبهم بالخمر طلبوا شمشون ليلعب أمامهم لكي يمضوا في إذلاله ، فليس أنسب ولا أجمل في عبادتهم لآلهتهم من أن يستعرضوا ما صنعوه في شمشون عدوهم الأكبر . وعندما أحضروا شمشون هللوا عليه وصاحوا في وجهه بالشتائم واللعنات. ولكنه طلب من الغلام الذي أحضره أن يدعه يلمس الأعمدة التي يستند عليها

الهيكل . ونظر شمشون إلى فوق وصلى للرب قائلا «يا سيدي الرب أذكرني وشددني يا الله هذه المرة فقط فأنتقم نقمة واحدة عن عيني من الفلسطينيين» (قض ١٦:٢٨) وقبض على العمودين وانحنى بقوة عليهما فسقطا وسقط الهيكل على كل من فيه ومات الجميع ومعهم شمشون الذي أراد أن يموت مع أعدائه وينهي حياته في سبيل الرب.

لا شك أن دليلة كانت هناك في هذا الاحتفال الكبير وأنها تمتعت برؤيتها لشمشون الذي خانته وهو ضعيف يضحكون عليه ويهزأون به ولكنها ماتت مع الآلاف الذين كانوا هناك فدفعت ثمن خيانتها ومحبتها للمال وكان الثمن هو حياتها .

٤٢ - ساحرة عين دور

المرأة التي رأت صموئيل بعد موته

هذه هي ساحرة عين دور وقد أخترناها لأن الله أعطاها مواهب لو أستعملتها لمجده لكانت إحدي النبيات ولكانت حياتها أسعد ولكنها آثرت أن تتبع الشيطان ، ليس هذا فقط بل سلمت حياتها له فأصبحت ساحرة. فقد فضلت الظلمة على النور.

وقصة هذه المرأة مدونة في سفر صموئيل الأول. وحدثت في آخر أيام شاول أول ملوك بني إسرائيل. يقول الكتاب أن شاول الذي نظر إليه الشعب بتفاؤل عظيم عندما مسحه صموئيل النبي عليهم وكان يَنتظر أن تكون أيامه بركة عليهم، خاب أملهم عندما رأوه وقد أفسدته السلطة وتمادي في الخطيئة فأصبح وحشا يريد أن يبطش بداود الذي كان الشعب يحبه ويطارده من مكان إلى مكان طالبا أن يقتله. وأخيرا رآه يتعدى على وصايا الرب فيتركه ويأمر صموئيل أن يمسح داود ملكا في أثناء حياته. ولم

تنتهي أتعابه عند هذا بل قام عليه الفلسطينيون وهددوه وهددوا شعبه بجيش قوي. يقول الكتاب أن شاول عندما رأي الجيش خاف واضطرب قلبه جدا. وفي غياب صموئيل لم يجد مفرا من أن يسأل الرب لعله يخبره بما يفعل أو يعينه ويقويه ولكن كان الرب قد انتهى منه فلم يجبه بحلم ولا برؤيا ولم يرسل له أحد الأنبياء. فضاقت الدنيا في وجهه فطلب من عبيده أن يبحثوا له عن «امرأة صاحبة جان فاذهب إليها واسألها» (١صم ٢٨:٧).

وكان شاول في أول ملكه قد أعلن أن كل الذين يعملون في السحر والشعوذة يخالفون وصية الرب وأن كل من يقبض عليه منهم سوف يكون عقابه الموت. وكان شاول في هذا ينفذ وصية من وصايا الرب عندما أعطى الشريعة لموسي فقد قال «لا تدع ساحرة تعيش» (خر٢٢:١٨). وتردد عبيده ولكن أمام إصرار شاول أخبروه أن هناك امرأة تعيش في عين دور لها علاقة بالجان. فتنكر شاول حتى لا تعرفه المرأة وذهب لها. وعندما قابلها لم تعرفه فطلب منها أن تحضر له روح شخص ولكنه لم يذكر أسم صموئيل، فقد كان يريد أن يعرف إذا كانت المرأة مستعدة أن تخالف أوامره في هذا الشأن أم لا. وردت المرأة عليه بأن قالت له أن شاول قد هدد كل من يعمل في هذه الأعمال بالموت فلماذا تنصب لي هذا الفخ وتهدد حياتي. فأقسم لها شاول أنه لم يفعل هذا ليوقع بها وأن شرا لن ينالها إن هي فعلت ما يريد. فوافقت وسألته روح من تريد أن أصعدها لك فقال لها إصعدي لي روح صموئيل. يقول الكتاب أنها صرخت عندما رأت من أصعدت روحه لأنها علمت أن الواقف أمامها هو الملك شاول. ولكن شاول طمأنها ثانية أن شرا لن يصيبها وسألها عما رأت فردت قائلة «رأيت آلهه يصعدون من الأرض» ماذا كانت تقصد بهذا؟ هل رأت أكثر من واحد؟ لا نعلم أغلب الظن أنها رأت صموئيل وكان منظره

كمنظر إله، فهذا هو البهاء والمجد الذي يعطيه الرب لمن يشاء من محبيه. وعندما سألها شاول «ماهي صورته» فأخبرته أنه شيخ وقد غطي نفسه بجبه ، فعلم أنه صموئيل فخر على وجهه وسجد. وهنا نجد أنفسنا نسأل هل يمكن أن يسمح الله لأحد أنبيائه أن يعود إلى الأرض على يد ساحرة وهو الذي حرم هذا العمل وأمر بالموت على كل من يخالف أمره؟ أختلف المفسرون في هذا الموضوع. فبعضهم يقول أن ما رأته الساحرة ليس صموئيل بل آخر حسبته هي صموئيل، ويقول آخرون أن ما ظهر هو روح شريرة ظهرت في صورة صموئيل فالشيطان وأتباعه قادورن أن يظهروا بأي شكل يريدون حتى في شكل ملائكة، بينما آخرون يقولون أن من ظهر هو صموئيل وأن الله سمح بهذا ليرسل نبوته إلى شاول فيعلم ماذا سيحدث له في اليوم التالي. ومن الذين يقولون هذا القديس أوغسطينوس فقد كتب تعليقا على هذا الموضوع «كما أن السيد المسيح نفسه في وقت تواضعه قد سمح للشيطان أن يأخذه إلى جناح الهيكل فقد يكون سمح لنبيه صموئيل أن يظهر لشاول ليبلغه رسالة هامة منه». وما يرجح هذا أن ما قاله صموئيل كان صحيحا وقد تحقق كله. ويقول البعض أن الله يفعل أحيانا ما نحار في تفسيره فقد يكون ما فعله في هذه الحالة شبيه بما فعله عندما أرسل موسى وإيليا ليقويا المسيح عندما تجلي على الجبل قبل صلبه بأيام.

المهم أن شاول لم يشك في أن صموئيل هو الذي قال ما رددته المرأة.

يخبرنا الكتاب أنه خاف جدا وسقط على الأرض ومكث في منزل المرأة بقية الليل والنهار التالي حزينا مرتاعا غير قادر على أن يفعل شيئا فلم يأكل شيئا. ونظرت المرأة فرأته في هذه الحالة من الضعف والخوف فقالت له أنها ضحت بحياتها عندما لبت ما

طلبه ورجته أن يأكل شيئا قبل أن يذهب لمقابلة الفلسطينيين ولكنه رفض. ولكن عندما ألح عليه عبداه اللذان كانا معه أكل وهم ثم انصرفوا. وعندما نتأمل فيما صنعته هذه المرأة الشريرة نجد أنه رغم خطيتها عندما سلمت روحها للشيطان وأشتغالها بالسحر. إلا أنها نظرت لشاول وهو في حالة الحزن والخوف الذي ألم به فلم تَرى ملكا بل رأت إنسانا قد عصره الحزن فأشفقت عليه وأصرت أن تساعده بأن تقوم بواجب الضيافة نحوه. فذبحت العجل المسمن وخبزت فطيرا وصنعت وليمة له ولعبديه قبل أن ينصرفوا ليواجهوا الفلسطينيين وكأنها كانت تكرم أشخاصا حكم عليهم بالإعدام قبل أن يُنفذ فيهم الحكم. فقد سمعت بأذنيها حكم الموت الذي صدر من الله وقاله صموئيل فرآت أن تقوم بهذا العمل لعل الله يغفر لها ما أخطأت فيه. من هذا يتضح لنا أن كل إنسان مهما كان شره هو مزيج من الخير والشر ولو أن هذا المزيج لا يظهر في كل إنسان. إلا أنهه ظهر في هذه المرأة الشريرة ولو كانت إختارت عملا آخر غير الذي اختارته لكان الله شجعها وقوى فيها الخير الذي وضعه في قلبها فطغي على الشر الذي وضعه فيها عدو الخير ولكنها اختارت الأخير فكان مصيرها مظلما.

نقطة أخرى تستحق التعليق في هذه القصة الفريدة وهو بعض ما قاله صموئيل لشاول فقد ختم كلامه بأن قال «غدا أنت وبنوك ستكونون معي» (١صم ٢٨:١٩). فهل معني هذا أن مصير شاول بعد موته كان مثل مصير صموئيل بما أنهما سيكونان في مكان واحد؟ كيف يمكن أن يحدث هذا ونحن نعلم الفرق بينهما؟ إن التفسير هو أن صموئيل كان في ذلك الوقت مقبوضا عليه مع بقية البشر في الجحيم حيث كان إبليس يأخذ أرواح الجميع لأن الجميع أخطأوا ولم يكن الخلاص قد مُنح بعد. ولكن عندما نزل

السيد المسيح إلى الجحيم بعد صلبه وخلص أرواح المسبيين كان صموئيل من ضمن هؤلاء ولكن شاول لم يكن.

٤٣ - صفورة

المرأة التي تزوجها موسي وخالفته

هذه هي صفورة زوجة موسي النبي وقد أخترناها لأنها خالفت زوجها رغم كل ما سمعت ورأت من صفاته العظيمة التي أنعم عليه بها الرب. ولو كانت أطاعته لكان لها تأثيرا في حياة الشعب اليهودي ولكنها أصرت أن تستمر امرأة أممية لا تخضع لزوجها اليهودي.

وتبدأ قصة صفورة عندما علم موسى الذي تربي في بيت فرعون أنه ليس الأمير المصري بل أنه عبد يهودي وجدته ابنة فرعون في النيل فأنقذته وتبنته. وعندما علم موسي هذا نزل إلى إخوته لينقذهم فرأي مصريا يضرب عبرانيا فقتل المصري. وعندما علم فرعون بما حدث طلب أن يقتل موسي فهرب موسي من وجهه وسكن في أرض مديان وهناك تعرف على يثرون كاهن مديان وتزوج من ابنته الكبرى صفورة. وولدت صفورة ابنها البكر ودعاه موسي جرشوم ومعناه كنت نزيلا في أرض غريبة. وقد أراد موسي أن يختن ابنه كأمر الله لإبراهيم وذريته ولكن صفورة أبت فقد تمسكت بعادات قومها الوثنية ولم ترد أن تتبع إله زوجها.

يخبرنا الكتاب أن فرعون مات وقام مكانه آخر وهذا أساء معاملة بني إسرائيل فصرخوا إلى الله ليرفع عنهم العبودية التي كانوا فيها. واستمع الله إلى صراخ شعبه فظهر لموسي في العليقة وإذا بها تشتعل بنار ولكنها لم تحترق. وتعجب موسي مما رأي

وصمم أن يقترب منها ليختبرها عن قرب. عند ذلك ناداه الرب من وسط العليقة وأمره أن يخلع حذاءه لأن الأرض التي هو واقف عليها أرض مقدسة. وكانت هذه أول مرة يحدثه الله ولكن موسي أدرك من هو الذي يحدثه فخلع حذاءه فقال له الرب «أنا إله أبيك وإله إبراهيم وأسحق وإله يعقوب.. إني رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم.. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين» (خر ٣:٧ ، ٨) ثم أمره الرب أن يذهب إلى أرض مصر ليُخرج شعبه من مصر. وعندما سمع موسي هذا خاف ولم يرد أن يذهب وبدأ ينتحل الأعذار. وكان موسي كان قد مضي عليه ٤٠ سنة بعيدا عن مصر قضاها في الصحراء يرعى غنم يثرون. لقد تغير كثيرا في هذه السنين الطويلة. إن موسي هذا الذي حاول أن يخلص شعبه بمجهوده الشخصي عندما قتل المصري شعر في ذلك الوقت أنه قادر أن يخلصهم بقوته ونفوذه في بلاط فرعون ولكنه اكتشف أنه عاجز فهرب ولكننا نجده الآن وقد تخلص من كبريائه واعتماده على نفسه فيقول للرب «من أنا حتى أذهب لفرعون» (خر ٣:١١). لم يدرك موسي من قبل أن الله لم يستعمله لكبريائه واعتداده بنفسه. أما وقد علمته الأربعون سنة التي قضاها في البرية التواضع وعرف حجمه الحقيقي، الآن يستطيع الله أن يستعمله لتحقيق أغراضه.

يخبرنا الكتاب أن موسي أبدى عدة أسباب ليقنع الله أن يُرسل غيره فقد أخبره أن إسرائيل لن يصدقونه وإذا سألوه ما اسم هذا الإله فماذا أقول لهم ورد الله على السؤال بقوله «أنا من أنا». عند ذلك آثار اعتراضا آخر فقال إنهم لن يصدقوني بل سيقولون لم يظهر لك الرب فقال له الرب إلقي العصاة التي بيدك فألقاها فإذا بها حية وعندما أمسك بها تحولت إلى عصاة ثم أمره أن يدخل يده في عبه فأصبحت برصاء وأعادها فزال البرص.

ثم اعتذر بأنه ثقيل اللسان.. ألخ ولما رأي إصرار الرب على ما أمره به امتثل للأمر.

بعد هذه المقابلة الطويلة عاد موسي إلى بيته وأخبر يثرون وصفوره بما حدث وأن الرب ظهر له وأمره أن يذهب ليخرج شعبه من أرض مصر، فوافقا على سفره. ولكن صفورة فضلت البقاء مع أهلها فتركت موسي يذهب لمصر بمفرده وهي تعلم أن حياته سوف تكون في خطر وربما أصابه مكروه فلا تراه بعد ذلك. إن مكانها كان بجانب زوجها ولكنها تخلت عنه وآثرت البقاء في مديان. وقبل أن يرحل موسي حدث له حادث غريب. يقول الكتاب «أن الرب التقي به وطلب أن يقتله» (خر ٤:٢٤). وكان هذا بسبب عدم موافقة صفورة على ختن ابنها حسب ما أمر الله به شعب إسرائيل. ولم يذكر الكتاب ماذا حدث لموسي. هل شعر أنه في خطر؟ هل حدثه الله؟ هل أدرك أن الله على وشك أن يعاقبه لأنه لم يختن ابنه؟ هل شعر أن الله قد أعطاه مهلة لكي ينفذ وصيته؟ وهل أخبر صفورة بهذا؟ لا نعلم كل ما نعلمه أن صفورة أدركت أن زوجها في خطر وأن السبب هو عدم إختتان ابنه ففتشت بسرعة عن شيء تقطع به غرلة ابنها فلم تجد إلا صوانة فختنت ابنها ولمست رجلي موسي بدم ابنه فرجع الرب عن غضبه ولم يقتل موسي.

عندما نتأمل في هذا الحدث الغريب نجد أنفسنا نتساءل لماذا لم يذكر الله هذا الأمر لموسي عندما قابله ودعاه للذهاب إلى مصر؟ لقد رأينا أن هذه المقابلة استغرقت وقتا طويلا وكان الله يعلم أن ابن موسي لم يختتن فلماذا لم ينبهه وحاول أن يقتله دون مقدمات؟ ربما كان الله ينتظر من موسي أن يختن ابنه قبل ذهابه لمصر فلما لم يفعل إضطر إلى ما فعل ليشعره بفداحة إهماله. إن الله اعتبر موسي مسئولا عما حدث رغم أنه حاول ولكن صفورة

رفضت. فهل كان منتظرا أن يعاقبها الرب بدلا من أن يعاقب موسي؟ الجواب بالنفي، فالرجل بمثابة الكاهن في منزله ومع أسرته وقد ألقي عليه الرب هذه المسئولية فكان يجب على موسي أن يصر على ختان ابنه حتى في الظروف التي أحاطت به. فقد كان في أرض غريبة وفي وسط شعب لا يعرف الله ولكنه كان هو المسئول أولا وأخيرا. لقد تسببت صفورة في كل هذا لعنادها وعدم خضوعها لزوجها فقد شعرت أنه ليس من عشيرتها فرفضت أن تستمع له. إن صفورة لم تكن زوجة محبة لزوجها مطيعة له تشاركه في السراء والضراء فقد رفضت أن ترحل إلى مصر مع زوجها مفضلة الأمان والراحة في البقاء على العناء والتعب إذا صاحبت زوجها. يا تري ماذا كان شعور موسي وهو يرى زوجته وولديه محجمين عن السفر معه؟ أغلب الظن أنه رأي أصبع الله في ذلك وكيف أن صفورة قد أختارت الصالح لها ولولديه وربما طلب من الله أن يحفظهم في غيابه وأن يرعاهم برعايته. وذهب موسي إلى مصر ووقف أمام فرعون يطلب منه أن يطلق الشعب ليعبدوا إلههم. وقصة فرعون مع بني إسرائيل قصة معروفة فقد رفض فرعون واضطر الله أن يضربه وبقية أرض مصر بعشر ضربات قوية قبل أن يوافق على رحيل بني إسرائيل.

وخرج بني إسرائيل من مصر بقيادة موسي. وبعد خروجهم يخبرنا الكتاب أن صفورة وولديها وأباها جاءوا إلى سيناء ليقابلوا موسي. وقد استقبلهم موسي بالترحاب والإكرام وكان هذا آخر ما سمعناه عن صفورة.

لا شك أن موسي قد أخبرها بكل ما صنعه الرب والمعجزات التي آجراها على يديه فهل آمنت أم ظلت على عنادها ورفضها لإله إسرائيل؟ لا نعلم فلم يخبرنا الكتاب عن مصيرها ولو أنها آمنت لذكر الكتاب فالسماء تفرح بخاطيء واحد يتوب أكثر من

تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون للتوبة.

٤٤ - ميكال زوجة داود

المرأة التي احتقرت أشهر ملوك بني إسرائيل

هـذه هـي ميكال زوجة داود وبنت شاول أول ملـوك بـنـي إسرائيل. وقد أخترناها لأن الله وهبها جمالا وذكاء لو أستعملتهما لأصبحت ملكة عظيمة وقاسمت زوجها الملك داود ما أغدقه الله عليه من مجد ولكنها تبعت الشيطان فلم تحقق شيئا وماتت دون ذرية.

تبدأ قصة ميكال عندما اصطف جيش بني إسرائيل تحت قيادة أبيها الملك شاول أمام جيش الفلسطينيين في وادي البطم وبينما هم وقوف خرج عملاق من صفوف الفلسطينيين اسمه جليات وتحدي صفوف بني إسرائيل طالبا منهم أن يرسلوا أحسن من فيهم ليحاربه. فإذا قتل جليات يصبح جيش الفلسطينيين عبيدا لهم. أما إذا قتله جليات فيخضع بني إسرائيل ويصبحوا عبيدا للفلسطينيين. لقد غير جليات بهذا مفهوم الحرب فبدلا من أن تحدث بين جيشين أقترح أن تكون بين رجلين كل منهما يمثل جيشه. ففي هذه الحالة لن يموت مئات أو ألوف بل سيموت رجل واحد. وكان جليات يعرض هذا لأنه عملاق ولا يباريه أحد في قوته أو براعته في القتال. يقول الكتاب أنه أعلن هذا التحدي أربعين يوما ولم يجرؤ أحدٌ من صفوف بني إسرائيل أن يقبل التحدى فقد خافوا جميعا من ذلك المارد الجبار. ولكن عندما وصل داود إلى ساحة الحرب ليطمئن على أخوته وعلى الحرب بناء على طلب والده الذي أرسله، وكان داود في ذلك الوقت حدثا لم يصل إلى سن الجندية بعد. ولكن عندما سمع بما حدث ورأي

جليات وسمعه ثار للرب وعبر عن ثورته بقوله «من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يعير صفوف الله الحي؟» (اصم ١٧:٢٦). وعرض على الملك شاول أن يحاربه وبعد تردد وتفكير واتهام أخاه الأكبر إياه بالكبرياء وافقوا وألبسوه حلة الحرب ولكنه لم يستطع أن يمشي بها فقد كانت ثقيلة فخلعها وأعطاها لهم وكذلك آلات الحرب التي أعطوها له. وأخذ عصاه ومقلاعه وانتخب خمسة أحجار وتقدم ليقاتل جليات. وعندما رآه العملاق لعنه وضحك منه ولكن داود رد عليه قائلا «أنت تأتي إلي بسيف ورمح وأنا آتي إليك باسم رب الجنود إله صفوف الإسرائيليين الذين عيرتهم. هذا اليوم يحبسك الرب في يدي فأقتلك وأقطع رأسك وأعطي جثث جيش الفلسطينيين هذا اليوم لطيور السماء وحيوانات الأرض فتعلم كل الأرض أنه يوجد إله لإسرائيل» (ا صم ١٧:٤٦). وتقدم داود ليقابل عدوه فالتقط حجرا ورماه بالمقلاع فأصاب جليات في جبهته فسقط على الأرض وتقدم داود وأخذ سيفه وقطع به رأسه. وهرب الفلسطينيون أمام بني إسرائيل وقتلوا منهم عددا كبيرا فكان انتصارا عظيما. إن ما حدث في ذلك اليوم خلده التاريخ فأصبحت قصة داود وجليات من أشهر القصص التي وردت في الكتاب المقدس يرددها المؤمنون كمثال للإيمان القوي الذي يحقق المعجزات ولمحبة الله للذين يتبعونه وحمايته لهم.

ولاعجب فقد كتب داود بعد ذلك مزموره المشهور «الرب راعي فلا يعوزني شيء» (مز ٢٣) ولعله كان يفكر عندما كتب هذا في ذلك اليوم الذي واجه فيه الموت في شخص جليات الجبار ولم يخاف منه لأنه كان يعلم أن الله سوف ينقذه منه. يخبرنا الكتاب أن هذه الحادثة قد أعطت داود شهرة في المنطقة كلها. فقد أعجب به الشعب وتغنوا بشجاعته وأغلب الظن أن ميكال بنت شاول الصغري كانت إحدي المعجبات فبجانب شجاعته كان داود جميل

الصورة وكان يحسن العزف على العود. وكان الملك شاول قبل قدوم داود قد وعد أن من يقتل جليات سوف يغنيه الملك ويعطيه ابنته. وكان المفروض أن يعطي شاول ابنته الكبري ميرب لمن يقتل جليات. ولكن بعد أن فعل داود هذا لم يعطه شاول ميرب بل أعطاه ميكال وأعطي ميرب لآخر ولكن داود لم يعترض. بجانب هذا نجد أن شاول أضاف شرطا جديدا لم يذكره من قبل وهو أن يكون مهر ميكال ١٠٠ غلفة من الفلسطينيين. وكان شاول قد دخلته الغيرة من شهرة داود ومحبة الشعب له فأراد أن يدفعه وراء الفلسطينيين لعلهم يقتلوه فيتخلص منه. ولكن داود وافق على الشرط الجديد فخرج هو ورجاله وقتلوا ٢٠٠ فلسطيني وأعطوا غلفهم لشاول فأعطاه ميكال. وأحبت ميكال داود وعاشت معه فترة. فقد بدأت حياتها الزوجية بداية حسنة، فعندما أراد أباها أن يقتل داود ساعدته في الهرب. فلما علمت أن رجال شاول سوف يهاجمون بيتها ليقتلوا داود في الصباح أخبرته وأنزلته من الكوة ليهرب بحياته بينما وضعت ترافيم وغطتها لتظهر وكأنها داود نائما. وعندما أرسل شاول رجاله قالت لهم ميكال أن داود مريض. وعندما أرسلهم ثانية واقتحموا حجرة نومه وجدوا الترافيم مكانه وعندما أخبروا شاول بما فعلته ابنته انفجر غاضبا منها على ما فعلته ولكنها لم تبالي لأنها كانت تحب زوجها. أما داود فهرب وتابعه شاول ورجاله من مكان إلى مكان.

وكان الله في كل مرة ينقذه من يده. وعاش داود فترة بعيدا عن بيته وعن امرأته فوهبها أبوها لرجل آخر أسمه فلطي بن لابش لتكون زوجة له. وكان هذا زواجا غير شرعي فقد كان داود على قيد الحياة ولم يطلق زوجته. ويبدو أن ميكال لم تمانع في هذا الزواج الخاطيء لأن حبها لداود كان قد انتهي ولم ترد أن تنتظره إلى ان يعود فضحت بعلاقتها معه في سبيل رجل آخر. وكانت

هذه الفعلة من أكبر أخطائها التي أرتكبتها في حياتها وقد عاشت لتري عقابها على ما فعلت.

ودارت الأيام ومات شاول في معركة ضد الفلسطينيين وأصبح داود ملكا على إسرائيل. فأرسل إلى أيشبوشث أخو ميكال يطلب منه أن يرسل ميكال امرأته لينهي الحساب بينه وبين عائلته. فأخذها أيشبوشث من زوجها فلطي بن لابش وأرجعها لداود. يقول الكتاب أن فلطي كان يسير معها ويبكي وراءها ولكن لم يذكر أن ميكال قد بكت على فراق الرجل الذي أحبها وربما تكون قد سرت لأنها ستكون ملكة على إسرائيل أو على الأقل كان هذا حلمها وهي في طريقها إلى داود ولكنه كان حلما لم يتحقق. وعادت ميكال إلى بيت داود ولكن لم يذكر الكتاب شيئا عن استقبال داود لها ولا معاملته لها بعد ذلك. من المرجح أن داود طلب رجوعها ليرد كرامته التي أهدرها شاول عندما أعطى زوجته لرجل آخر. ولم يُعرها أي انتباه عندما عادت عقابا لها على قبولها الزواج من فلطي فقد كان واجبها أن ترفض حتى لو عاقبها شاول. وكان داود قد تزوج عدة نساء وهن ابيجال امرأة نابال وأجينوعم اليزراعيلية ومعكة بنت ملك حشور وحجيت وابيطال وعجلة.

واستقر الحكم لداود وصمم أن يُرجع تابوت العهد إلى أورشليم بعد أن كان قد تركه في بيت عوبيد أدوم. وكان الشعب قد ذهب معه في احتفال كبير. وكان داود يذبح ثورا وعجلا معلوفا كلما تحرك تابوت العهد ست خطوات. وكان الشعب يصيح ويبوق بالأبواق وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب حتى وصل إلى المدينة وأطلت ميكال من الكوة ورأت داود يرقص فاحتقرته في قلبها ولم تكتف بهذا بل خرجت ووبخته أمام الجميع قائلة «ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حتى تكشف في أعين إماء عبيده

كما يتكشف أحد السفهاء» (٢صم ٦:٢٠). فرد عليها داود قائلا «إنما أمام الرب الذي أختارني دون أبيك ودون كل بيته ليقيمني رئيسا على شعب إسرائيل، فلعبت أمام الرب وإني أتصاغر دون ذلك وأكون وضيعا في عيني نفسي. أما عند الإماء التي ذكرت فأتمجد» (٢ صم ٦:٢١).

وعندما نتأمل فيما قاله كل منهما نجد أن ميكال لم تفرح برجوع تابوت العهد بل رأت شيئا واحدا أن الملك لم يحترم نفسه عندما رقص فرحا بالرب وهذا يعكس كبريائها واهتمامها بالمظهر. بينما نجد التواضع وحب الله واحتقار المظاهر واضحا في كلام داود. يخبرنا الكتاب أن داود لم يعرف ميكال ولم ينجب منها أولادا وأنها أنهت حياتها بعيدة عن الرب لا تعرفه ولا تعبده.

٤٥ - إيزابيل زوجة الملك آخاب

المرأة التي هددت إيليا النبي

هذه هي إيزابيل زوجة الملك آخاب وقد أخترناها لأنها تعتبر من أشر النساء اللاتي ورد ذكرهن في الكتاب المقدس ولأن تأثيرها كان قويا في مجرى الحوادث في الوقت الذي عاشت فيه فقد كانت زوجة لأشر الملوك الذين حكموا مملكة إسرائيل بعد إنفصالها عن مملكة يهوذا .

لقد سطرت قصة هذه المرأة الشريرة في سفر الملوك الأول عندما ذكر كاتب السفر أن «أخاب بن عمري ملك إسرائيل أتخذ إيزابيل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين امرأة» (امل ١٦:٣١) ويبدو أن زواجه من إيزابل كان سببا في الشر الذي صنعه في عيني الرب فبعد أن تزوجها يذكر الكتاب أنه بني مذبحا للبعل الذي

كانت زوجته تعبده، في السامرة . ويصف الكتاب ما فعله آخاب بأنه فعله «لإغاظة الرب إله إسرائيل أكثر من جميع ملوك إسرائيل الذين كانوا قبله» (١ مل ١٦:٣٣) وعندما نتأمل في هذا نجد أن معظم الخطاة عندما يخطئون لا يفكرون في إغاظة الله بل يفعلون ما يفعلونه لأنجذابهم إلى فعله لمنفعة أو شهوة . ولكن آخاب كان يفعل الشر ليتحدى الله . ولذلك كان يتعبر من أشر ملوك بني إسرائيل . ولا شك أن إيزابل قد لعبت دورا هاما في هذا فقد كانت شريرة وشريكة له في تحدى وإغاظة الرب .

يحدثنا الكتاب بعد ذلك أن الله أحب أن يؤدب بني إسرائيل على عبادتهم للبعل فأوعز لنبيه إيليا أن يعلن أنه لن يكون طل أو مطر إلا عندما يقول الرب . وجفت الأنهار وقامت مجاعة في الأرض . وكانت إيزابل قد قتلت جميع أنبياء الرب إمعانا في تحديها له . وكان هناك رجل صالح اسمه عوبديا فأخذ مائة نبي وخبأهم وعالهم . وفي اليوم الذي أمر فيه الرب إيليا أن يذهب لمقابلة آخاب ليخبره بانتهاء الجفاف أنه قابل عوبديا فطلب منه أن يذهب ويقول للملك أن إيليا يريد أن يقابله .. وخاف عوبديا أن يقول ذلك لأخاب ويعود فلا يجد إيليا ولكن إيليا أكد له أنه سوف يقابل آخاب. وقابل إيليا الملك وطلب منه أن يجمع كل أنبياء البعل والسواري وكان عددهم ثمانمائة وخمسين وكذلك كل الشعب . ولما أجتمع الجميع صاح إيليا فيهم قائلا : «إلى متى تعرجون بين الفرقتين إن كان الرب هو الإله فأتبعوه ، وإن كان البعل فاتبعوه» (١ مل ١٨:٢١) وطلب إيليا أن يحضروا ثورين يعطوا واحدا لكهنة البعل والآخر له ويقدم كل ثورة فالإله الذي يستجيب بنار من السماء يكون هو الإله وأعرب الشعب عن موافقتهم على ما قاله إيليا . فقدم أنبياء البعل ثورهم على مذبح البعل وصاحوا لإلههم من الصباح إلى الظهر وجرحوا أنفسهم طالبين منه أن

ينزل ناره على الذبيحة ولكن لم يحدث شيئا . عند ذلك تقدم إيليا ورمم مذبح الرب المنهدم ورتب الحطب ووضع الثور وأمر أن يصب عليه ٤ جرات مملوءة ماء وكرر هذا ثلاث مرات . ثم صلي للرب فاستجاب الرب بنار آكله من السماء أكلت الذبيحة والحطب والحجارة فسقط الشعب على وجوههم وصرخوا بصوت عظيم «الرب هو الإله الرب هو الإله». عند ذلك أمرهم إيليا أن يقبضوا على أنبياء البعل ولا يدعوا واحدا يفلت منهم . فنزل بهم إيليا عند النهر وذبحهم واحدا واحدا . ونزل المطر وانتهي القحط .

وعندما أخبر آخاب إيزابل بما حدث وكيف ذبح إيليا جميع الأنبياء الكذبة أرسلت لإيليا رسالة تقول فيها «هكذا تفعل الآلهة وهكذا تزيد إن لم أجعل نفسك كواحدة منهم في نحو هذا الوقت غدا» (امل ١٩:٢) .

لم تقتنع إيزابل كما اقتنع الشعب أن ما حدث دليل قاطع أن آلهتها ليست آلهة وأن الله هو الإله الحقيقي فقد كانت شريرة شرا يعميها عن الحقيقة التي اتضحت للجميع . ولذلك أرسلت تهدد إيليا نبي الله الذي أثبت لها خطأ إيمانها وقتل أنبياءها . قد يحكم البعض أن سلوك إيزابل في هذا الموقف سلوك غير منطقي . ولكن من قال أن الإنسان منطقي فيما يؤمن به أو فيما يصنعه . إن ما يحكم الكثيرين من بني البشر هو العاطفة لا العقل ولا المنطق . لقد ظهرت العذراء مريم على قباب كنيستها في الزيتون واستمرت في الظهور اكثر من عامين ورآها الملايين فهل أمن بها كل من رآها ورجع عن شره ؟

المهم أرسلت إيزابل تهدد إيليا ويتضح من هذا أنها كانت هي الحاكم الحقيقي وليس زوجها آخاب فقد حاكمت إيليا ووجدته مذنبا واصدرت عليه حكم الأعدام دون أن ترجع لآخاب ملك البلاد وكأنها هي الحاكم الآمر ولم يستطع آخاب ان ينصحها أو

يأمرها ألا تتمادي في غضبها على إيليا لأنه رجل الله الذي أثبت وجدوه عندما أسقط النار على الذبيحة .. ليس هذا غريبا ولكن الغريب أن إيليا دخله الخوف واليأس فقد هرب من أمامها وسار في البرية مسيرة يوم . يخبرنا الكتاب أنه تعب أخيرا فجلس تحت رتمة وطلب لنفسه الموت فقال للرب «قد كفي يا رب الآن خذ نفسي لأني لست خيرا من أبائي» (امل١٩: ٤٠) نتعجب هنا من سلوك إيليا الذي لم يخشي مئات الأنبياء الكذبة ولا آخاب ملك البلاد ولا الجماهير التي كانت تعبد البعل عندما قدم ذبيحته للرب وقتل ٤٥٠ نبيا بيده . نراه هنا يخشي بطش إيزابل مما يدلنا أن بطشها ونفوذها كان معروفا للجميع . ولكننا كنا ننتظر أن يكون إيمان إيليا بربه الإيمان القوي الذي أظهره في سلوكه فلا يبالي بتهديد إيزابل . ولكن كان إيليا إنسانا ولكل إنسان ضعفات وكانت هذه هي المرة الوحيد التى ذكرها الكتاب لإيليا وظهرت فيها إنسانيته وضعفه . يخبرنا الكتاب بعد ذلك أن النعاس غلبه فقام وإذا ملاك يوقظه فيجد كعكة وكوز ماء عند رأسه فيأكلها وينام مرة ثانية فيعود الملاك يوقظه ويجد طعاما فيأكله ثم يقوم ويسير إلى جبل حوريب جبل الله . وقد استغرقت رحلته أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل فيها أيليا شيئا .. وعندما وصل دخل المغارة وبات بها . يا لحلم الله ومحبته وطول أناته عندما يخطئ أحد من أحبائه . فبعد أن استراح إيليا إذا بالرب يناديه «مالك ههنا يا إيليا ؟» فيرد عليه إيليا قائلا «قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها» (امل ١٩: ١٠) . فتراءي له الرب وأمره أن يعود ليمسح حزائيل ملكا على آرام وأليشع بدلا منه وطمأنه قائلا «وقد أبقيت سبعة آلاف كل الركب التي لم تجثو للبعل» (١مل ١٩: ١٥– ١٨) .

وتشدد إيليا وعاد له إيمانه فقام وعاد إلى السامرة ليواجه إيزابل ولكن الله كان قد سبقه فقد وجد أن بنهدد ملك آرام يحاصر السامرة وكان قد أرسل يأمر آخاب أن يستسلم دون قتال فانشغل الجميع بالموقف ونسوا إيليا وانهزم بنهدد أمام إسرائيل . ومضت سنوات ولم تنتقم إيزابل من إيليا .

بعد ذلك يخبرنا الكتاب أن رجلا أسمه نابوت اليزرعيلي كان يملك كرما بجانب قصر آخاب الملك وقد طلب منه آخاب أن يشتري كرمه لكي يحوله إلى بستان يلحقه بقصره . ولكن نابوت رفض أن يبيع ميراث آبائه . وعاد آخاب إلى قصره مغموما واضطجع على سريره حزينا . ودخلت عليه إيزابل وسألته عن سبب غمه فأخبرها بما حدث فقالت له «أأنت الآن تحكم إسرائيل ؟ قم كل خبزا وليطب قلبك . أنا أعطيك كرم نابوت اليزرعيلي» (١مل ٢١:٧) . ياللجرأة والشر الذي أظهرته تلك المرأة الشريرة . لقد أعدت خطة ونفذتها وحققت ما وعدت به زوجها الضعيف ، الذي لم يسألها عما تنوي أن تفعله . لقد كتبت إيزابل رسائل وختمتها بختم آخاب إلى الشيوخ تنادي بصوم وأن يجلسوا نابوت في رأس الشعب وأن يشهد عليه شاهدان أنه جدف على الله والملك فيرجمونه إلى أن يموت . وعندما تم هذا ذهبت إيزابل إلى زوجها وأخبرته بأن نابوت قد مات وقالت «قم رث كرم نابوت اليزرعيلي لأنه مات» لقد دبرت هذه الملكة الشريرة فعلتها الشنيعة ولم تخشي عقاب القدير فقد قتلت إنسانا بريئا لتحصل على كرمه . إن ما فعلته إيزابل يشبه ما فعله داود الملك عندما قتل أوريا الحثي ليحصل على زوجته والفرق بين الخطيتين أن داود تاب عما فعله بينما لم تتب إيزابل ولم تندم على ما فعلت لذلك عاقبها الله عقابا من نفس نوع خطيتها . فعندما سمع إيليا بما حدث قال لآخاب «في المكان الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك أنت أيضا»

(١مل ١٩:٢١). أما عن إيزابل فقد قال «إن الكلاب سوف تأكل إيزابل عند مترسة يزرعيل»(١ مل ٢٣:٢١) .

وقد تحقق كلام إيليا فقد قتل آخاب في حرب ضد آرام وعندما غسلوا مركبته في بركة السامرة لحست الكلاب دمه في نفس المكان الذي مات فيه نابوت . وبعد سنوات أوحي الرب لأليشع أن يمسح ياهو ملكا على إسرائيل . فأرسل أليشع أحد الأنبياء ليقوم بهذه المهمة . وقَتل ياهو يهورام ملك إسرائيل وجاء إلى يزرعيل حيث كانت إيزابل فلما سمعت ما حدث كحلت عينيها وزينت رأسها وتطلعت من كوة وعند دخول ياهو بادرته بقولها «أسلام لزمري قاتل سيده؟» فأمر ياهو الخصيان الذين معها أن يطرحوها إلى أسفل فطرحوها فماتت . وأتت الكلاب وأكلتها فلم يجدوا إلا الجمجمة والرجلين وكفي اليدين فدفنوها .

وهكذا انتهت حياة إيزابل الشريرة التي عاشت وماتت وهي لا تعرف الله ولا تتبع مشورته بل تصنع الشر في عينيه كل أيام حياتها .

٤٦ - عثليا

المرأة التي قتلت أحفادها لتصبح ملكة

هذه هي عثليا بنت آخاب وقد اخترناها لأنها المرأة الوحيدة التي ملكت على مملكة يهوذا ولأنها حاولت أن تنهي ذرية داود الملك التي من نسلها أتي السيد المسيح له المجد ولأنها كانت من أشد النساء اللاتي حباهن الله بمواهب نادرة ولكنها أبت أن تصنع الخير بل تمادت في عمل الشر في عينيه.

وقصة عثليا تبدأ في سفر الأيام الثاني فقد ذكر كاتب السفر أنه بعد سنينا عديدة وحروبا كثيرة بين مملكتي يهوذا وإسرائيل

تقاربت المملكتان عندما تزوج ابن يهوشافاط ملك يهوذا الصالح المسمي يهورام بابنة الملك آخاب وامرأته إيزابيل المسماة عثليا وكانت عائلة آخاب أشر عائلة ملكية حكمت مملكة إسرائيل . ورغم أن هذا الزواج أنتج شبه سلام بين المملكتين إلا أنه لم ينتج شيئا حسنا .

لقد كانت عثليا شريرة فقد ورثت هذا عن أبويها الذين ذاع خبر شرهما في أنحاء العالم المحيط بهما . وكان أول ما فعلته عثليا الشريرة أنها أمالت قلب زوجها يهورام إلى عبادة البعل والعشتاروت اللذين عبدهما أبواها . كذلك أشارت عليه أن يبيد كل أخوته ليخلو له الحكم فقام عليهم وقتلهم جميعا هم وبعض رؤساء المملكة بالسيف، رغم أن يهوشافط أباه كان قد أعطاه المملكة وأعطي أخوته عطايا كثيرة تعويضا لهم وضمانا لعدم حدوث نزاع بينهم على العرش. ولكن يهورام لم يكتف بهذا بل أطاع مشورة زوجته الشريرة وقتلهم جميعا.

يخبرنا الكتاب أن الرب لم يسر بما فعله يهورام ولكنه لم يشأ أن يبيد بيت داود من أجل العهد الذي قطعه معه وأنه سوف يعطيه وبيته سراجا كل الأيام. ولكنه أرسل له إيليا النبي يخبره بما سوف يحدث له . فأرسل إيليا النبي خطابا له يقول فيه «هكذا قال الرب إله داود أبيك . من أجل أنك لم تسلك في طريق يهوشافاط أبيك وطريق آسا ملك يهوذا بل سلكت في طرق ملوك إسرائيل وجعلت يهوذا وسكان أورشليم يزنون كزني بيت آخاب . وقتلت أيضا إخوتك من بيت أبيك الذين هم أفضل منك . هوذا يضرب الرب شعبك وبيتك ونساءك وكل ما لك ضربة عظيمة . وإياك بأمراض كثيرة بداء بأمعائك حتى تخرج أمعاؤك بسبب المرض يوما فيوم» (٢ أي ٢١: ١٢-١٦) . وتحققت نبوة إيليا النبي فقد سلط الرب الفلسطينيين على مملكة يهوذا فقهروها وسبوا كل

النساء والأطفال وأخذوا كل الأموال ولم يبق من النسل الملكي إلا أخزيا ابن يهورام. وملك أخزيا بعد أبيه وكان الرب قد ضربه بمرض في أمعائه وفي النهاية خرجت أمعاؤه من بطنه فمات . وكان أخزيا ابن اثنين وأربعين سنة عندما ملك على مملكة يهوذا. وقد صنع الشر في عيني الرب كأبيه يهورام لأن عثليا أمه كانت تشير عليه في كل ما يفعل كما كانت تشير على أبيه . وكان أخزيا ضعيفا أمام أمه فكانت هي الملكة الحقيقية التي تحكم يهوذا من وراء الستار . وبعد سنة من توليه الحكم قتله ياهو ملك إسرائيل. ولما رأت عثليا أمه أن ابنها قد مات قامت وأبادت جميع النسل الملكي من بيت يهوذا ، حتى تنفرد بالحكم . وعندما نقف لنتأمل ما فعلته هذه المرأة المملوءة شرا تقشعر أجسامنا من هول ما فعلته . فهي لم تكتف بأن تحرض زوجها أن يقتل إخوته ليستقر له الحكم . بل تبعت ذلك بأن قتلت جميع أحفادها وكل شخص من سلالة داود لكي يخلوا لها الحكم .

ما الذي غير قلب هذه الجدة فأفرغه من المحبة الطبيعية التي تملأ قلب الجدات نحو أحفادهن وملأه بالكراهية والقسوة التي أدت إلى قتلها لهم جميعا. إن دل هذا على شيء فإنما يدل على سطوة الشيطان على بني البشر خصوصا أولئك الذين يسلمون له حياتهم وينقادون وراء مشورته فهو يجردهم من آدميتهم وإنسانيتهم فيصبحون وحوشا كاسرة يصنعون أمورا لا تليق بالإنسان. إن الشيطان هو الذي حرك عثليا لتبيد نسل داود لأنه من هذه السلالة كان سيأتي الذي عينه الرب في نبوته عندما قال «نسل المرأة الذي يسحق رأس الحية» وهو السيد المسيح الذي قهر الشيطان وخلص الجنس البشري من الموت الأبدي عندما أطاع الآب وصلب على الصليب ليفدي الإنسان الذي أحبه. ولكن الله تحرك ليفسد خطة الشيطان فجعل أحد بنات الملك يهوشبع

تأخذ يوآش بن أخزيا وتخبئه فلم تقتله عثليا بل عاش الطفل مع عائلة يهوياداع الكاهن إلى أن أصبح سنه ستة سنوات، ملكت خلالها عثليا وصنعت الشر في عيني الرب كأبيها وأمها . وظنت بعد مرور هذه السنوات أن المُلك قد استقر لها . ولكن في السنة السابعة تشدد يهوياداع الكاهن وأخبر الرؤساء والقواد بوجود يوآش الملك الشرعي للمملكة . وعندما ضمن ولاءهم أحضر الملك إلى الهيكل ونصبوه ملكا في احتفال كبير يليق بالمناسبة . ولما سمعت عثليا الضجة والهتاف دخلت الهيكل ورأت الملك وحوله الشعب فرحين مهللين فمزقت ثيابها وصاحت «خيانة خيانة» وحاولت الهرب ولكنهم أخرجوها خارج الهيكل وقتلوها فلاقت الجزاء الذي تستحقه . وعانت من نفس المصير الذي عانت منه أمها إيزابيل الذي قتلها ياهو ملك إسرائيل . وبعد وفاتها عاد الشعب إلى عبادة الرب وقطعوا وعودا على أنفسهم أن يكونوا مخلصين له فقاموا وهدموا بيت البعل وكسروا مذبحه وقتلوا كاهنه فقد أزال الله عثليا الشريرة التي أضلت شعب الله وحاولت أن تقضي على ذرية داود . قد يظن البعض أننا نتعلم درسا نافعا من سير الذين يصنعون الخير فقط ولكن الحقيقة أننا نتعلم كذلك من سير الذين يصنعون الشر . وأول هذه الدروس الذي نتعلمها من سيرة عثليا الشريرة أن الشر لا يجدي وأن الله لا يترك الأشرار ينجحون بل تمتد يده لتعاقبهم على أعمالهم . ومع أن الله أعطي الإنسان حرية الاختيار فإنه لا يترك الذين يختارون الخير دون جزاء والذين يختارون الشر دون عقاب . إن الخطايا التي يرتكبها الإنسان حتى لو تاب توبة صادقة يتبعها في معظم الأحيان عقاب من نفس نوع الخطية . كذلك نتعلم من حياة هذه المرأة أن الله لا يصمت أمام محاولات الشيطان إذا حاول أن يعطل عمل الله أو يبطل إحدى وعوده أو نبواته فكلمة الله لا تعود فارغة له .

فبرغم قوة الشيطان وسطوته إلا أن الله أقوى وأكثر سطوة وأنه دائما يتدخل لكي لا يفسد عليه الشيطان خططه . والكتاب المقدس ملآن بهذه القصص التي توضح هذه الحقيقة الهامة في حياتنا جميعا .

فإرادته هي الإرادة العليا ومشيئته هي المشيئة التي تتحقق سواء رضي الشيطان أم لم يرض .

الباب الرابع : نساء العهد الجديد

٤٧ - هيروديا

المرأة التي قتلت أعظم مواليد النساء

هذه هي هيروديا امرأة هيرودس الملك الذي قتل يوحنا المعمدان وقد اخترناها لأن الله أعطاها فرصا لم يعطها لكثير من النساء بحكم مركزها وعائلتها ولو استغلت هذه لمجد الله وطاعته لكانت عاشت حياة فاضلة ولكنها آثرت أن تعيش حياة شريرة فلم تجنِ منها إلا المرارة والألم.

تبدأ قصة هيروديا في إنجيل متى وسجلها أيضا إنجيل مرقس وذكرها إنجيل لوقا. وقبل أن نحكي تفاصيل هذه القصة الغريبة وما ترتب عليها من نتائج نريد أن نعطي القارىء فكرة سريعة عن العائلة التي نشأت فيها هذه المرأة والروابط التي كانت بين أفرادها. إن المؤرخين الذين كتبوا تاريخ هذه العائلة أعربوا عن عجبهم من التفاصيل التي اكتشفوها ووصفوها بأنها من أسوأ العائلات التي وصلت للحكم وأنه ليس هناك ما يضاهيها لا في العهد القديم ولا الجديد. تبدأ الأسرة بهيرودس الابن الأكبر وهو الملك الذي ولد السيد المسيح في عهده. وقد كان أول ملك يملك على ما تبقي بعد السبي. وكان اليهود قد عادوا إلى أرضهم أثناء حكم الفرس وجاء بعدهم الإغريق بقيادة الإسكندر الأكبر. ثم جاء بعدهم الرومان وبدأوا ينشرون نفوذهم في أنحاء العالم المعروف. وفي أثناء هذه السنين الطويلة كان المستعمرون بعد أن يستتب لهم الأمر يبحثون عن شخص يستطيع أن يحكم الشعب باسمهم. وحاول كثيرون من الطامعين أن يصلوا إلى هذا المركز. فكانت هناك تحالفات ومؤامرات وحوادث دامية. واشتدت المنافسة بين

هؤلاء. وتمكن هيرودس الأكبر بسيفه أن يقنع روما بجدارته في حكم يهوذا فوافقوا ونصبوه ملكا على إسرائيل. وتزوج هيرودس نساء عديدات قيل أنهن كن عشرة. وهو الذي بنى الهيكل الذي دخله المسيح له المجد وألقى فيه كثير من عظاته. وعندما ولد السيد المسيح وجاء المجوس ليزوروه انزعج هيرودس وطلب منهم أن يعودوا إليه عندما يجدون الصبي ولكنهم لم يعودوا عندما أمرهم الملاك أن يعودوا لأرضهم بطريق آخر. أمام هذا أرسل هيرودس جيشه وقتل كل أطفال بيت لحم من سن سنتين فما دون حسب الزمان الذي تحقق منه من المجوس.

كان هذا الملك الشرير جد هيروديا. يخبرنا المؤرخون أنه تزوج من مريمني وأنجب منها أرسطو بولس وفيليبس من زوجته الثانية كليوباترا وقد تزوج أرسطو بولس وأنجب هيروديا وهيرودس أجريبا. وهيروديا تزوجت فيلبس عمها غير الشقيق لأنهم قد ولوه على جزء كبير من مملكة أبيه وهو الجزء الذي يقع شمال شرق بحر الجليل وكان أكثر سكانه أمميين. وعاشت هيروديا وزوجها في روما وأنجبا سالومة ولكنه خُلع من الحكم لأن أمه كانت قد شاركت في مؤامرة ضد زوجها هيرودس الأكبر. وفي أثناء وجودهما في روما حضر أخو زوجها الغير شقيق هيرودس أنتيباس وكان متزوج من بنت الملك أرتياس من ملوك شبه الجزيرة العربية. وفي أثناء استضافة هيروديا وفيلبس لأنتيباس بدأت علاقة بينه وبين هيروديا وكان هدفها أن تبقى هي ملكة فقد حضر أنتيباس ليتوج ملكا على يهوذا في روما. ويقول المؤرخون أن هيروديا هي التي بدأت العلاقة واستعملت جمالها لتوقع أنتيباس في حبائلها. وبناءً على نصيحتها طلق هو زوجته وطلقت هي فيلبس وتزوجته ثم تركا روما وعادا إلى اليهودية. وعندما نتأمل فيما صنعته هذه المرأة الشريرة التي أعماها الطموح فنسيت

زوجها لتتزوج من أخيه الغير شقيق لتحتفظ بلقب ملكة وما يتبعه من أبهة وجاه نجد أن القانون كان يحتم على شقيق المتوفي أن يتزوج امرأة أخيه إذا لم تكن قد رزقت منه بذرية لكي يقيم نسلا لأخيه، ولكن زوج هيروديا لم يمت بل عزل من منصبه فاعتبرته هيروديا قد مات وتزوجت من أخيه. طبعا لم يجرؤ أحد أن يعترض أو يرفع صوته ضد ما فعلته هي والملك. لكن لسوء حظهما كان هذا هو الوقت الذي خرج فيه يوحنا المعمدان من البرية ليمهد الطريق أمام السيد المسيح. ونادى يوحنا الشعب ليتوبوا عن خطاياهم. وكانت كلمة التوبة أول كلمة افتتح بها رسالته التي بدأها بمقولته المعروفة «توبوا لأنه قد اقترب منكم ملكوت السموات». يخبرنا الكتاب أن «أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن خرجت إليه واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم» (مت ٣:٥).

وإن دل هذا على شيء إنما يدل على قوة الدعوة التي وجهها يوحنا المعمدان وتأثيرها في الشعب اليهودي. لقد اعتبره الناس نبيا من عند الله وكان لهم ٤٠٠ سنة لم يسمعوا فيها من نبي. وسر يوحنا من تأثير دعوته على الشعب ولكنه رفع نظره إلى القصر الملكي حيث يعيش رئيس الشعب فرأي الفساد يملأه والخطية ترتع فيه شامخة رافعة رأسها، فقد تزوج الملك بامرأة أخيه بينما كان لا يزال على قيد الحياة. وكان هذا زواجا لا تقره السماء فلم تكن العلاقة الزوجية بين الملك والملكة طاهرة بل كانت علاقة آثمة خاطئة وكان كلاهما يزنيان في عيني الرب. ولم يستطع يوحنا أن يشارك الآخرين في صمتهم عما يحدث فاستنكره وأعلن هذا للشعب. لم يتردد يوحنا أن يصرخ في وجه الملك «لا يحل لك أن تأخذ هيروديا امرأة أخيك امرأة لك» (مر ٦:١٨) معلنا بهذا أن الملك ليس فوق القانون وأنه بهذا يرتكب خطية الزنا. يكتب القديس

مرقس أن هيروديا أزعجها ما قاله يوحنا فحنقت عليه وأرادت أن تقتله ولكنها لم تقدر لأن هيرودس كان يخاف من يوحنا عالما أنه بار وقديس وكان أيضا يخشى الشعب لأنه كان يعلم أن الشعب يحبه ويعتبره نبيا. ولذلك اكتفى بأن يلقيه في السجن حتى لا يستمر في اتهامه أمام الشعب. ولكن هيروديا لم يعجبها هذا الحل وبدأت تفكر في طريقة تتخلص فيها من يوحنا الذي أقض مضجعها بإعلاناته. وكان قصد يوحنا مما أعلنه أن يتوب هيرودس وامرأته عن خطيتهما ولكنهما لم يتوبا ورفضا صوت الرب الذي دعاهما للتوبة.

وجاء اليوم الذي كان القصر يحتفل فيه بعيد ميلاد الملك. ومدت الموائد بالطعام الفاخر ودارت الكئوس بالشراب المسكر وبينما الملك ومدعويه يأكلون ويشربون إذا بهم يفاجئون بشابه جميلة في ثياب الرقص الخليعة تدخل وتبدأ تتمايل على أنغام الموسيقى. كانت هذه الشابة الجميلة هي سالومة ابنة هيروديا من زوجها السابق. وهنا نسأل هل تطوعت سالومة أم دفعتها أمها؟ أغلب المؤرخين يقولون أن أمها هي التي دفعتها لعلها تجني من ورائها شيئا فقد كانت تعلم أن هيرودس قد لعبت برأسه الخمر وكانت تعلم أيضا أن سالومة سوف تثيره فقد رأته يتطلع لها بنهم عندما تكون معها ، ورأت أنها لن تخسر شيئا فدفعتها لترقص أمام الملك والجميع وكلهم من أكابر القوم. وحدث ما توقعته هيروديا فقد سر هيرودس وأقسم أمام الجميع أنه مهما طلبت منه سالومة حتى إلى نصف مملكته فسوف يعطيها إياه. وعندما سمعت هذا لم ترد أن تسرع وتطلب شيئا بل أرادت أن تستشير أمها. ورأت هيروديا أن الفرصة تقرع على بابها وإن لم تنتهزها فلن تقرع على بابها مرة ثانية. وفكرت بسرعة ماذا تريد ابنتها أن تطلب ولم يطل بها التفكير فقد كانت لها أمنية واحدة لم تستطع أن تحققها

وهي أن تقتل يوحنا المعمدان. فأسرعت وقالت لسالومة «أدخلي إلى الملك وقولي له أريد رأس يوحنا المعمدان على طبق». فأسرعت سالومة وكررت أمام الملك والحاضرين ما أوعزت به أمها. ونزل الصمت والوجوم على الجميع ونظروا إلى هيرودس الملك فرأوا الحزن والألم مرسومان على وجهه. ونظر هيرودس إلى سالومة ظانا أنها تمزح ولكنه لم ير في عينيها سوى التصميم على ما طلبت فاضطر من أجل القسم الذي أقسمه ومن أجل الحاضرين فأشار إلى جلاده أن يعطيها ما تريد. تصوروا معي ما حدث.. تصوروا الصمت الذي خيم على الجميع والهلع الذي بدا على وجوههم وهم يرون الجلاد وقد دخل وفي يده طبق عليه رأس يوحنا ملوثة بالدماء. كيف أخذت سالومة هذا الطبق؟ وماذا كان شعورها؟ هل خافت؟ هل ندمت؟ وماذا كان رد فعل هذا على هيروديا عندما أخذت الطبق من ابنتها؟ هل شعرت بتأنيب الضمير لما فعلت؟ هل فكرت حتى في ابنتها التي عرضتها لهذا المنظر البشع الذي لم يبرح مخيلتها كل حياتها .. لا نعلم وأغلب الظن أنها شعرت بنشوة الانتصار فقد قتلت الرجل الذي أدانها واتهمها بالزنا والفجور.

بعد موت يوحنا دخلت الغيرة قلب هيروديا عندما حصل أخوها هيرودس أجريبا على لقب ملك من روما بينما كان لقب زوجها رئيس ربع ولكنه كان قد أعطى نفسه لقب ملك. فأوعزت لزوجها أن يطلب من الامبراطور كاليجولا أن يمنحه لقب ملك كذلك. وعندما علم أجريبا بالأمر أرسل للإمبراطور يخبره أن هيرودس وزوجته قد تآمرا مع أعدائه ضده، فاستدعاهما ليستجوبهما في الأمر. وعندما استمع منهم لم يقتنع بما قالوه فعزل الملك من وظيفته وأعطى الجليل الذي كان يحكمه إلى أجريبا ونفاه إلى جنوب فرنسا ولكنه عرض على هيروديا حريتها من أجل أخيها ولكنها

اختارت النفي والعار مع زوجها وبعد سنوات قليلة ماتا في أسبانيا. وعندما نتأمل في حياة هذه المرأة الشريرة نتساءل لماذا لم تتوب وتندم على ما فعلته خصوصا بعد أن أدركها عقاب الله على ما فعلت؟ كان ممكنا أن تتوب هي وزوجها ولكنهما رفضا. لقد كانت مع زوجها عندما أرسل بيلاطس السيد المسيح له قبل صلبه. وكان ممكنا لو كانت امرأة صالحة أن تحذر زوجها كما حذرت زوجة بيلاطس زوجها من ناحيته. يخبرنا الكتاب أنها لم تفعل شيئا من هذا بل ربما شاركت زوجها احتقاره ليسوع عندما رفض أن يرد عليه عندما طلب أن يرى منه آية. لقد أصرت هذه المرأة على الشر كل حياتها فجنت ما زرعت وماتت في شرها.

٤٨ - سالومة

المرأة التي رقصت فقتلت نبيا

هذه هي سالومة بنت هيروديا زوجة هيرودس الملك الذي عاصر السيد المسيح له المجد. وقد اخترناها لأننا قل أن نجد نظيرا لها بين النساء اللاتي ذكرهن الكتاب المقدس فقد وهبها الله كما وهب أمها من قبلها مركزا ممتازا في بلاط ملك اليهود لو استغلته في الخير لكانت عاشت حياة فاضلة وربما ساهمت في نشر الفضيلة وربما المسيحية في المنطقة التي عاشت فيها. ولكنها اختارت حياة الشر فعاشت حياة كلها خطية وخلدها التاريخ من أجل فعلتها التي فعلتها عندما رقصت فقتلت نبيا من أشهر الأنبياء الذين افتتحوا العهد الجديد والذي اختاره الله قبل أن يولد ليهئ الطريق أمامه وهو يوحنا المعمدان.

إن الإنجيل لم يذكر اسمها ولكن ذكره يوسيفوس المؤرخ

المشهور عندما سطر تاريخ هذا الجزء من العالم. إن كلمة سالومة معناها بالعبرية «غامض ومشبوه» وكان اسمها على مسمى فما صنعته اتصف بالغموض فلم يعلم به أحد حتى حدث وعندما حدث هز عواطف من سمعوا به هزة عنيفة. وعندما مات يوحنا المعمدان فجأة طار الخبر في كل أنحاء اليهودية والسامرة وصعقت الجموع لأن يوحنا كان في نظرهم جميعا نبيا من عند الرب. وعندما عرف الجميع من تسبب في موته أصبحت أخلاقها محل شبهة خصوصا بعد أن سمعوا أنها رقصت أمام الملك وعندما اراد أن يكافئها طلبت أن تكون مكافأتها حياة يوحنا المعمدان.

إن قصة سالومة وكيف أغرت هيرودس الملك برقصتها الخليعة قصة لا تجاريها أي قصة أخرى في الكتاب المقدس فقد أعتبرها المؤرخون قمة الإغراء والتخطيط الشرير لتحقيق شيء بعيد التحقيق فقد كان هيرودس يؤمن أن يوحنا المعمدان نبي وقديس ، ولكن الخطة التي ابتدعها خيال الشيطان ووافقت عليها هيروديا وسالومة كانت شرا مجسما لا يقدر عليه سوى عدو الخير.

لا يذكر الكتاب شيئا آخر عن سالومة ولكن يوسيفوس ذكر أنها تزوجت أولا فيلبس الثاني الوالي على ربع مملكة هيرودس الأكبر وكانت أمه تدعى كليوباترا وهو في مقام خالها وبعد أن مات تزوجت من شخص أسمه أرسطو بولس من العائلة المالكة. وعاشت سالومة في الشر والخطية كل أيام حياتها. وكان ممكن أن تندم على الخطايا والشرور التي ارتكبتها فيعفي الله عنها ولكنها لم تفعل. لقد كتب أحد القديسين أن الله في اليوم الذي سوف نمثل فيه جميعا أمام عرشه وهو اليوم الذي حدده ليعطي كل منا حسابا عما صنعته يداه، لن يسألنا لماذا أخطأتم، لأن الجميع أخطأوا وكما نصلي في القداس الإلهي «ليس هناك مولود امرأة يتزكي أمامك ولو كانت حياته يوما واحدا على الأرض».

ولكنه سوف يسأل الذين على يساره لماذا لم تتوبوا؟ فالفرق بين هؤلاء الذين على يمينه أن هؤلاء تابوا بعد أن شعروا بخطاياهم فاعترفوا بها وتابوا توبة صادقة واشتركوا في سر الافخارستيا ليحصلوا على غفران الرب لما فعلوه. هذا هو كل ما يطلبه الله منا أن نحبه كما أحبنا وأن نكون مخلصين له محاولين بكل قوتنا أن نتبع وصاياه وأن نطيع أوامره. ولكن المشكلة أننا جميعا سوف نخطيء. والعلاج هو التوبة الصادقة فهي مفتاح الخلاص. إن اللص الذي تاب على الصليب وطلب من الرب أن يذكره عندما يأتي في ملكوته قد أثبت لنا جميعا أن التوبة حتى قبل الموت بدقائق كما حدث في حالته هو كل ما يطلبه الله من الإنسان. ولكن سالومة لم تتوب ولم تندم على ما صنعت. وأغلب الظن أن رأس يوحنا المعمدان ظلت ذكراها حية في مخيلتها تقض مضجعها وتذكرها بالجريمة التي ارتكبتها والتي تسببت في قتل نبي من أنبياء العلي، نبي ليس كبقية الأنبياء ولكنه الوحيد الذي شهد له الله نفسه عندما قال «لم يقم من بين مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان».

٤٩ - سفيرة

المرأة التي كذبت فاستحقت الموت

هذه هي سفيرة امرأة حنانيا وقد اخترناها لأنها كانت هي وزوجها أول من عاقبهما الروح القدس بالموت المفاجئ في بداية العهد الجديد. ولأن الله أنعم عليها بالخلاص من خطاياها ولكن إيمانها به كان سطحيا فأخطأت وأصرت على خطئها فكان نصيبها العقاب الصارم.

وتبدأ قصة سفيرة وزوجها في سفر أعمال الرسل. وقبل أن نتحدث عن تفاصيل هذه القصة التي هزت جماعة المؤمنين يجب علينا لنفهم مغزاها العميق أن نصف الظروف التي حدثت فيها هذه القصة ، فبعد صعود السيد المسيح وحلول الروح القدس على التلاميذ في يوم الخمسين حدث تغيير كامل في حياة الذين آمنوا به والذين كان عددهم في ذلك الوقت لا يزيد كثيرا عن المائة. يخبرنا الكتاب أنهم في يوم الخمسين كانوا معا بنفس واحدة وبينما هم يصلّون حل عليهم الروح القدس فتكلموا بألسنة وألقى بطرس أول عظة في الشعب فانضم منهم ثلاثة آلاف نفس. وكانوا طبعا أقلية صغيرة ولذلك عاشوا معا وبدأت الاشتراكية الحقيقية تظهر في حياتهم. يقول الكتاب في هذا أن «جميع الذين آمنوا كانوا معا وكان كل شيء عندهم مشتركا» (أع ٢:٤٤). والذي دفعمم إلى هذه الحياة الاشتراكية عدة عوامل أولها أمر السيد المسيح أن يحتقر أتباعه المادة فلا يكنزوها على الأرض بل يكنزوها في السماء. وهو الذي حثهم أن «يطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها (أي الماديات) سوف تزاد لكم» وقد أمرهم أن يحبوا بعضهم بعضا وأوصاهم بهذا عدة مرات. وعندما طبق المؤمنون هذه الوصايا فقدوا حبهم للمادة وأعطوها للآخرين لكي يعيش الكل معيشة كريمة بدلا من أن يستأثروا بها ويمنعونها عمن لم يعطيهم الرب كما أعطاهم. نلاحظ هنا أن هذه الاشتراكية كانت مختلفة اختلافا كبيرا عن الاشتراكية التي انتشرت في بلاد كثيرة بعد ذلك تحت اسم الشيوعية. فالاشتراكية المسيحية كانت اختيارية أي لم يكن هناك قانون يحتمها على الجميع كما كان الحال في الشيوعية. كذلك نجد أن الشيوعية جاءت نتيجة لثورة هلك فيها كثيرون بينما الاشتراكية المسيحية بدأها رب المجد عندما جاء إلى الأرض وعاش فقيرا لا يملك شيئا ولا حتى مكان يسند فيه

رأسه. نجد أيضا أن الشيوعية صاحبها إنكار الله وإلحاد كامل وعداء حاد للدين. فقد أطلقت على الدين لقب مخدر الشعوب.

يخبرنا الكتاب أن كثيرين كانوا يبيعون ممتلكاتهم ويضعون ما باعوا به عند أقدام التلاميذ. وكان هؤلاء يقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج. واستمر هذا دون أي مشاكل حتى تدخل عدو الخير. ويعطي القديس لوقا كاتب سفر أعمال الرسل تقريرا عن حياة المؤمنين في ذلك الوقت فيقول «وكانت عليهم جميعا نعمة عظيمة. إذ لم يكن فيهم أحد محتاجا لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها تحت أرجل الرسل. فكان يوزع على كل أحد كما يكون له احتياج» (أع ٤:٣٣) وفي وسط هذا السلام والوئام والمحبة التي كان يعيشها الجميع إذا بعدو الخير لا يعجبه الأمر فيبدأ في مهاجمة الكنيسة الناشئة. خصوصا بعد هزيمته عندما نزل المسيح إلى الجحيم بعد موته على الصليب وأخذه لجميع المسبيين من قبضته. فنظر إلى جماعة المؤمنين فوجد رجلا اسمه حنانيا وامرأته سفيرة وعلم أنه يمكنه أن يغريهما ليكذبا على التلاميذ وكانت خطته أن يوافقهما في بيع حقل كانوا يملكونه وأن يعطوا ثمنه للرسل بعد أن يحتجزا جزءا من الثمن لأنفسهم بدلا من أن يعطوا كل ما باعو به. وهم بهذا سوف يتمتعان بما يتمتع به الآخرون وأقنعهما بأن أحدا لن يعلم بالحقيقة ماداما لا يخبران أحدا بما صنعاه. كانت الخطة التي تفتق عنها ذهن الشيطان سهلة وبسيطة ومن المستحيل كشفها فكانت بمثابة الجريمة الكاملة كلها فوائد وليس هناك احتمال للفشل. ونفذ حنانيا وسفيرة الخطة فباعا الحقل وخبئا جزء من ثمنه واتفقا على يوم يذهبا فيها ليعطيا ما تبقى للرسل. ولكن في ذلك اليوم حدث عارض عطل سفيرة فقالت لزوجها أن يسبقها وعندما تنتهي مما في يدها سوف تلحق به.

وأخذ حنانيا ما اتفقا عليه وذهب ليقابل بطرس وأخبره بأنهم باعوا الحقل وأعطاه المبلغ الذي كان معه. ونظر بطرس إلى المبلغ ونظر إلى حنانيا وانتظر أن يقول شيئا ولكنه كان قد صمم على المضي في الخطة التي اتفق مع زوجته عليها. عند ذلك التفت إليه بطرس وقال له «يا حنانيا لماذا ملأ الشيطان قلبك لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل» (أع ٥:٣) وانتظر لعل حنانيا يعترف بخطيته ولكنه لم يفعل . وختم بطرس كلامه بأن أخبره أنه لم يكذب عليه بل على الله. عند ذلك سقط حنانيا على الأرض وفارق الحياة.

يقول الكتاب «أنه صار خوف عظيم على جميع المدن الذين سمعوا بذلك» (أع ٥:١١). وقد يكون السبب في هذا أن حياة السيد المسيح على الأرض ربما أعطت الناس فكرة خاطئة عن تغير معاملة الله للبشر. فبعد العهد القديم الذي كان فيه عدل الله هو القانون لأن الخلاص لم يكن قد مُنح بعد والذي فيه كان الله لا يتردد في إفناء أعداد كبيرة من الناس عند علمه بعدم توبتهم عن خطاياهم جاء السيد المسيح وهو الله المتجسد يجول في الأرض يصنع خيرا وعرف عنه أنه سامح الخطاة ورفض أن يدينهم بل أحبهم وأكل معهم ولم يميت أحدا بل أقام بعض الموتى. فعندما سمعوا أن بطرس أنب شخصا على خطيته فسقط ميتا كانت مفاجأة هزت الجموع هزا عنيفا. ويتساءل الكثيرون هل كان عقاب الله لحنانيا وسفيرة قاسيا وهل يتفق هذا مع تعاليم ومفاهيم عهد النعمة وما أكده من محبة الله وتضحياته من أجل بني البشر؟ هل يستحق حنانيا وسفيرا الموت لأنهما حجزا جزءا مما باعا به الحقل وهو ما لهم منذ البدء بينما يهوذا الاسخريوطي كان يسرق من الصندوق الذي في عهدته وكان الرب يسوع يعلم هذا ولكنه لم يعاقبه؟ لقد اتفق معظم المفسرين أن ما حدث قبل صعود المسيح

الذي لم يأت ليدين العالم بل ليخلصه كان متمشيا مع هذا المبدأ فلم يكن مناسبا أن يدين ويعاقب. ولكن بعد صعوده بدأت الكنيسة تتكون وتنمو وكان الله يعلم أن الشيطان سوف يحاول أن يدمرها في مهدها فكان لابد له أن يحميها بقوة روحه القدوس من هجمات الشيطان. أن السيد المسيح له المجد أكد جانبا من شخصية الآب وهو رحمته ومحبته لبني البشر ولكن الآب أيضا قدوس وعادل ويكره الخطية ولا يرحم الخطاة الذين لا يتوبون عن خطيتهم. لقد قيل أن الرب نار أكله فهو ليس إلها رخوا ضعيفا ولكنه إله قوي جبار فهو الذي قال أن أجرة الخطية موت. وكان ما صنعه في حنانيا وسفيره يعلن هذا للناس.

لم تنته القصة بعد. فبعد أن مات حنانيا وحمله الرجال خارجا ودفنوه، وجاءت سفيرة بعد ثلاث ساعات فسألها بطرس «أبهذا القدر بعتما الحقل؟» وكانت هذه فرصتها لتقول الحقيقة وتندم على ما اتفقت مع زوجها عليه، ولكنها لم تفعل بل استمرت في كذبها. فرد بطرس قائلا : «ما بالكما قد اتفقتما على تجربة روح الرب. هو ذا أرجل الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك خارجا». (أع ٥:٩) فسقطت عند رجليه وماتت.

إن ما حدث هنا هو مثل واضح لزوجين اتفقا على الشر رغم أنهما آمنا بالمسيح له المجد وكانا أعضاء في كنيسته. ليس هذا فقط بل أطاعوا الرسل وباعوا الحقل الذي كانا يمتلكانه. ولكن عندما كذبا وأعطيا بطرس جزءا من ثمنه حُسبا غير مستحقان فعاقبهما الروح القدس. إن هذا يتكرر في كنائسنا كل يوم فكم من خادم يخدم ليظهر أو ليسلب مجد الله وينسبه لنفسه أو ليسرق من أموال الكنيسة إلى غير ذلك من الخطايا التي تُرتكب داخل بيت الله.

لقد كان الله حاسما مع حنانيا وسفيره بينما يطيل أناته على

خطاة اليوم، لأنه كان يريد أن يعرف الناس منذ البداية أن الله هو هو لم يتغير وأنه يكره الخطية وأنه سوف يدافع عن كنيسته مهما كان الثمن. أن كل من يخدم الله عليه أن يقرأ قصة حنانيا وسفيره بإمعان وأن يفحص سلوكه ودوافعه. فإذا كانت دوافعه حب المال او العظمة أو الشهرة أو السلطة فليندم وليطلب من الرب أن يعطيه القوة لكي يتغير ويعود إلى صوابه. ونحن نعلم أن الله سريع الرحمة بطئ الغضب فهو لا يعاقب الخطاة اليوم كما عاقب حنانيا وسفيرة ولكنه يعيطنا الفرصة تلو الفرصة لكي نعود إليه. وإذا لم نعود سيكون مصيرنا كمصيرهما.

٥٠ - إيزابيل الثانية

المرأة التي ظنت أن عصر النعمة هو عصر التسيب

هذه هي إيزابل الثانية وقد اخترناها لأن الرب تحدث عنها في سفر الرؤيا ولأنه منحها أن تعيش في عصر النعمة وأن تكون عضوا في كنيسته بمدينة ثياتيرا وهي من الكنائس السبعة التي أرسل الله لها ٧ رسائل مع القديس يوحنا الحبيب . وقد كان ممكنا لها أن تكون عضوا نافعا في الكنيسة الجديدة ولكنها اختارت أن تتبع الشيطان وظنت أن عصر النعمة هو عصر التسيب.

وقصة هذه المرأة الشريرة مدونة في سفر الرؤيا الأصحاح الثاني. يكتب كاتب السفر القديس يوحنا الرائي أن المسيح أعطاه الرسالة التالية لملاك كنيسة ثياتيرا أي أسقفها الذي رسم عليها « هذا يقوله ابن الله الذي له عينان كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقي. أنا عارف أعمالك ومحبتك وخدمتك وإيمانك وصبرك وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى. لكن عندي عليك قليل أنك تُسيب

المرأة إيزابل التي تقول إنها نبية حتى تُعلم وتغوي عبيدي أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان. وأعطيتها زمانا لكي تتوب عن زناها ولم تتب» (رؤ٢: ٢٠).

نلاحظ أن السيد المسيح وصف نفسه بأن عيناه كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقي. فماذا كان يقصد من هذا الوصف؟ عيناه كلهيب نار أي عيناه تعكسان بغضه للخطية وغضبه على من يرتكبها. أما وصف الرجلين بأنهما مثل النحاس فيشير إلى القوة والنقاوة والثبات في المضي نحو أهدافه. نلاحظ أيضا أن أسقف هذه الكنيسة كان بارا في نظر الرب فقد مدحه وأعماله ومحبته وخدمته وإيمانه وصبره وهذه كلها صفات جميلة. كذلك ذكر أن أعماله الأخيرة أكثر من الأولى. ولكن الله أخذ عليه شيئا واحدا وهو احتماله لما تفعله المرأة إيزابل.

هنا نجد أنفسنا نتساءل لماذا حدث هذا؟ كيف صرح هذا الأسقف الفاضل لهذه المرأة الشريرة أن تُعلم في كنيسته وهو يعلم أنها تعلم الشعب ضد ما أوصى به رب المجد؟ وعندما نقرأ أن هذه المرأة كانت تغوي المؤمنين أن يزنوا ويأكلوا ما ذبح للأوثان يزداد عجبنا. فالخطيتان خطيرتان فالزنا وأكل ما ذبح للأوثان كانتا متفشيتان في الشعوب التي طردهم الرب وفي بعض الأحيان أفناهم أمام بني إسرائيل وكانتا من أخطر الخطايا التي عاقب الرب عليها بني إسرائيل في العهد القديم. لقد فسر بعض المفسرين أن السبب في تهاون أسقف الكنيسة مع هذه المرأة ربما كان لأنها امرأة، ولكن قال آخرون أن هذا يؤدي إلى تساؤل آخر وهو كيف سمح لها بالتعليم بينما منعت الكنيسة الأولى النساء من التعليم. ورد آخرون على هذا أن ما حدث كان في العصر الأول من تكوين الكنيسة عندما كانت في دور التكوين ولم يكن الرسل قد وضعوا كل القوانين ولم تكن كثير من الرسائل قد كتبت بعد. ويبدو أن

نشاط هذه المرأة التي كانت على صفات ممتازة من الذكاء والقدرة على الكلام وقوة الحجة قد قوبلت بالقبول من أسقفها الذي ربما لم يكن يعلم بكل تفاصيل خدمتها فدعاها تستمر إلى أن كشف أمرها رب المجد. وبقدر ما يفسر هذا سلوك الأسقف من ناحية إلا أنه يدينه من ناحية أخرى. فالمفروض أن من مسئوليات أي رئيس أن يكون على علم بما يصنعه مرؤوسوه إلا إذا كان لا يأخذ رئاسته مأخذ الجد. لقد أدان الله هذا الإهمال ولكنه لم يكن قاسيا في نقده. ولو لم تكن أعماله الأخرى ممتازة لكان حكم الله عليه أقسى. إن رحمة الله وطول أناته تظهر هنا في تعبيره عندما قال «لي عليك قليل». يخبرنا الإنجيل أن الله لم يسكت فرغم تهاون أسقفه نجده ينذر المرأة ويعطيها فرصة لتتوب. كيف فعل هذا؟ هل أرسل لها أحدا؟ هل ظهر لها في رؤيا أو حلم؟ لا نعلم ولكن نعلم أنه أرسل لها رسالة أن تتوب فلم تتب. عند ذلك أرسل لها مع رسالته للأسقف رسالة أخيرة قال فيها » ها أنا ألقيها في فراش والذين يزنون معها في ضيقة عظيمة إن كانوا لا يتوبون عن أعمالهم وأولادهم أقتلهم بالموت فستعرف جميع الكنائس أني أنا هو فاحص الكلى والقلوب وسأعطي كل واحد منكم حسب أعماله« (رؤ ٢:٢٢ ، ٢٣). إن الله يمهل ولا يهمل فهو يعطي الإنسان أكثر من فرصة ليرجع عن خطيته ويتوب ولكن إذا لم يتب هناك القصاص الأرضي والعقاب السمائي.

إن الفجور الذي مارسته هذه المرأة وعلمته للآخرين كان من التعاليم الأسيوية في العالم القديم وكانت ممارسته مقبوله في مجتمعات كثيرة.

أما وجود امرأة بهذا الأسم في تلك الكنيسة فقد رجحه معظم المفسرين ولكن بعضهم شك في هذا وقالوا أن ما حدث لم تقم به امرأة اسمها إيزابل بل قامت به مجموعة من المؤمنين

الجدد الذين كانوا يمارسون هذه العادات قبل أن يؤمنوا بالمسيحية وعندما آمنوا بها ورأوا أن الدين الجديد يشجع الحرية وقبول الله للخطاة وموته من أجلهم ترجموا هذا أن المسحية ليست دينا صارما قاسيا كاليهودية فمارسوا بعض الرذائل التي كانت الشعوب الأممية تمارسها. ولذلك كان حتما على الله أن يحكم على هذه الممارسات في محاولة ليحمي كنيسته من الشوائب التي زحفت عليها واختلطت بها.

ويضيف هؤلاء المؤرخين أن الله سمي هذه المجموعة «إيزابل» مشبها لها بإيزابل امرأة آخاب الملك الذي كان من أشر من ملك على مملكة إسرائيل. والشبه هنا كان في الإنحلال الجنسي الذي كانت إيزابل الأولي تمارسه وعبادتها للبعل ورعايتها لكهنته ثم تأثيرها السئ على زوجها آخاب الملك.

سواء كانت هناك امرأة أو مجموعة سماها الله إيزابل. المهم أن جزء من الكنيسة الأولى في ثياتيرا كان يعمل الشر ويغوي آخرين تحت ستار الخدمة . والشيطان الذي تم كل هذا تحت إشرافه فعل هذا لأنه صمم منذ صعود السيد المسيح له المجد أن يحارب الكنيسة محاولا أن يحطمها. وهو لا يزال يفعل هذا في كنائسنا اليوم محاولا أن يهدمها بطرق غير التي استعملها في كنيسة ثياتيرا.

وجدير بنا جميعا أن نتنبه لهذا الخطر فنميز بين من يبني ومن يهدم وأن نكون حكماء في تصرفاتنا مع هؤلاء.

إن الله الذي كان ساهرا على حياة الكنائس السبعة التي أرسل لها رسائله على يد القديس يوحنا لا زال ساهرا على كل كنائسه الآن. فرغم نجاح الشيطان مع كثيرين إلا أن الله وعد وعدا صادقا وأمينا عندما قال «وأبواب الجحيم لن تقوي عليها» (مت ١٦:١٨).

مراجع الكتاب

المراجع العربية

١- الشخصيات النسائية في الكتاب المقدس: القس يوحنا حنين. مطبعة الأنبا رويس ١٩٨٦.

٢- المرأة في الكنيسة والمجتمع في الشرق الأوسط : مجلس وكنائس الشرق الأوسط مطابع هيدلبرج ـ لبنان ١٩٧٧.

٣- الإنجيل حسب متى : القمص تادرس يعقوب ملطي. مطبعة الأنبا رويس ١٩٨٧.

٤- دراسة موسعة في إنجيل لوقا: القس بيشوي فؤاد واصف. مؤسسة بيتر للطباعة ١٩٩٩.

٥- إنجيل متى: القمص متياس فريد. مطبعة فكتور كيرلس ١٩٨٣.

٦- تفسير العهد الجديد: وليم باركلي سفر أعمال الرسل: جوزيف صابر دار الثقافة ١٩٨٢.

٧- وضوح الرؤيا السماوية: القمص عبد المسيح ثاوفيلس النخيلي. دار يوسف كمال للطباعة ١٩٧٩.

٨- تفسير سفر التكوين: الأب يوحنا ثابت . الكسليك ـ لبنان ١٩٨٢.

٩- إنجيل يوحنا: رهبنة دير مار جرجس الحرف ـ مطبعة النور ١٩٨٦.

١٠- الخروج : القمص تادرس يعقوب ملطي. مطبعةو الأنبا رويس ١٩٨٠.

المراجع الإنجليزية

11. Deen, Edith: All the womenof the Bible, Castle Books, 1955.
12. Dorothee, Solle, Joe H. Kirchberger, and Herbert Haag:

Great Women of the Bible in art and literature, Mercer University Press, 1994.
13. J. D. Douglas: The New Bible Dictionary, W M B Eerdans Publishing Co., 1962.
14. Lockyer, Herbert: All the women of the Bible, Zendervan Books, Grand Rapids, Michigan, 1991.
15. Nave J. Orville: Nave's Topical Bible, Moody Bible Institute, 1974.
16. Reader's Digest: Who's who in the Bible, Pleasantville, New York, 1994.
17. Reader's Digest: ABC s of the Bible, Pleasantville, New York, 1991.
18. Reader's Digest: Atlas of the Bible, Pleasantville, New York, 1981.
19. Steph D. Swihart : Logos International Bible Commentary, Plainfield, New York,1978.
20. The Biblical Illustratorz: Baker Book House, Grand Rapids, Michigan.